الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique
Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib
Facultés des Lettres et Langues et Science Sociales
Département langue et lettre arabe

البنية اللسانية للخطاب التداولي في الشعر العربي المعاصر -قصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل نموذجا-

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص لسانيات تحليل الخطاب

من إعداد الطالبتين:
1- بن قريش صورية
2- بن حدة نجيمة

إشراف الأستاذ (ة):
بصالح خديجة

اللجنة المناقشة المكونة من الأعضاء الآتي ذكرهم:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
بلوافي حليمة	أستاذة التعليم العالي	جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب	**رئيسا**
بصالح خديجة	أستاذة التعليم العالي	جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب	**مشرفا، مقررا**
جيريو خيرة	دكتورة	جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب	**ممتحنا**

السنة الجامعية

2021/2022

شكر وتقدير

«الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا»

سورة الكهف

نشكر الله عزوجل الذي وفقنا على إنجاز هذا العمل المتواضع ونسأله تعالى أن يكون خالصا لوجهه الكريم، كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذتنا المشرفة: "بصالح خديجة" التي أشرفت على هذا العمل منذ البداية ولم تبخل علينا بنصائحها القيمة كما نشكر جميع أساتذتنا الذين مررنا على أيديهم من الإبتدائي حتى الجامعي

اللهم صل على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: {من لم يشكر الناس لم يشكر الله}

أهدي في ثمرة جهدي هذا:

إلى حكمتي وعلمي وطريقي المستقيم الى من اخذ بيدي إلى منهل المعرفة ورسم المستقبل لي بخطوط من الأمل والثقة تاج رأسي: أبي الغالي

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل وإلى أعلى ما في الوجود: أمي

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله وإلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة:

إخوتي، وإلى زهرتي الوحيدة أختي الصغيرة

وإلى جميع صديقاتي وكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد أهديكم جميعا بحث تخرجي هذا داعية من المولى عزوجل أن يطيل في أعماركم ويرزقكم بالخيرات

بن قريش صورية

قال الله تعالى: {وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}

لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب إلا بطاعتك....

ولا يطيب اللحظات الا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك...

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك..

الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة...ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من الله الله بالهيبة والوقار... إلى من علمني العطاء بدون انتظار..

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني.. إلى بسمة الحياة وسر الوجود... إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة

إلى أعز ما عندي هما فرحتي وسعادتي هما سندي في هذه الحياة إلى أخي وأختي حفظهم الله

الى رفيقات دربي ومشواري الدراسي اللاتي قاسمتني لحظاته رعاهم الله ووفقهم: صورية، ايمان، زينب، فراح زوليخة، اسماء، وهيبة إلى عائلة أبي وأمي وإلى أحبتي الذين يحبوني خير في حياتي

بن حدة نجيمة

مقدمة

تعد قضية المعنى وحيثياته من القضايا المعقدة التي اجهد الفلاسفة واللّغويون والقانونيين، فتتالت المباحث والأطروحات التي حاولت الكشف عنه، وتواردت النظريات الدلالية الساعية وراء رسم منهج قويم يمكنها من الوصول إلى المعاني الكامنة خلف التراكيب والبنى، وهو ما تجسد في أعمال رواد الشكلانية والبنيوية الذين عدوا الإنتاجية الأدبية عبارة عن إنتاجية منسلخة عن المصدر الذي أنتجه، وهو ما يعرف عندهم بموت المؤلف الذي نادى به رولان بارث، فمقاربة الخطاب الأدبي إنطلاقا من هذا المفهوم الشكلي الصوري، فهو يستخدم اللغة ويتجاوزها، إذ أنه أثناء عملية التحليل تراعى أطراف غير لغوية معلنة تتمثل في السياقات التي تحف الخطاب لتكون التداولية بين البنائية الوصفية والسياقية والوظيفية وغيرها من الحقول التي تلتقي مع الدرس التداولي.

نظرا للأهمية موضوع الخطاب التداولي ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا: بنية الخطاب التداولي في قصيدة منشورات فدائية على جدران إسرائيل لنزار قباني لإبراز عناصر التواصل اللغويات المستويات المتداخلة، كالبنية اللغوية وقواعد التخاطب وعلاقة البنية بظروف الإستعمال، وحسب المعمول به فإن البحث يستلزم إشكالية على النحو الآتي: هل يمكن للتداولية أن تجد ضالتها في سير كوامن الخطاب الشعري الذي يعد خرقا للمتداول وتعاليا

عن المألوف؟ وهل يتحول الخطاب الشعري الى فعل لغوي مركزي؟ وتجسدت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع: في أسباب ذاتية وتمثلت في ميلنا إلى هذا النوع من الدراسات وحبّ الأطلاع، وأخرى موضوعية تمثلت في: تحديد موضوع اللسانيات التداولية التي رأينا فيها منهجا متكاملا يعمل على كشف كوامن الخطاب ومعرفة مباحث الدرس التداولي كالخيال، والشعور، والرمز، والشكل، والإقناع، والتأثير... إلخ. وعليه إقتضت طبيعة الموضوع أن يشتمل بحثنا على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، فالمدخل فيه مفاهيم للبنية والخطاب والتداولية، وفي الفصل الأول تطرقنا إلى نشأة التداولية وجذورها الفكرية وعلاقتها بالعلوم الأخرى وأهم قضاياها الأساسية، ثم في الفصل الثاني حددنا مفاهيم نظرية لمستويات التحليل التداولي من: مستوى صوتي، بلاغين تركيبي، ومعجمي، أمّا فيما يخص الفصل الثالث خصصناه للجانب التطبيقي حيث قمنا بتحليل قصيدة نزار قباني منشورات فدائية على جدران إسرائيل بالمستويات الأربع للتحليل التداولي. أما أهم البحوث والدراسات التي أعتمدناها في هذه الدراسة فهي: تحليل الخطاب لمحمد عكاشة، التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، مدخل إلى اللسانيات التداولية الجيلالي دلاش وغيرها من مصادر المهمة في هذا الموضوع. هذا وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء إنجاز هذا البحث وتتمثل في: قلة المصادر والمراجع الخاصة بالفصل الثالث، وصعوبة تحديد منشأ اللسانيات التداولية التي تعتبر مدينة لعدد من التيارات الفلسفية أرغمتنا على طرق أبوابها بالإطلاع على أعمال فلاسفة اللغة، وكذلك

صعوبة تحديد منهجية ثابتة لدراسة التداولية، وصعوبة تطبيق تصنيف الأفعال الكلامية على نص المدونة وتداخلها، لإن ظاهر المنطوقات لا يدل دوما على دلالاتها الأصلية.

قدمنا ما يسع على قدر الإستطاعة إلا قليل عن هذا موضوع الواسع في تناول الخطاب الشعري في ضوء النظرية التداولية. كما إعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي التداولي، فالتحليل تمثل في كوننا نرصد موضوع مهم ونحلله والتفصيل في عناصره، اما التداولي تمثل في تطبيق مستويات التحليل في تحليل قصيدة تداوليا، وكانت الخاتمة عبارة عن نتائج توصلنا اليها من خلال إنجازنا البحث

فنأمل من هذه الدراسة تحقيق ولو حدّ أدنى من الجدّ في ظلّ شح المكتبة العربية في تناول الخطاب الشعري من زاوية التداولية.

-بن قريش صورية

-بن حدة نجيمة

حرّرت بتاريخ:

2022/05/18

مدخل

مفاهيم للبنية والخطاب والتداولية

*مفهوم البنية (لغة واصطلاحا)

*مفهوم الخطاب وتياراته

*مفهوم تداولية (لغة واصطلاحا)

يعد الخطاب بنية لغوية بحيث يفترض سامعا ويكون من إنتاج اللغة الشفوية، ولا يتجاوز سامعه إلى غيره مما يعني أنه لا يبتعد عن الخطبة والخطابة بمفهومها المعجمي، فتحليل الخطاب يكشف عن خبايا الرسالة سوءا كانت منطوقة أو مكتوبة أو مرئية، كما نقف على جزئيتها وعناصرها الأولية، ووظيفة كل منهما بالشرح والتفسير والتأويل دون مبالغة في ذلك أو إخلال فيه، ومن هذا المنطلق أصبح مجال تحليل الخطاب يقتصر على عدة مستويات منها: الصوتي والنحوي والبلاغي وغيرها بطريقة بنيوية أو تداولية أو سيميائية أو اسلوبية... إلخ.[1]

1/ مفهوم البنية:

أ- المعنى اللغوي للبنية structure:

البنية: ما بَنَى، والجمع (بنى)

البنية: ما بَنى، ج بُنى، وهيئة البناء ومنه بنية الكلمة أي صيغتها وفلانا صحيح البنية.

البنية: بِنية الطريق: طريق صغير يتشعب من الجادة.

البنية والبنية: ما بَنَيتهُ وهو البنى وانشد الفارسي علي أبي الحسن:" قوم أن بنوا أحسنوا البنى وأن عاهدوا أوفوا وأن عقدوا شدوا"[2]

وفي معجم لسان العرب: البُنيَان: الحائط، الجوهري: والبُنى: بالضم مقصور مثل جزية وجرى، وفلانا صحيح البنية أي الفطرة، وأبنيت الرجل: أعطيته بناء أو ما يتبنى به داره.[3]

وقول البولاني يستوقد النبل بالحضيض ويصطاد نفوسا بنت على الكرم أي بنيت، يعني إذا أخطأ يورى النار.

فيستخلص أن المعنى اللغوي للفظة بنية أنها مصطلح يدل على التشييد أي البناء.

1- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002،ص44
2- ابراهيم مصطفى واخرون، معجم اللغة العربية، معجم الوسيط، المكتبة الاسلامية للطباعة، دط، دت، ج1 ص72
3- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، لبنان، دط، دت، مجلد 1، ص365

ب- المعنى الإصطلاحي للبنية:

يرد في المعاجم العربية معنى البنية الإصطلاحي كما يلي:

البنيةstructure: مذهب في علوم اللغة والفلسفة مؤداه الإهتمام أولا بالنظام العام لفكرة ولعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض، وقد أمتد هذا المذهب إلى علوم اللغة عامة وعلم الأسلوب خاصة ويعرف أحيانا بإسم البنائية والتركيبية.[1]

وفي النصوص الأدبية يوجد نوع من البنى يطلق عليه البنية الفوقية.

البنية الفوقيةsuperstructure: يستخدم هذا المفهوم خاصة في الأبحاث الأنجلوساكسونية ولاسيما من قبل "فان ديك" للإبانة على صناعةcomposition النصوص (البنى الفوقية أشكال إصطلاحية تسمى نوعا من الخطاب تتولى تنظيم متواليات الجمل نصية ومنها وظائف خاصة، كما تعد البنية الفوقية أول خطاطة نصية تعني بالتنظيم السطحي وصناعته، وهذه البنى الفوقية توفر شبكات تيسر كثيرا إنتاج وفهم النصوص.[2]

2/ مفهوم الخطاب وتياراته:

أ- لغة: تحليل لفظة الخطاب في معاجم اللغة العربية إلى عدة معان فقد جاء في لسان العرب في مادة (خ ط ب) قوله: "خطب الخطب": الشأن أو الأمر صغر أوعظم، وقيل هو سبب الامر... والخطاب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال...والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبة بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان[3] ،ومما أضافه الفيروز الآبادي قوله:" الخطاب أو الخطبة وهي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب حسن الخطبة" وأما ما ورد عند الزمخشري في أساس البلاغة فقوله: "خطاب: خاطبة أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام".[4]

1- أحمد العابد واخرون، المعجم العربي الأساسي، للناطقين بالعربية ومتعلميها، منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دط، 1919، ص174
2- دومينيك مانقلو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد بحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، دط، 2008، ص124
3- إبن منظور، لسان العرب، مادة خطب، ص 23
4- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد أحمد قاسم، مادة خطب، المكتبة

ب- اصطلاحا:

أرتبط المفهوم المعرفي والفلسفي للخطاب بكتابات ميشال فوكو الذي يكتسي أبحاثه عن الخطاب أهمية كبيرة في الدراسات الثقافية، ويعتقد الكثير من الدارسين أنه المفكر الوحيد الذي حدد بدقة مفهوم الخطاب، كما أعتبر آخرون أعماله على نظرية الخطاب عصية على الفهم وارجعوا سبب ذلك لإستغلاله على مواضيع كثيرة ومتنوعة كالتاريخ والفنون والأدب النسوي واللغة والمعرفة.

فعرف ميشال فوكو الخطاب بقوله: "هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموعة المنطوقات وأحيانا أخرى بمجموعة متميزة من المنطوقات وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات"[1]

لا يحصر هذا المفكر الخطاب في معنى واحد ووحيد بل هو عنده متعدد المعاني لأنه يرد في سياقات متعدد يقول: "بدلا من إختزال المعنى المتذبذب باللّفظ discour أظن أني اضفت لمعانيه معاملته أحيانا بإعتباره

النطاق العام لكل الجمل، أحيانا بإعتباره مجموعة متفردة من الجمل، وفي أحيان أخرى بإعتباره عملية منضبطة تفسر عددا من الجمل"[2]

3/الخطاب في المفهوم اللساني:

بداية يمكن الإشارة لمفهوم الخطاب بشكل عام والذي قد ينحصر في الكلام بين متكلمين قد يستخدمان وسائطا متعددة للتواصل يمكن أن تكون شفهية أو مكتوبة أو مرئية أو حركية أو لمسية أو شمية، وكثيرة هي طرق التواصل التي يستعين بها الإنسان في حياته اليومية لقضاء أغراضه المعرفية.

فالخطاب عند رومان جاكبسون يتضمن مفهوم الرسالة، ومادام الأمر كذلك فإنه من الضروري أن نتوقف عند عناصر العملية التخاطبية أولا وهي:

المرسل: وهو مصدر الخطاب وهو ركن حيوي في الدارة التواصلية اللفظية.

1- سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2016، ط1، ص29

2- المرجع نفسه، ص 29

المرسل إليه: وهو يقابل المرسل داخل دارة التواصلية اللفظية أثناء التخاطب.

الرسالة: وهي أساس عملية الإتصال بل هي قلب عملية التواصل.

السنن: أطلق عليها بأنها القدرة ذات مدلول واحد يحيل على نظام ترميز.

السياق: وهو المرجع بالإصطلاح الغامض نسبيا، وهو إما يكون لفظيا أو قابلا.

القناة: فهي الوسيلة أو مادة التي يتم بها نقل الرسالة من المرسل إلى المتلقي.[1]

أما زاليغ هاريس يرى أن الخطاب حديث النشأة، إرتبط ظهور باللسانيات التي أنصبت دراستها على الجملة، وتجاوزها الخطاب على يد هاريس بتحليل عرف بالتوزيعي، حيث يقوم الدارس بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة: تتكون مثل هذه الطبقة من مجموع العناصر لا تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه، فالتحذير يريد لنفسه أن يكون نحوا محضا، أي لا يأخذ في الحسبان مسألة العلاقة الدلالية بين العناصر المتعادلة نحوا.[2]

مفهوم الخطاب عند العرب:

نجد الخطاب عند التهاوني: "هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام" فيميز بين الكلام عامة والخطاب بوصفه نوعا من الكلام[3]

ويقول محمود عكاشة عن الخطاب: "بأنه القول الموجه من المتكلم(أنا، نحن) إلى المتلقي المخاطب(أنت، أنتما، أنتم، أنتن) لإفهامه قصده من الخطاب صريحا مباشرا أو كتابة أو تعريضا في سياق التخاطب التواصلي."[4]

ويعني هذا القول بأن الخطاب كل ما يصدر عن المخاطب من كلام أو إشارة أو إبداع فني

1- الطاهر حسن بومزبر، التواصل اللساني والشعرية – مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون- ص25
2- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي لنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط3،1997، ص 17 نقلا عن زاليغ هاريس
3- رامي عزمي، تحليل لغة الخبر السياسي في الخطاب الاعلامي المكتوب، دار المعتز، ص20
4- محمد عكاشة، تحليل الخطاب، دار النشر للجامعات، القاهرة، ص17

كما يرى الأمدي أن الخطاب هو: "هو اللّفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[1]

مفهوم الخطاب عند الغرب:

يعرف بنفست الخطاب بإعتباره "الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات إشتغاله في التواصل"[2] والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ بواسطة متكلم معين في مقام، وهذا لفعل هو عملية التلفظ.

أما عند أحمد متوكل: يعد خطابا كل ملفوظ/ مكتوب بشكل وحدة تواصلية قائمة الذات.[3]

نستخلص أن الخطاب هو حدث لغوي يرسله المتكلم أو المرسل نحو المخاطب أو المرسل إليه قصد إفادته بمعلومات أو أخبار جديدة في مقام محدد وبإستعمال وسيلة تبليغية محددة والإنطلاق من ظروف وأحوال وأوضاع مشتركة بين المتخاطبين لا يعرفهما غيرهما، فالخطاب هو إنجاز في الزمان والمكان وقيامه يقتضي وجود شروط أهما المخاطَب والمخاطِب.

4/ تيارات الخطاب:

أضحى البحث في الخطاب الأدبي وصلته بالنقد يستحوذ على إهتمامات دارسي اللغة والأدب منذ بداية القرن العشرين، بفضل ما تقدمه الحقول المعرفية الجديدة كاللسانيات والأسلوبية والسيميولوجية من مصطلحات وأدوات إجرائية، تسهم في مقاربة الأثر الأدبي بعيدا عن المقولات النقدية التي كانت مستعارة من كل الحقول إلا حقل الأدب.

1- الأمدي، الأحكام في أصول الإحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص 135
2- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 19
3- أحمد متوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، ص2

أ- إتجاه (تيار) الخطاب النقدي الكلاسيكي:

للبحث عن منهج ملائم ظل النقاد الكلاسيكيون يتوسلون أنواع الأليات في دراسة النص الأدبي وينتقلون من منهج إلى أخرى وفق مرجعيات معينة، ولكن في أغلب الأحيان إنطلاقا من المناهج المعيارية التذوقية نحو: النظرية المدرسية تقسم الأدب العربي إلى عصور، ونظرية الفنون الأدبية ونظرية خصائص الجنس والنظرية الإقليمية والنظرية النفسية والإجتماعية، كما عجز هذا الإتجاه في مقاربة الخاصية الأدبية، وتفكيك عناصرها الداخلية الدالة على فرادتها والتي لا تخضع في كل الحالات إلى الظروف الخارجية المحيطة بالعمل الأدبي[1]

هكذا عرف النصف الأول من القرن العشرين نصوصا نقدية تعتبر الأدب صورة عاكسة الإنتاج الفرد ومن تم ركزت على سيرة الكاتب ونفسيته، كما ظهرت دراسات النصوص الإبداعية متأثرة بالعوامل الإقتصادية والإجتماعية والسياسية كما حلل بعض النقاد النص الأدبي في ضوء علاقته بالإبتكارات الجماعية للعقل البشري كالتاريخ الأفكار واللاهوت والفنون (في النصف الثاني من القرن العشرين)

ب- الإتجاه اللساني في تحليل الخطاب الأدبي:

يكشف التيار اللّساني سلسلة الجهود التجريبية على المستوى العالمي، ومن اللغات الأوروبية التي أهتمت بتحليل الخطاب وظهرت مدارس لسانية نذكر منها: المدرسة السلوكية رائدها بلومفيد والمدرسة التوزيعية هاريس والتحويلية التوليدية رائدها تشومسكي، وكانت التوجيهات اللسانية في تحليل النصوص الأدبية من إهتمامات الشكلانيون الروس الذين رفضوا إعتبار الأدب صورة عاكسة لحياة الأدباء[2] [في مطلع القرن 20]

1- د.وردة معلم، مذكرة محاضرات في مقياس تحليل الخطاب، ماستر لسانيات الخطاب، جامعة 08ماي 1945، قالمة، ص53-54

2- مرجع نفسه، ص 55

ويتبث تراكم البحوث النقدية اللسانية التأثير الذي مارسه المنهج الشكلاني في دراسة النص الأدبي من الداخل، بحيث مكن النقد الأدبي من الإنفصال في تحليل الخطاب الأدبي عن نظرياته علم النفس وعلم الإجتماع والإيديولوجيات الدينية والسياسية حتى غذا الخطاب النقدي يمنع بإستقلال ذاتي، لإن المادة الأساسية في بناء الأدب هي اللغة، وأما اللسانيات فهي الدراسة العلمية لها، و لمظاهرها الحسي الذي يتجلى من خلال الكلام.[1]

ج- الإتجاه الأسلوبي في تحليل الخطاب الأدبي:

تهتم الأسلوبية بدراسة الخطاب الأدبي بإعتباره بناء غير مثال مسبق، ولذلك تبحث في كيفية تشكيله حتى يصير خطابا خصوصيته الأدبية والجمالية، فالخطاب الأدبي مفارق لمألوف، ومخالف للعادة، وبخروجه هذا يكتسب أدبيته ويحقق خصوصيته.

لقد أحدث ظهور الأسلوبية في حقل العلوم الإنسانية واللسانية مشكلا قبل أن تتحول الأسلوبية إلى منهج نقدي لمقارنه الأثر الأدبي فرصته التطورات والإكتشافات العلمية والثقافية والأدبية في القرن العشرين، كما لقي التيار الأسلوبي رواجا كبيرا بفضل ما ألف فيه من بحوث أكاديمية. قدمت رصيدا معرفيا كبيرا وظهر بعد شارل بالي إتجاه نقدي جديد يدعوا إلى ضرورة فصل الأسلوبية عن المجال الأدبي واللسانيات لغرض فسح المجال لها لتحقيق ذاتها وإستقلالها.[2]

5/ مفهوم التداولية:

أ- لغة:

-التعريف اللغوي للتداولية في المعاجم اللغوية:

في لسان العرب لإبن منظور "دول" : العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدولة بالضم في المال والدولة بالفتح في الحرب، الفعل وفي حديث إشراطه الساعة، إن كان المغنم دولا، جمع دولة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وقال الزجاج: الدولة إسم الشيء الذي يتداول والدولة الفعل والإنتقال من حال إلى حال،... كأنه كي لا يكون ألفي دولة أي متداولا.[3]

1- وردة معلم، مذكرة محاضرات في مقياس تحليل الخطاب، ص 56
2- المرجع نفسه، ص57
3- إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج5، ط1، 1863،ص 327

أمّا في معجم أساس البلاغة للزمخشري فقد ورد لفظ التداولية كما يلي: دَوَل: دالته الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه، وعن الحجاج: أن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها، وفي مثل: يدال من البقاع كما يدال من الرجال، وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد، وأستدلت من فلان لأدال منه، وأستبدل الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دول وعقب ونوب، وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما، ونقول دواليك أي دلت لك الدولة كرة بعد كرة وفعلنا ذلك دواليك بعضها في أثر بعض [1]

- التعريف الاصطلاحي للتداولية:

في منظور النقاد هو اللسانيات، وإن كان الأمر la pragmatique إن اقرب حقل معرفي التداولية كذلك فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلي الجديد، باللسانيات وبغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى أما لإنها قريبة منه، أولا لإنه يشترك معها في بعض الأسس العلمية، نظرية كانت أو إجرائية، وذلك قبل وضع تعريف للتداولية، أو تحديد مفهومها، ومن ثم يرى المهتمون أو الدارسون: أنه من اللائق التساؤل عن المعيار الذي يصلح أن يكون ضابطا في تحديد مفهوم التداولية فعلى أي معيار نحدد هذا المفهوم! هل نحدده بناء على معيار البنية اللغوية! إن هذا الصنع، يجعلها مساوية للسانيات البنيوية، فلا يكون أي فرق بينهما، وليس هذا هو ما تقدمه البحوث التداولية! هل نحدد على معيار الإستعمال اللّغوي وحده! إن تحديده على الضابط فيه، إقرار بأن لا صلة تذكر بينه وبين البنية اللغوية، وهو ما يخالف أيضا النتائج التي انتهت إليها آخر الأبحاث والدراسات التداولية، هل نحدده بناء على تعالق البنية اللغوية بمجال إستعمالها! وإن هذا الصنع يبدو مبررا لكنه- إذا ذكر إجمالا دون تفصيل، قد يغفل بعض الصلات الرابطة بين العلوم المتشابكة والمتكلمة مفاهيميا، خاصة مجالات الفلسفة و التداوليات اللّغوية وعلم النفس المعرفي وعلوم الإتصال[2]

1- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيوت، ط1، ج1، ص303
2- حافظ إسماعيلي علوي، التداولية علم إستعمال، عالم الكتب الحديث، إدريد، الأردن، ط1، 2010، ص15

ومن جملة التعريفات التي قدمت للتداولية، وبعد تفحص للعديد منها، إرتأنيا تبني تلك التي ترتبط بموضوعها ووظيفتها:

يقول دلاش(dalash): "أنه تخصص لساني يدرس كيفية إستخدام الناس للأدلة اللّغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"

ونجد أيضا تعريفا عند أن ماري دبير وفرانسوا ريكاني كالتالي: "التداولية هي دراسة إستعمال اللّغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية" [1]

وعلى الرغم من إختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية، وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جداولها... فإن معظمه يقر بأن قضية التداولية هي" إيجاد القوانين الكلية للإستعمال اللّغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية ومن جديرة بأن تسمى علم الإستعمال اللّغوي.[2]

كما نجد أيضا التداولية هي دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية، وتواصلية وإجتماعية في نفس الوقت، وبناء على ما تقد يمكننا القول كذلك بأن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية.

1- فرانسواز ارمينيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، بيروت، لبنان، ص7
2- مسعود صحراوي، التداوليه عند العلماء العرب، دراسة تداوليه لظاهرة افعال كلامية، ص 17-18

الفصل الأول

التداولية (نشأتها وأصولها)

*نشأة التداولية وتطورها

*الجذور المعرفية للتداولية

* علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى

*القضايا الأساسية للتداولية

تمهيد:

أضحت الدراسات في مجال التداولية إهتمام العديد من النقاد والدارسين في شتى تخصصات المعرفية، خاصة التواصلية منها، بإعتبار أن التداولية نحتاجها تقريبا في معظم المعرف الإنسانية: علم الإجتماع وعلم النفسي، وعلم الإتصال، والنقد الأدبي، والبلاغة، والسيميائيات، وتحليل الخطاب واللسانيات وغيرها من الحقول المعرفية.

ولا تبالغ إذا قلنا أن هذا العلم قد طغى مؤخرا على ميدان الأبحاث اللسانية خصوصا في مجال التواصل اللساني، فلقد أعطت التداولية أهمية قصوى للمتلقي على حساب الظروف السياقية وألباث نفسه.

1/ نشأة التداولية وتطورها:

إذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية فسوف نلاحظ بدايات هذا التيار المعرفي، تعود إلى الخمسينيات من القرن العشرين وبالتحديد إلى سنة 1956م، وإلى أولى مقالات تشومسكي، ونيوال وسيمون ومينسكي، وساك كولوك، ويمكن لنا كذلك إرجاع نشأة التداولية إلى عام 1955م، عند ما ألقى جون اوستن محاضراته في جامعة هارفاد ضمن برنامج "محاضرات وليام جيمس"[1]

ويعد الفيلسوف الأمريكي شارلز ساندرس بيرس مؤسس البراغماتية أو التداولية حين بين معالمها في مقالين نشر الأولى 1878م بعنوان: "كيف تعجل أفكارك واضحة؟" والثاني عام 1905م بعنوان: "ماهي البراغماتية؟"

ولقد كان له الفضل الأكبر في المنعطف الحاسم الذي حصل صوب اللسانيات التداولية لأن العالم بالنسبة إليه يتم إدراكه بواسطة التفاعل بين الذوات والنشاط السيميائي، وهذا يحمل أساس بفضل الأدلة، ونلخص الفكرة في قوله: "لكي تتبلور دلالة فكرة ما يجب علينا بكل بساطة تحديد العادات التي تتولد عنها، وأن السمة المميزة للعادة إنما تكمن في الكيفية التي تحملت على العمل، لا في الظروف المحتملة فحسب بل في الظروف الممكنة الحصول بل حتى في تلك التي يتعذر تصورها"[2]

1- ينظر: ان روبول موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطبعة للصناعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص28

2- ينظر: حورية رزقي، الاحاديث القدمي من منظور اللسانيات التداولية، مذكرة مقدمة لنيا شهادة الماستر في علوم اللسان، كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم الادب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص13

وبدأت ملامح التداولية ترتسم مع الفيلسوف تشارل بيرس حيث نشر مقالا عام 1998م ميز فيه بين مختلف الإختصاصات التي تعالج اللغة وهي علم التركيب(وبالإجمال نحو الذي يقتصر على دراسة العلاقة بين العلامات) وعلم الدلالة(الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعين المعنى الحقيقي بين العلامات وما تدل عليه)، وأخيرا التداولية(التي تعني في راي موريس بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها)، وفي مفهومه التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب، وظرفي الزمتن والمكان مثل (الان، هنا) والتعابير التي تستقى دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، اي من المقام الذي يجري فيه التواصل.[1]

كما لا يمكننا إغفال ما أسهم به عالم النفسي الألماني كاربرهلر حيث قدم نقدا قام به سوسير من إهتمام بالبينة اللّغوية معتبرا إياه تحليلا بواسطة ساطور جدار، وإقترح صيغة تداولية بإهتمام بالفعل اللّغوي فهو يناشد لسانيات ديناميكية غير سكونية من أجل لسانيات النشاط اللغوي.

كما تتصرف مهمة علم اللسانيات إلى دراسة الإستعمال البشري الخاص للدليل حيث أن المرسل يسعى إلى التأثير في المرسل اليه، وتكون بذلك العلاقة الثلاثية قائمة بين كل من المرسل والدليل والمرسل إليه[2]

ولقد كانت تشأة التداولية على يد الفيلسوف جون أوستن عندما ألقى محاضرات وليام جيمس عام 1955م، إلّا أنه لم يكن يفكر في إختصاص فرعي للسانيات، وإنما كان هدفه تأسيس إختصاص فلسفي جديد وهو فلسفة اللغة ونضج في ذلك بيد أن محاضرات وليام جيمس، تتكون كذلك نواة التداولية اللسانية ومتمثل فيها خطب الرحى طوال ثلاثين سنة[3]، وكانت غاية من تلك المحتضرات وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية الانجلوسكسونية هذه الأخيرة التي نشأت في العقد الثاني من القرن العشرين على يد الفيلسوفي الألماني "غوتلوب فريجة" (1845-1925م) في كتابه أسس علم الحساب حيث أن هذا الفيلسوف لم يأت بقيمة فلسفية ثمينة فحسب بل في ما طرحه تعبير ثورة او إنقلابا فلسفا جددا من وجهة نظر فلاسفة اللغة.[4]

1- - ينظر: ان روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص29
2- ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل الى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 29
3- ينظر: ات رويول وجاك موشلار (م،س) ص 29
4- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان- 2005، ص18-19

وتتجلى تلك القيمة في رؤية الدلالة خصوصا تمييزه بين الإسم العلم والإسم المحمول، وبين المعنى والمرجع، محدثا قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بين مفهومين تداولين هامين هما: الإحالة والإقتضاء. وقد تأثر بهذا التجديد الفلسفي الذي جاء به "فريجة" عدد من الفلاسفة منهم: "هوسرل" و"كارناب" و"فيتغنشتاين" و"أوستن" و"سورل" وغيرهم [1]

وكان الأساس الذي رأساه أوستن مفاده أن اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع: فكل الجمل (عدا الإستفاهمية والأمرية والتعجبية يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة [2]

وأطلق على ذلك مصطلح المغالطة الوصفية، ورأى أنه هنا نوع آخر من العبارات الوظيفية في تركيبها

لكنه لايصف وقائع العالم ولايمكن وصفه بصدق ولا كذب، كان يقول رجل مسلم لإمرأته: أنت طالق أو يقول: أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان أو يقول وقد بشر بغلام: "سميته يحي"، فهذه العبارات لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي ولا توصف بالصدق أو الكذب، بل أنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تنشئ قولا بل تؤذي فعلا فهي أفعال كلام، أو هي أفعال كلامية [3]

وإنطلاقا من هذه الملاحظة توصل أوستن إلى تقسيم الجمل إلى وصفية وإنشائية، فالوصفية هي التي تقابل في العربية الجمل الخبرية ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب. كما يمكن لها أن تطابق الواقع أو لا تطابقه، في حين تتوفر الإنشائية على عدد من خصائص لا توجد في مجال الوصفية من ذلك أنها تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال وتتضمن فعلا من قبيل الأمر أو الوعد أو القسم... ويفيد معناها على وجه الدّقة إنجاز عمل وتسمى هذه الأفعال أفعال إنشائية لا تقبل الحكم عليها بمعيار الصدق أو كذب، بل يتم الحكم عليها بمعيار التوثيق أو الإخفاق.

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص20-21
2- ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 29-30
3- ينظر: محمود احمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص43

لقد ظن أوستن في البداية أن هذا التقسيم بسيط، ولكنه إكتشف بعد ذلك أن بعض الجمل الإنشائية غير مستندة لضمير المتكلم في زمن الحال، ولا تتضمن فعلا إنشائيا مثل: "رفعت الجلسة" وقد قادته هذه الملاحظة إلى التمييز الجديد الذي لا يزال مقبولا إلى يومنا هذا، مفاده أن كل جملة تامة مستعملة، تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، وميز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية، العمل القولي، والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير في القول[1]

ومن هنا قسمت الأفعال اللغوية إلى فعل الكلام والفعل الإنشائي، والفعل التأثيري ويمكننا تلخيص ذلك بتقديم مثال بتحليل هذا القول: "إن لم تتعلم سأهجرك" فإن فعل الكلام هو إنتاج هذه الجملة في حد ذاته، أما الفعل الإنشائي فيمثل في التهديد أو التحذير، في حين أن الفعل التأثيري يتعلق في هذه الحال بإستشارة الخوف أو العدوانية أو التصميم على التعلم. ويأتي "جون سورل" ليحتل موقع الصدارة إتباع "أوستن" و"مريديه" فلقد إعادة تناول نظرية أوستن وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: المقاصد والمواضعات، وبالفعل يمكننا إعتبار الأعمال اللغوية والجمل التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن المقاصد وتدقيقها وهذا المظهر كان حاضرا لدى "أوستن" ولكن سيعرف أوجه تطوره عند "سورل" [2]

من الملاحظ أن "سورل" لا يهتم إلا بالأعمال المتضمنة في القول، فلقد شك في وجود أعمل تأثير بالقول، ويتمثل إسهامه الرئيسي في تطوير هذه النظرية من خلال تمييزه في الجملة، بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول بحد ذاته، وهو ما يسميه: "إسم القوة المتضمنة في القول"، وما يتصل بمضمون العمل ويسميه:"إسم المحتوى القضوي"، وعلى سبيل مثال إذا أردنا تحليل جملة: "أعدك بأن أحضر غدا" نجد أن "أعدك" هو إسم القوة المتضمنة في القول و"أن أحضر غدا" هو إسم المحتوى القضوي، وهكذا فإن القائل الذي يتلفظ بالجملة أعدك بأن أحضر غدا يقصد في المقام الأول الوعد بالحضور.

1- ينظر: ان روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص31
2- المرجع نفسه، ص 31

ويحقق قصده بفضل قواعد لسانية تواضعية تحدد دلالة الجملة وبتعبير آخر فإن قائل هذه الجملة يعبر عن نية بالحضور من خلالها ويخبر عن قصده بإنتاجها وبالتالي فإن للمتكلم مقصدين هما:

أ/ الوعد بالحضور غدا.

ب/ إبلاغ هذا المقصد من خلال إنتاج جملة "أعدك بأن أحضر غدا" بموجب القواعد التواضعية المتحكمة في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة.

ويتمثل الإسهام الثاني "السورل" في تحديد الشروط التي يجب أن تحققها أفعال الكلام لتضمن الإنجاز الموفق وهي: 1- شروط مضمون القضية: وظيفته وصف مضمون الفعل، إذ يمكن أن يكون مجرد قضية بسيطة، أو دالة قضوية، أو فعلا للمتكلم، أو فعلا لأحد المتخالطين.

2- الشروط التمهيدية: تتعلق بما يعمله المتكلم عن قدرات وإعتقادات ومقاصد المستمع، بالإضافة إلى طبيعة العلاقات بينهما، وتقتضي توفير الشروط الأولية لتحقيق الفعل الكلامي المباشر.

3- شروط الصدق: تحديد الحالة النفسية للمتكلم وقت إنجاز فعل الكلام إذ يطلب منه أن يكون جاد الحطة إنجاز الفعل التكلمي، فالدعاء يقتضي الإعتقاد والأمر يتطلب الرغبة.

4- الشروط الجوهية: ترصد الغرض التواصلي من الفعل التكلمي الذي يلزم المتكلم بواجبات معينة، فعلية أن ينسجم في سلوكاته مع ما يفرضه عليه ذلك الفعل. [1]

2/ الجذور المعرفية للتداولية:

لقد وضع أوستن وتلميذه "سورل" نواة التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية، إذ طور من وجهة نظر المنطق التحليلي مفهوم "العمل اللغوي" وقد كان "أوستن" أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد، أما "سورل" فهو يدرس بجامعة بركلي بكاليفورنيا [2]

1- ان روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 33-34
2- ينظر: فليب بلا نشيه: التداولية من اوستن الى غوفمان، تر: صلبر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سوريا، 2007، ص20

فكرة النظر في التأثيرات الفعلية للخطاب، لم تكن أمرا بدءا في الستينيات من القرن العشرين، حيث كان أوستن أول من بعث الأعمال اللغوية، بل كانت الفلسفة تهتم باللغة من القديم، وكان البلاغيون القدامى تداوليين أن كانوا يفكرون في الصلات القائمة بين اللغة والمنطق (وخاصة المنطق الحجاجي) من جهة وآثار الخطاب في السامع من جهة أخرى [1]

ليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد ينبثق منه، ولكن تنوعت مصادر إستمداده، إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي إنبثق منه فالأفعال الكلامية مثلا مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار" الفلسفة التحليلية" بما إحتوته من مناهج وتيارات وقضايا، وكذلك مفهوم "نظرية المحادثة" الذي إنبثق من فلسفة بول غرايس وأما "نظرية الملائمة" فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي [2]

وبما أن الفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي الأول مفهوم تداولي هو الأفعال الكلامية فقد بات من الضروري التعريف بهذا التيار الفلسفي وبمختلف إتجاهاته وقضياه والفلسفة التحليلية لا تعنينا لذاتها، ولكن ما يهمنا منها هو لحظة إنبثاق ظاهرة الأفعال الكلامية لأن الفلسفة التحليلية هي السبب في نشوء اللسانيات التداولية [3]

فالتداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتقسيم البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وإشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الإستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة الظاهرة التواصل وتفسيره، وعليه فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول، كالبنية في الإنتاج وعلاقة البينة اللغوية بظروف الإستعمال... الخ [4]

1- ينظر: فليب بلا نشية : التداولية من اوستن الى غوفمان، ص 20
2- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1،2005، ص17
3- ينظر: المرجع السابق، ص 17
4ينظر: المرجع السابق، ص 16

تعد التداولية حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها:

الفلسفة التحليلية، ممثلة في الفلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملائمة على الخصوص ومنها علوم التواصل ومنها اللسانيات بطبيعة الحال [1]، ويمكن تصوير ذلك في الشكل الآتي:

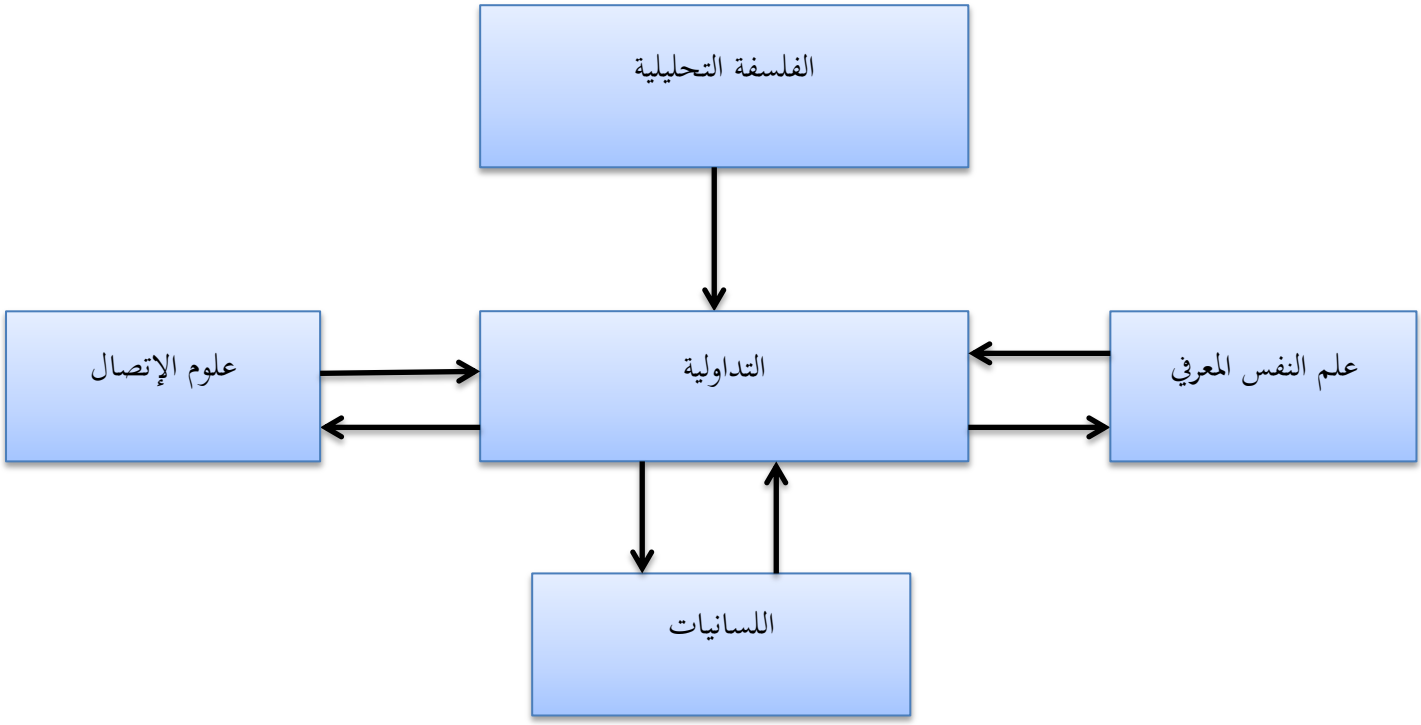

مفهوم الفلسفة التحليلية:

نشأت بمفهوم علمي صارم في العقد الثاني من القرن العشرين بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجه)(1848-1925) في كتابه "أسس علم الحساب" وكانت دروسه في الجامعة الألمانية مورد الطلاب الفلسفة والمنطلق من مختلف الأصقاع الأوروبية لا سيما ألمانيا والنمسا على الرغم من قلة إنتاجه المكتوب [2]

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص16
2- المرجع نفسه، ص18

حددت الفلسفة التحليلية لنفسها مهمة واضحة منذ تأسيسها إلا وهي إعادة صب إشكالات وموضوعات فلسفية على أساس علمي، وقد تأثر بالتحديد الفلسفي الذي جاء به (فريجه) عديد من الفلاسفة منهم: هوسرل، وكارناب، وفيتغنشتاين، وأوستن، وسيرل وغيرهم... يجمع بين هذه الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة، مفادها أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهذه الأخيرة تعبر له عن هذا الفهم [1]

بإختصار الفلسفة التحليلية تتلخص في مطالب وإهتمامات ثلاثة:

* ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم (خاصة الجانب الميتافيزيقي).
* تغيير بؤرة الإهتمام الفلسفي من موضوع نظرية المعرفة إلى موضوع التحليل اللغوي.
* تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية، ولا سيما مبحث الدلالة وللظواهر اللغوية المتفرعة عنه.[2]

ومن هنا إنقسمت الفلسفة إلى ثلاثة كبرى هي:

*الوضعانية المنطقية: بزعامة رودولف كارناب.
* الظاهراتية اللغوية: بزعامة إدموند هوسرل.
* فلسفة اللغة العادية: بزعامة فيتغلنشتاين.

وهذه الإتجاه الاخير "فلسفة اللغة العادية" هو الذي نشأ بين أحضانه ظاهرة" الأفعال الكلامية"

وملخص موقع الإتجاهات الثلاثة من التداولية في الخطاطة أدناه:

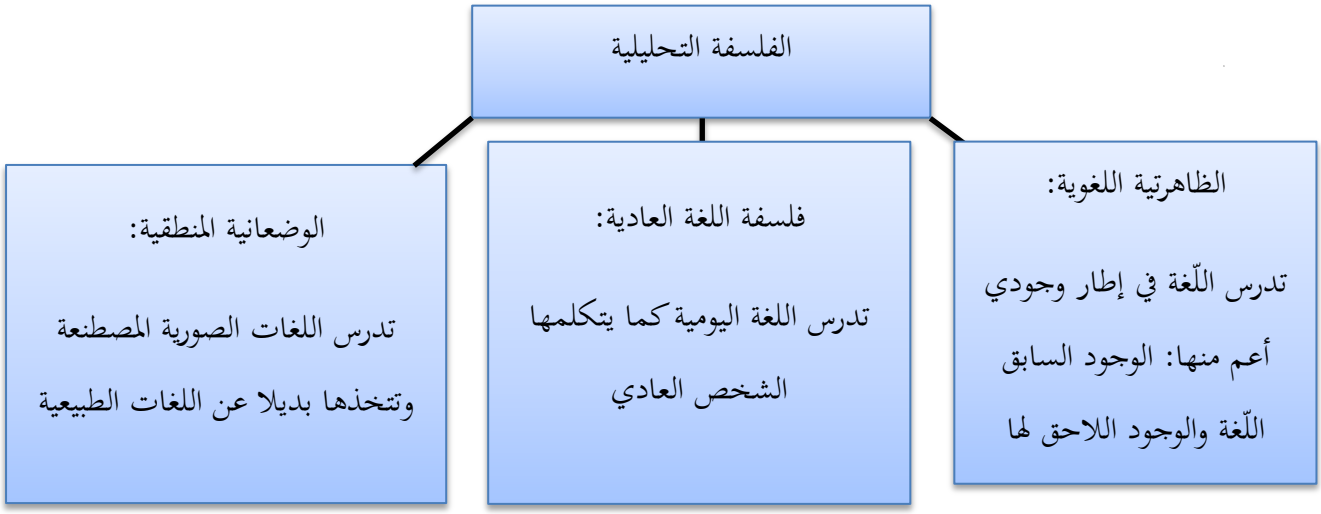

1- ينظر: مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص21
2- المرجع نفسه، ص 21

3/ التداولية والحقول المعرفية الاخرى:

تلتقي التداولية في دراستها للغة مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة، وهذا ما جعلها تتداخل مع عدة علوم بينها: اللسانيات البنيوية والأسلوبية، وعلم الدلالة، وعلم البلاغة، تعليمية اللغة واللسانيات النفسية والإجتماعية، واللسانيات النصية وتحليل الخطاب...

أ- التداولية وعلاقتها باللسانيات البنيوية: تهتم البنوية بدراسة اللغة، حيث أقر فرديناند دي سوسير أن اللغة نظام معقد، وحصر غايتها بالمكونات الداخلية للنص ووضع ثنائية شهيرة هي : اللغة والكلام في قوله: "اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة" [1]

وهذا يعني أن سوسير أبعد الكلام وإعتبر اللغة بنية مغلقة، أي أن اللسانيات البنيوية تهتم أساسا بنظام اللغة، كما أن التداولية تهتم بدراسة الكلام. إن الكلام ليس معزول عن اللغة إلا اقتراضا، فاللغة تتحقق إلا في مستوى الكلام. وتبقى حاملة لأهم خصائص من يؤذيها مهما إجتهد في تجاوز ذلك، فالكلام مظهر من مظاهر تحقق اللغة واقعا ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضح بينهما، وعلى هذا الأساس ترى أن كل منهما بحاجة للآخر ويبقى الإختلاف وارد في منهج الدراسة لكل منهما. [2]

ب- التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة: يمثل علم الدلالة فرعا من فروع علم اللسان الحديث، وبذلك فعلاقته لاتخرج عن علاقة التداولية باللسانييات فكل من التداولية وعلم الدلالة يبحث في دراسة المعنى في اللغة، ومن الضروري بيان حدود الإهتمام بالمعنى في علم الدلالة وحدود الإهتمام به في التداولية، مع أن هذه العلاقة يشوبها كثير من الغموض، لذلك فإن التمييز بين السيميائية والبراغماتية ينطوي على ظلال رمادية في التطبيق العملي حيال تحليل المعنى الذي تؤذيه اللغات وهما إن اشتركا في الموضوع(دراسة المعنى) فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته. [3]

1- فرديناد دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف غزير، دار الكتب للطباعة والنشر، بيت الموصل-بغداد-دط،1998، ص37

2- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص123

ثم أن الفرق بين المعاني، ومقاصد المتكلمين وثيق الصلة بالفرق بين علم الدلالة، وعلم التخاطب، فالمعاني اللغوية(التي هي معاني وضعية تفهم من مفردات اللغة وتراكيبها، تنضوي في إطار إهتمامات علم الدلالة لأن إستنباطها لا يحتاج إلى عناصر خارج البنى اللغوية، أما مقاصد المتكلمين فلا يمكن التوصل إليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام ومعرفة المخاطب والمخاطب وأعمال القدرات الإستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عن التعامل مع الكلام [1]

ج- التداولية وعلاقتها بالأسلوبية: تعد التداولية والأسلوبية علمين مرتبطين باللغة، ولكنهما يختلفان من حيت منهج الدراسة، فالأسلوبية تقف عند حدود جمالية القول، في حين التداولية تنظر في قيمة القول خارج العالم اللساني أي هي تنظر إلى البعد العلمي للقول، وإذا نظرنا إلى أدوات التحليل التداولي: والمنطلق يتخذ من الأقوال العادية والأقوال المصطنعة مدونة له، أما الأسلوبية تتناول في الغالب تحليل الخطاب الأدبي ومن ثمة فإن التداولية والأسلوبية مدونتين متنافرتين عن التعليق، وهي أهم أوجه المماثلة والتشاكل من هذين المنهجين الأسلوب والتداولية[2] ، يتضح من أن الأسلوبية تهتم بجمالية العبارة، وتدرس الإنزياح في النص الأدبي، في حين التداولية تهتم بدراسة العبارة أثناء إستعمالها والتي من شرطها تحقق القول بالفعل.

د- التداولية وعلاقتها بعلم البلاغة: تدرس البلاغة كل مايرتبط بإستعمال وممارستها أثناء عملية التواصل قصد، تبليغ رسالة ما، فهي ترتبط بالدلالة على حسن الكلام مع فصاحته، وأدائه للغاية المراد منه (القصد) فهي مأخوذة من قولنا: "بلغ الشيء منتهاه وأدرك أقصاه، فالبليغ من الناس من يصنع من كلامه تعبيرا أعما في صدره فبليغ به غايته من متلقيه بأيسر طريق، وأحسن التعبير" [3]

3- احلام صولح، افعال الكلام في نهج البلاغة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2013/2012، ص37
1- احلام صولح، افعال الكلام في نهج البلاغة، ص 37
2- صابر الحباشة، الاسلوبية والتداولية، مدخل لتحليل الخطاب، علم الكتب الحديث، الاردن، ط1،2011، ص12
3- باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر: أبحاث

وهذا يعني أن البلاغة العربية والتداولية يشتركان كما هو واضح في الإعتماد على اللغة، كمت نجد المحدثين من يسوي بين البلاغة والتداولية مثل: جيوفري ليتش يقول: "البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الإتصال بين المتكلم والسامع، حيث يحلان إشكالية علاقتها بإستخدام وسائل محددة للتأثير، غير أن دارسي التداولية يرون ضرورة تضييق مجال البلاغة، بإعتبارها أداة ذرائعية، فالتداولية إذا قاسم مشترك بين أبنية الإتصال اللغوي والدلالي والبلاغي"[1]

مما سبق نرى أن كلامها يهتم بعملية التلفظ، والعوامل المتحكمة فيها قبل الكلام وأثناء التلفظ بالخطاب

هـ- التداولية وعلاقتها باللسانيات النصية وتحليل الخطاب: يكاد لا يختلف مصطلح النص وإن كان في الخطاب إيحاء للنص يتجاوز في كونه مجرد سلسلة لفظية بها قوانين لغوية مقامية وبهذا المفهوم يمثل حقلا للسانيات النصية لأنه يقوم على دراسة الإستعمال الفعلي للغة من خلال متكلمين فعليين في مقامات فعلية. وبالتالي فإن الإتجاه التداولي قد إهتم بالفعل الكلامي وبالظروف المحيطة به حيث أن لكل فعل قيمة يكتسبها تدفع السامع إلى القيام بشيء إستجابة لما فهمه من مخاطبه كفعل إغلاق النافذة بمجرد سماع عبارة الجو باردّ[2] إنما اللغة تنتج في وضعيات تواصلية تابعة لمعطيات التواصل التي لا تعني مجرد خطاب لغوي بل تتجاوز لدراسة رد فعل المستقبل في المرسل نفسه و بهذا فالتداولية لم تكن مكتفية بدراسة العلاقة بين المرسل والمستقبل بل تجاوزت ذلك لدراسة رد فعل المستقبل في المرسل نفسه وكذا دراسة العلاقات المتبادلة بين المرسل والمستقبل عبر رسالة إتصالية.

1- نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والاجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص76
2- مرجع نفسه، ص 77

و- التداولية وعلاقتها بعلم النفس وعلم الإجتماع: قد يدخل أحد إلى الغرفة فيقول: "الجو حار" اليوم فأحد الجالسين فيها يفتح النافذة إن إستجابة هذا الفرد تستند إلى السرعة البديهة، وقوة الذاكرة، وبعض جوانب الطبع، فعلى الرغم من أن المتكلم لم يطلب إلى سامعه فتح النافذة إلا هذا التواصل بين الطرفين وفهم مقاصد بعضهم يعد بعدا تداوليا، ولذلك نقول أن التداولية تعتمد في درسها على مقولات اللسانيات النفسية، ولا دليل على ذلك خير من "نظرية الملائمة" أو ما سميناه سابقا "مبدأ التعاون" فإيراد الخطاب بالكم المطلوب، والكيف المناسب نابع من شخصية الفرد وهو بعد نفسي تداولي. أمّا عن علاقتها باللسانيات الإجتماعية فيمكن أن يؤرخ لها بظهور المدرسة الإجتماعية اللسانية بزعامة فيرث الذي تأثر بنزعة دوركايم الإجتماعية للغة، هذه المدرسة نشأت كرد فعل على اللسانيات البنيوية التي أبعدت المكون الاجتماعي عند التحليل اللغوي، وجدت صداها ضمن ما يسمى باللسانيات التداولية فلكي نعمد إلى تحليل اللفظ ضمن السيرورة الإجتماعية؛ لا بد أن تأخذ بعين الإعتبار الإهتمامات المنطقية والفلسفية فضلا عن مفهوم البراغماتية، فإن سمعنا مثلا عبارة "الطقس حار" من غير معرفتنا طبيعية الظروف التي قيلت فيها فإننا نفهم لا محالة أنها مختلفة عن عبارة الطقس ممطر غير أنه من المحتمل أن يلجأ أحد السامعين لهذه العبارة والتي دفعتنا الى القيام بهذا العمل تسمى براغماتية[1]

وبهذا لا يمكننا أن نعتمد على البعد التداولي دون البعد الإجتماعي رغم كون الأول حديث العهد، إلا أنه يعد أحدهم المعارف التي تناولت الخطاب

ي- التداولية وعلاقتها بتعليمية اللغة: تستند التعليمية في الوقت الحاضر إلى مقولات البحوث التداولية التي أسهمت في مراجعة مناهج التعليم ومناهج الإختبارات والتمارين وعدت البعد التداولي للغة أحد أهداف العلمية التعليمية، وإلى جانب ذلك: فقد إنتقلت طرق تدريس اللغات الأجنبية التي تتعامل مع لغات مثالية في مواقف مثالية، فقد إستفادت من التداولية وبالتحديد فيما يخص عملية التعليم من حيث مناهجه وتطبيقاته[2]

1- ينظر: بيار اشار:سوسيو لوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب تزو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان،1995، ص89-90
2- ينظر: خلينة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلة في الدرس العربي، بيت الحمة للنشر والتوزيع، ط1،2009، ص 133

لنا أن نلخص ما سبق ذكرناه في المخطط التالي:

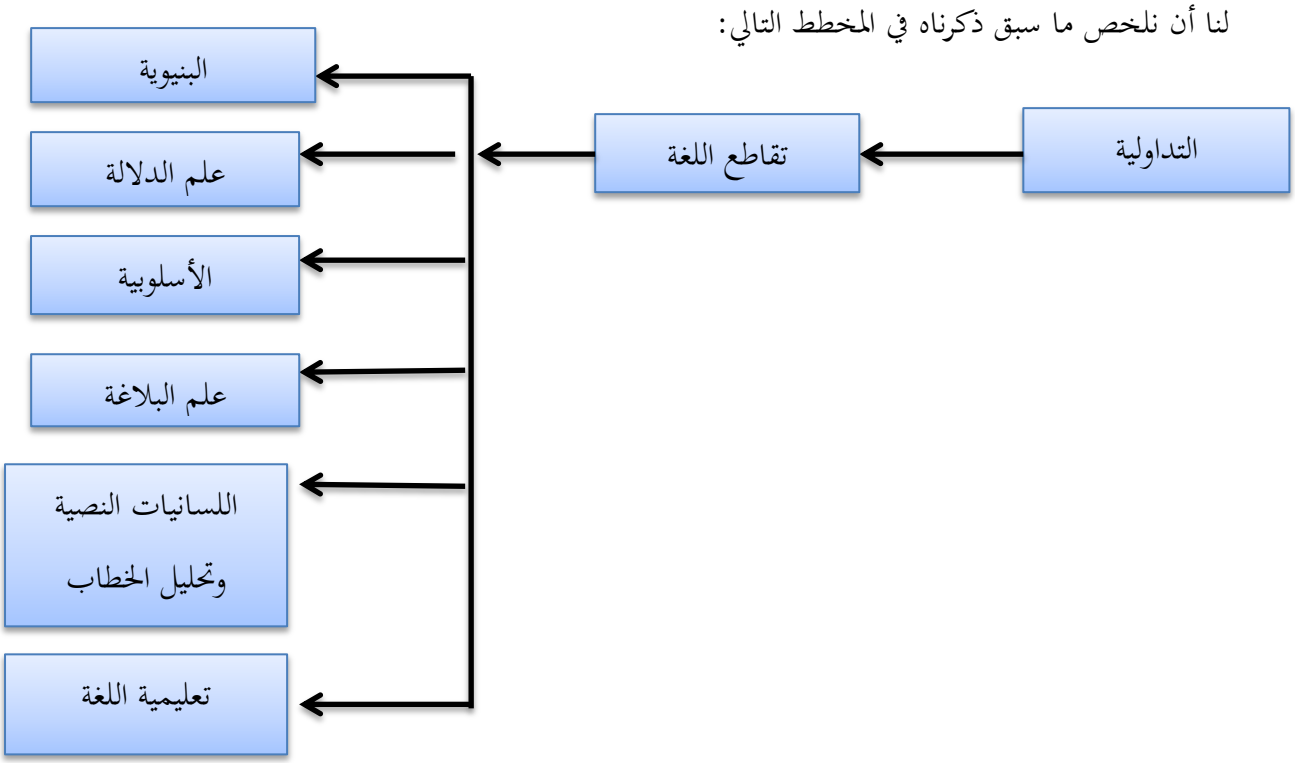

4/ القضايا الأساسية للتداولية:

أ- نظرية الأفعال الأساسية للتداولية: نشأت فكرة الأفعال الكلام أو أفعال اللغة من أهم مبدأ في فلسفة اللّغوية الحديثة، وهو أن الإستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث إجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه، وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما[1] ينطلق عليه مقياس الصدق والكذب وهي العبارات الخبرية مثل: (الجو جميل صادق في حال واحدة هي جمال الجو واقعا وكاذبة في غير ذلك) [2]

1- ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012، ص72-73

2- ينظر محمود احمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الجامعية الاسكندرية، مصر،دط،2002م، ص 42

وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنه يقبل إلا إذا كان خاضعا للتمحيص والتجريب وأن الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها، معناه أن أهم شيء في الفلسفة اللغوية هو وجود أفعال الكلام وأفعال اللغة لإثبات الكلام المنطوق، ومن الذين تصدّوا لهذه الفكرة أوستن من خلال محاضراته بجامعة هارفاد في 1955، حيث بين أن دلالة الجملة في اللغة العادية لسي بالضرورة إخبارا وهي ليس مقيّدة بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق أو الكذب، وأن القصد من الكلام هو تبادل المعلومات، مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي وتأثير في مواقعه[1]

ب– أفعال الكلام كفكرة: وهي الفكرة التي نشأت منها اللسانيات التداولية ومن أهم مراجعها، بل يمكن التأريخ منها للتداولية، حيت إرتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع، وهذه التسمية إقترحت في سنوات الستينيات من "أوستن"

ج– الملفوظية: هي إتجاه جديد في دراسة اللغة، يوسع في مجال اللسانيات السويسرية التي نظرها لسانيات غير ملفوظية، وتطورت مع بنفست وأتباعه، منطلقة من تطور جاد للثنائية السويسرية(لسان/ الكلام) ومستندة إلى مفاهيم التداولية الجديدة في شرح علاقة اللغة بالمتكلم، ولذلك عدت تيارا موازيا في نشأته للتداولية، إذ لم يكن منسجما فيه[2]

د– فكرة أفعال الكلام عند أوستن: إقترح أوستن قسما ثانيا من العبارات جانب (العبارات الوصفية) هو (العبارات الإنجازية) التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها[3].

كما أن لهذه العبارات الإنجازية شروط أوضحها الدارسون ولا تتحقق إنجازيتها إلّا بها وهي:

– أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وعد، سأل، قال...

– أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم، أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها

– أن يكون زمن دلالتها المضارع

1- خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 73
2- مرجع نفسه، ص 74
3- مرجع نفسه، ص 74

وهذه الشروط تجمع بين المستويين النحوي والمعجمي، ويتميز الفعل الإنجازي عن الوصفي (الإخباري) يكونه عاكسا لأثار التي ينجزها كلامنا، وهو فعل دقيق للغاية ثم لاحظ أوستن بعد ذلك أنه يمكن تقدير فعل، وفق الشروط المذكورة في العبارات الملفوظية لإنجازية على نوعين:

* إنجازية صريحة مباشرة: فعلها ظاهر[أمر، نفي، دعاء، نهي] بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

* إنجازية ضمنية غير مباشرة: فعلها غير ظاهر نحو: الإجتهاد مفيد (الأول) الإجتهاد مفيد: أمرك أن تجتهد، ونحو قوله تعالى: « وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور»[2] (أقول) إحذروا

وميز أوستن بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:

*فعل قولي: يقابل التلفظ بالصوات (فعل صوت) والتلفظ بالتراكيب (فعل) تركيب

* فعل إنجازي: (القول الفاعل) يحصل بالتعبير قصد المتكلم من أدائه: يعد، يخبر، يعجب (الجانب التبليغي والجانب التطبيقي)

* فعل تأثيري: (إستلزامي) يحصل حيت يغير الفعل الإنجاز من حال المتلقي بالتأثير عليه، وإستنادا الى مفهوم القوة الإنجازية يحصي أوستن خمسة أصناف من الأفعال الكلامية وهي:

- الأفعال الحكمية(الإقرارية): حكم، وعد، حلل، وقوم ...
- الأفعال التمرسية: تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة الأفعال: أمر، قاد، دافع عن ...
- الأفعال التكليف (الوعدية): يلزم المتكلم سلسلة أفعال محددة: وعد، تمنى، إلتزم، أقسم ...
- أفعال العرضية (التعبيرية): تستعمل لعرض مفاهيم: أكدّ، أنكر، أعترض، وهب، أجاب ...
- أفعال السلوكات (الإخبارية): ردود أفعال، تعبيرات إتجاه السلوك، إعتذر، هنأ، حي ...

1- خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 74
2- سورة الحديد، الاية 20

*أفعال الكلام عند (سيرل): هو أول من أوضح فكرة أوستن السابقة، وشرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كل فعل، إلى جانب بيانه شروط تحول الفعل من حال إلى حال آخر[1]

ومما قدمه سيرل أيضا أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية، وميز بين أربعة أقسام: فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي)، الفعل القضوي (الإحالي والجملي)، الفعل الإنجازي(على نحو ما فعل أوستن)، الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستن)

وسرعان ما أعاد إقتراح خمسة أصناف لها وهي:

الأخبار: تبليغ خبرا، وهي تمثيل للواقع وتسمى أيضا: التأكيدات للأفعال الحكيمة

الأوامر: تحمل المخاطب على فعل معين

الإلتزامية: (أفعال التعهد) وهي أفعال التكيف عند أوستن حين يلتزم المتكلم شيء معين.

الإنجازات: أو الإدلاءات وتكون في التلفظ ذاته [2]

أما عن تصنيف الأفعال الكلامية العربية فان محمود نحلة اقترح أيضا تقسيما الأساليب العربية على غرار ما يعرضه أوستن أو سيرل حيت صنفها إلى خمسة أنواع وهي: الايقاعات/ الطلبيات/ الإخباريات/ الإلتزاميات/ التعبيريات[3]

مفهوم الإفتراض المسبق: عند كل عمليات التبليغ، ينطلق الأطراف (المتخاطبون) من معطيات أساسية معترف بها ومعروفة، وهذه الإفتراضات المسبقة لا يصرح بها المتكلمون، وهي تشكل خليفة التبليغ الضرورية لنجاح العملية التبليغية وهي محتواه في القول سواء التلفظ بهذا إثباتا أو نفيا

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص79
2- ينظر: فرانسوان ارمنيكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط، المغرب، ط1، 1987، ص62
3- ينظر: محمود نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص98-104

ويدعى هذا الإختبار إختبار النفي فإن الإفتراض المسبق يظل صحيحا:

* إغلاق النافذة

* لا تغلق النافذة

يشتمل الإفتراض المسبق هذا في كون النافذة مفتوحة.

مثال آخر: لنتصور الحالة الثانية: يقول الطرف الأول1 إلى الطرف الثاني 2 : كيف حال زوجتك؟ وأولادك= يفترض بإن العلاقات القائمة بين هذين الشخصين سمح بطرح مثل هذه الأسئلة يرد الطرف الثاني قائلا: هي بخير شكرا، الأطفال في عطلة.

الإفتراضيات المسبقة كما يرى التداوليون ذات أهمية قصوي في عملية التواصل والإبلاغ ثم الإعتراف بدورها منذ زمن طويل، ولا يمكن تعليم الطفل معلومة إلا بإفتراض مسبق يتم الإنطلاق منه والبناء عليه، فظاهر التواصل السيء سببها الأصلي المشترك هو ضعيف الإفتراضات المسبقة[1]

الإستلزام الحواري: إقترح "غرايس" مفهوم أعم يمكنه أن ينظم التواصل أي نوعا من السلوك العقلاني للفرد، كما يؤسس مبدأ التعاون داخل التبادل التعاوني حول مقاصد المشاركين، وهذه المقاصد ليس في الواقع صريحة بين أطراف التبادل(..) إنها عبارة عن عناصر خفية تعتمد في شكل إتفاق ضمني من قبل المتخاطبين...[2] لقد كانت نقطة البدء عند غرايس هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل مهمته إيضاح الإختلاف بين ما يقال وبين ما يقصد وما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه إلى السامع على نحو غير مباشر[3]

1- الجيلالي دلاش، مدخل الى اللسانيات التداولية تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزئر، دط، دت، ص34

2- المرجع نفسه، ص 35

3- محمود احمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33

ويتضح ذلك من خلال الحوار الاتي بين الأستاذين (أ) و(ب):

*الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

* الأستاذ (ب): أن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز

ولوصف ظاهرة الإستلزام الحواري يقترح غرايس نظريته المحادثية المحكومة بمبدأ عام (مبدأ التعاون) والقائمة على أربعة مسلمات: [1]

1- مسلمة القدر: وتخص قدر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرع إلى مقولتين:

أ- إجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الأخبار

ب- لا تجعل مشاركتك أكثر مما هو مطلوب

2- مسلمة الكيف: ونصها لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقة.

3- مسلمة الملائمة: وهي عبارة عن قاعدة واحدة: لتكن مشاركتك ملائمة

4- مسلمة الجهة: التي تنص على ما يلي: أ- إبتعد عن اللبس

ب- تحر الإيجاز

ج- تحر الترتيب

وتحصل ظاهرة الإستلزام الحواري إذا ثم خرق القواعد الأربعة السابقة فالجملة إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز تستلزم حواريا معنى العبارة ليس الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسة الجامعية في قسم الفلسفة لأنها خرق للقاعدة الثانية، قاعدة الملائمة أول (المطابقة) ذلك أنها جواب غير ملائم للسؤال المطروح هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة.

السياق: إنطلق عدد من الباحثين المحدثين من تحديد للمعنى اللغوي يقوم على معطيات السياق الذي ترد فيه الكلمات، وجعل هؤلاء هذه الدراسة خاضعة للملاحظة والتحليل الموضوعي داخل اللغة، ويصرح أولمان بهذا حيث يرى أن البحث عن العلاقة بين مفهومها عن الشيء والشيء نفسه ليس مهمة من الناحية المعنوية لأن اللغوي يهمه ما تعبر عنه كلمات اللغة من مفاهيم وليس الكلمات نفسها بالموجودة في الواقع[2].

1- مسعود صحراوي، التداولية عن العلماء العرب، ص33

2—ينظر احمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3،1429ه-2008م، ص353

إهتم أصحاب نظرية السياق بدراسة المعنى للكلمة والدور الذي تؤذيه في السياق والطريقة التي تستعمل بها وعلى ذلك عرفوا المعنى بأنه حصيلة استعمال الكلمات اللغة من حيث وضعها في سياقات مختلفة، وعلى هذا يمكن أن ينقسم السياق إلى أربعة أقسام نذكرها: السياق اللغوي، والسياق العاطفي، الثقافي، سياق الموقف، أما الأول فمثاله كلمة عين في العربية وهي من المشترك في سياقك لغوية متعددة قد تعني عين الباصرة، أو عين الماء أو عين الجاسوس... إلخ أما الثاني فمثاله: الذي قدمه أولمان :كلمة جدار محملة بما تفيض به نفسية الإنفعالات، فيرى الجدار حلوا تارة وليتما تارة أخرى، أما الثالث يتعلق بالمقام مثال: يختار كلمة "زوجة" أو "مدام" للدلالة على إمرأته، أما الرابع يدل على العلاقات الزمنية والمكانية مثاله: ما ورد في قضية التحكيم المشهورة من قول الخوارج: "لا حكم إلا بالله" إذ جاء جواب الإمام علي كرم الله وجهه بقوله :كلمة حق يراد بها باطل، لقد أراد الإمام أن هتاف الخوارج كلام ديني صحيح لكن المقام هو إلزام سياسي عن طريق الدين[1]

1- ينظر احمد محمد قدور، المرجع السابق، ص 352- 353

الفصل الثانـي

مفاهيم نظرية لمستويات التحليل التداولي:

المستوى الصوتـي

المستوى البلاغـي

المستوى النحـوي (التركيبـي)

المستوى المعجمـي

تمهيد: لا يتم تحليل لساني أو دراسة لغوية إلا بعد تحديد مستوياتها ولا ينطلق إلا منها، كذلك يتم تحديده هذه المستويات إنطلاقا من وحدات اللغة الأساسية والعلاقات التراتيبية القائمة فيما بينها، فإذا إعتبرنا الصوتمية أصغر وحد لغوية لا معنى لها ضمن سلم العلاقات التراتبية نستمكن من تحديد المستوى الأول من مستويات اللغة وهو المستوى الصوتي وإذ أعددنا أن الصرفمية هي أصغر وحدة كلامية تحمل معنى بين طياتها بعد الصوتمية، يصبح المستوى الثاني هو المستوى البلاغي هو فن من الفنون يعتمد على دقة إدراك الجمال والصفاء للإستعداد الفطري، أما المستوى الثالث هو المستوى النحوي أي المستوى الذي يدرس بنية الجملة، والمستوى الأخير هو مستوى المفردات المعجمي الذي يعد المفردة فيه وحدثة الأساسية، أي أنه مستوى يعني بدراسة الكلمات المنفردة لا من حيث بنيتها الصرفية فحسب بل من حيث كونها وحدة أساسية في متن قاموس اللغة ومعجمها.

1/ المستوى الصوتي:

إن اللّغة في حقيقتها ما هي إلا أصوات أو مقاطع صوتية فالصوت هو البنية الأساسية لأي لغة من اللغات كما أنه المادة الخامة لإنتاج الكلام وربما يظهر مفهومه جليا في تعريف إبن جني: "أعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن إمتداده وإستطالته"[1]

وهذا يعني أن إبن جني قد تفطن إلى كيفية حدوث الصوت اللغوي والذي يتم عن طريق تظافر أعضاء الجهاز الصوتي عند الإنسان، بحيث يشارك كل عضو بطريقة أو بأخرى في إخراج ذلك صوت وأصغر وحدات اللغة هو الصوت مما يعني أن الدراسة الصوتية أصبحت علما قائما بذاته له ضوابط وقوانين معينة ويخضع لمنهج محدد فقد عرفه رمضان عبد التواب قائلا: "هو دراسة العلمية للصوت الإنساني من ناحية ووصف مخارجه وكيفية حدوثه، وصفاته المختلفة التي يتميز بها عن الأصوات الأخرى كما يدرس القوانين الصوتية التي تخضع الأصوات تأثيرها بعضها ببعض عن تركيبها في الكلمات أو الجمل"[2]

ينقسم علم الأصوات إلى قسمين مختلفين: فالشق الأول من هذا العلم يهتم بالدراسة العلمية الموضوعية للصوت الإنساني إذ يحدد مخارج الحروف وكيفية حدوثها وبيان صفاتها المميزة لها عن غيرها أما الشق الآخر من هذا العلم فهو الذي يعني بدراسة وظيفية الأصوات في المعنى اللغوي، أو بعبارة أخرى الدور الذي يلعبه الصوت داخل التركيب أو السياق وقد أطلق عليه بمصطلح علم الأصوات الوظيفي أو الصوتيات الوظيفية[3]

علم الأصوات الفونيك: يعتمد علم الأصوات بصفة كلية على معرفة الكلمة الدقيقة لأعضاء النطق التي تشترك، فيما بينها لإنتاج الأصوات اللغوية وكيفية قيامها بهذه الوظيفية، وذلك لأن عملية النطق بالصوت هي عملية في غاية التركيب والتعقيد فالصوت اللغوي لا يتكون إلا بعدة عمليات متكاملة، فلا تكفي لنطق أي صوت ولذا فهناك مقومات أساسية لنطق الأصوات اللغوية[4]

1- ابو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الاعراب، تح: حسين هنداوي، ط1، ج1، دار القلم، دمشق، 1985، ص6
2- رمضان عبد التواب، مدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص13
3- ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضراته في الالسنة العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986م، ص 49
4- محمود فهمي حجازي، مدخل الى علم اللغة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2006، ص 41

علم الأصوات الوظيفي: الفونولوجيا يتناول التحليل الفونولوجي أصوات اللغة بإعتبارها عناصر حاملة لوظيفة لغوية معينة، فهو لا يهتم بالخصائص النطقية والفيزيائية والسمعية للأصوات باعتبارها غاية في حد ذاتها وإنما يعتبرها مجرد وسيلة لتحديد دور الصوت اللغوي في عملية التبليغ ومدى تأثيره في المتلقي[1] ويذكر حلمي خليل في كتابه دراسات في اللغة والمعاجم الدافع الذي جعل اللغويين يقسمون علم الأصوات إلى شقيه المعروفين فيقول ومع تقدم الدرس الصوتي إكتشف علماء اللغة أن الصوت جوانب غير الوصف الفيزيائي أو الفيسيولوجي أو سمعي له، تمكن في الوظيفة التي يقوم بها الصوت داخل البنية اللغوية، بما له من صلة بالمعنى، فوزعوا الدراسة الصوتية بين هذين الفرعين من فروع علم اللغة ولعل أهم شيء دراسته الفنولوجيا هو الفو نيم الذي هو أصغر الوحدات الصوتية على مستوى التشكيل والتنظيم وهو وحدة غير قابلة للتجزئة إلى وحدات أصغر منها ككلمتي جلب وحلب فمعنى الأولى يختلف عن دلالة الثانية والعنصر اللغوي الذي جعل دلالة الكلمة الأولى تختلف عن الثانية هو وجود صوت الجيم في كلمة جلب وصوت الحاء في كلمة حلب يعني إحلال صوت الجيم مكان الحاء هو تغير في المعنى[1]

2/ المستوى البلاغي:

يعتبر المستوى البلاغي منهجا في دراسة اللغة بإعتبارها كلاما محددا صادرا من مشكل محدد، وموجها إلى مخاطب محدد، بلفظ محدد، في مقام تواصلي محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدد، إذا كانت التداولية في أوجز تعريفاتها هي دراسة مناحي الكلام أو دراسة اللغة حين الإستعمال فإن البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء إستعمالها وبكلمة هي فن القول[2]

ومن خلال بحث البلاغيين عن أسرار الإعجاز في القران الكريم ومزايا التراكيب في الأثار الأدبية تأسس لديهم مفهوما تداوليا هو مقتضى الحال حيث يقول صلاح فضل ويأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية لكل مقام مقال

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس اللغوي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009،ص 154
2- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت (ضمن سلسلة علم المعرفة)، العدد (232)، اغسطس 1992، ص 26

وإنطلاقا من البعد التداولي تتبلور وظيفية البلاغة وتفعيلها حيث يقول فان ديك والفكرة الأساسية في التداولية هي أننا عندما نكون في حالة التكلم عن بعض السياقات فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأفعال المجتمعية وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال[1]

ويمكن تلخيص ما بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية في مقولة بعض الباحثين: "إن البلاغة العربية والتداولية يشتركان في الإعتماد على اللغة، بعدها أداة ممارسة الفعل على المتلقي في سياقات مخصوصة" كما يرى جيفري بيشت أن البلاغة تداولية في صميمها وهي ممارسة الإتصال بين المتكلم والسامع[2]

3/ المستوى التركيبي (النحوي):

يعد المستوى التركيبي من المستويات الأساسية التي يقوم عليها التحليل اللساني، إذ أن بنية اللغة لا تكتفي كونها مجرد صياغة المفردات وفق القواعد الصرفية، بل تحتاج إلى وظائف معينة تسمى الوظيفة النحوية وهي التي تحتل الكلمات فيها مواقع معينة (رتب) وتشير إليها علامات معينة نسميها (علامات الإعراب) في العربية التي تدل على نوع العلاقة الوظيفية والدلالية التي تربط بين الكلامات أو المفردات داخل التركيب، فالنحو هو علم قواعد الجملة الذي يهتم بدراسة التراكيب والجمل، وهو الجزء الرئيس للسانيات إذ أنه في الواقع عصب اللسانيات وقلبها النابض بل هو عند البعض أنه اللسانيات ذاتها قلبا وقالبا[3]

فالتركيب عند (سيبويه) هو إجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية، والأصل في التركيب أن الحروف بأصواتها وحركاتها وإنضمامها لحروف اخرى وإنضمام الحروف في الكلمات والكلمات في إتساق تؤدي موقعا من الدلالة المعنوية، فيكون إذن شيجا من العلاقات التي تقوم بين الحروف والكلمات وهذا ما بحثه العرب فيما يسمى (بالإسناد)، فالتركيب إذن يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة، وحركة العناصر وإنسجامها وتلائمها في نطاق تام مفيد، تتألف في المعاني وتتناسق الدلالات لتؤلف وحدة متكاملة تتحصل بها الفائدة[4]

1- فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الرباط(المغرب)، 1982، ص296
2- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ص121
3- دكتور دوكوري ماسيري، مذكرة مستويات التحليل اللغوي عند ابن جني، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا،2013، ص25
4- المرجع السابق، ص 28

التركيب عند اللسانيين المحدثين: تنوعت التعريفات الألسنية لمصطلح التركيب غير أنها تمحورت في فكرة نظم وتأليف الكلمات والجمل، ويعد(دي سوسير) صاحب أول محاولة جادة في هذا المجال، فالتركيب (تأليف وحدتين أو عدة وحداث متتابعة في السلسلة الكلامية)، إذ يجب أن يجمع التركيب بين عنصرين لغويين دالين على معنى ويكون هذا التركيب وفق علاقات، وهذه العلاقات قسمها دي سوسير إلى نوعين:

1/ العلاقات الإستبدالية

2/ العلاقات الركنية

وهناك مؤشرات إضافية لغوية تستعين بها اللغة لبيان نوع العلاقة الوظيفية الدلالية التي تربط الكلمات بعضها ببعض داخل التركيب أو الجمل وهي نوعان:

أولا: قرائن لفظية

ثانيا: القرائن المعنوية[1]

*القرائن اللفظية: وهي:

1- العلامات الاعرابية: في كلامنا نستغني أحيانا عن الرتبة فنقدم ونؤخر ونغير الترتيب المعتاد للجملة من أجل غرض بلاغي، فتبقى علامات الإعراب هي المؤشر الدال على الوظيفة، مثال قوله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماءُ» خرجت هذه الآية عن النسق المعتاد للجملة (فعل+ فاعل+ مفعول به) إذ تقدم المفعول به لفظ الجلالة (الله) على الفاعل (العلماء) وذلك لغرض بلاغي هو الحصر، والنصب هو العلامة الأعرابية التي دلت على أن المفعول به هو المتقدم والمتأخر هو الفاعل، وهذا النمط يسمى (بالنمط الإعرابي)، لأن حركة الإعراب تحدد وظيفة الكلمة في الجملة، وهذا النمط شائع في لغة العرب لأنها لغة معربة[2].

1- المرجع نفسه: مذكرة مستويات التحليل اللغوي، ص 30
2- مرجع نفسه، ص 32

2- الرتبة: الرتبة نوعان:

أ/ رتبة محفوظة: مثل تقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، والفعل على الفاعل، والمضاف على المضاف إليه، وأدوات الشرط والجزم والنفي التي وصفت بأن لها الصدارة دوما

ب/ رتبة غير محفوظة: مثل تقدم المبتدأ على الخبر، والفاعل على المفعول به، والفعل على الحال، أحيانا تكون هي القرينة الوحيدة لكشف علامة الإسناد، مثل: زار موسى عيسى، (فموسى) فاعل، وعيسى مفعول به، إسنادا إلى أن الأصل تقديم الفاعل وتأخير المفعول به، مع أن ذلك ليس رتبة محفوظة، وإذا قلت: زار عيسى موسى، فعيسى سيصبح فاعل وموسى مفعولا به، فهناك فرق بين الجملتين مرده إلى إختلاف الرتبة، فالموقع أو الرتبة يصبح ذا محتوى دلالي لأنه لا تظهر عليه علامات إعراب فهي أسماء مقصورة، فالموقع ذاته وظيفة فتغير موقع الكلمات في الجملتين غير من الوظيفة النحوية لكل واحدة وكذا دلالتها في الوقت نفسه[1] وهذا النوع يسمى بالنمط التحليلي لإن معرفة الوظيفة التي تقوم بها الكلمة في الجملة تنجم عن تحليل التركيب اللفظي، وهذا النمط هو الشكل السائد في اللغات الأوروبية لعدم وجود الإعراب في لغاتهم.

3- حروف العطف: مثل الواو، الفاء: وهي نوع آخر من المورفيمات ليس مستقلة ولا مقيدة، وإنما مورفيمات وظيفية تدخل تحتها الظروف وحروف المعاني والأدوات بشكل عام، فالواو تكون للقسم، وللعطف وللحال وللمعية والذي يحدد وظيفتها السياق

4- صيغة زمن الفعل: مثال ذلك: الفعل قرأ تتجاوز دلالته الزمنية معنى الماضي إذا ما كان في الجملة (إن قرأت هذا الكتاب وجدته سهلا) فالماضي هنا يفيد المستقبل، لأنه أسلوب شرط فخرج من معناه الأصلي، كذلك قولنا: (حماك الله، رعاك الله) الفعل فيهما للدعاء (صيغة الزمن الماضي في الدعاء لا تفيد الماضي)

1- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومناهجها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،1994، ص178

5- الصيغة: هي المبنى الصرفي للأسماء والأفعال والصفات، وهي قرينة لفظية يقدمها علم الصرفي للنحو، مثال ذلك أن الفاعل والمفعول به، المبتدأ والخبر ونائب الفاعل، يجب أن تكون أسماء لا أفعالا، لذلك لا يتوقع أن يأتي الفاعل فعلا مثل (جاء، أتى)، فلوقلنا (جاء تأبط شرا) لجأنا الى التأويل عن طريق اعراب الحكاية أي: (جاء المسمى بجملة تأبط شرا)[1]

6- المطابقة: قرينة لفظية توثق الصلة بين أجزاء التركيب وتعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين، وتكون المطابقة في العلامات الإعرابية، والشخص، والعدد، والنوع، فإذا قلنا: الرجال الصابرون يقدرون، كأن الترتيب تام المطابقة، أما لوقلنا: (الرجال الصابران يقدر الرجال جمع، الصابران مثنى، يقدر مفرد) فهنا ازيلت المطابقة من موضعين من التركيب

7- الربط هو قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالأخر، وله دور في إبراز المطابقة بين أجزاء الكلام، ويكون الربط بالضمير مستترا وبارزا، فالمستتر نحو: زيد قام، والبارز: زيد قام ابوه

8- الأداة: هو مبنى صرفي يؤدي وظائف خاصة في التركيب النحوي، وتنبه علماء العربية الاوائل للأدوات وأثرها في فهم النصوص الدينية والأثار الأدبية تنقسم إلى: أدوات أصلية (حروف الجر والعطف) / أدوات محمولة (متى، أين، كيف)[2]

*القرائن المعنوية: هي:

1/ الإسناد: هي العلاقة الرابطة بين طرفي الاسناد كالعلاقة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل

2/ التخصيص: وهي قرينة معنوية تضم مجموعة من المعاني مثل: التعدية، الغائية، والظرفية، والإخراج

*التعدية: ضرب عمرا زيدا، إيقاع الضرب على (زيد) تخصيص لعلاقة الإسناد

*الغائية: وذلك بأن نأتي بالمفعول لأجله على التخصيص: أتيت رغبة في لقائك

1- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومنهاجها، ص179
2- المرجع نفسه، ص180

*الإخراج (الإستثناء): يدل الإستثناء على أن الإسناد لا يشمل المستثنى لأنه خرج منه نحو قولنا: نجح الطلاب إلا عليا، فإسناد النجاح هنا إلى الطلاب إستثنى منه واحد للدلالة على إخراجه منهم

*الظرفية: صحوت إذ تطلع الشمس، يخصص الإسناد بتقييده زمانا ومكانا

وبهذا ندرك أهمية المستوى التركيبي في الدراسات اللسانية، لإن إستيعاب البنية النحوية التي يتألف منها التركيب اللّغوي أمر مهم في فهم البنية الدلالية، وهذا ما يسهل التعلم والتعليم، كما أن هذا المستوى يعمل على معرفة التراكيب اللغوية التي يتألف من النص بوظيفة لسانية قائمة بذاتها[1]

4/ المستوى المعجمي:

نقصد به المستوى الذي جرّده صنعة المعاجم من بين المنتج الكلامي المحصل من قبل علماء اللّغة ورواتها، وهو ترجيح من خلال سياقات متعددة وردت فيها اللّفظة، غير أنه ترجيح من غير مرجّح لأنه مسوّغ لتغليب معنى على آخر من غير شاهد من تاريخ الممارسة اللّغوية التي لم يزامنها التأليف، والتي تقلّب في أحضان أطوار عدّة قبل أن تستوي على صورتها التي وافقنا عليها، والتي قيدها التأليف في زمن متأخر

يعرض المعجم دلالات اللفظية المفردة وفق سياقات ورودها ضمن كلام العرب شعره ونثره، وفي الذكر الحكيم ومن المعقول أن نتسأل عن الرباط الذي خوّل لهذه السياقات على إختلافها أن تنتظم هذه المفردة، وبصيغة أخرى ماهي الشحنة الدلالية الكامنة في هذه المفردة والتي أقرتها على تغيير مواقعها محتفظة بكيانها صوتا وجذرا؟[2]

إنّ ترجيح دلالة المفردة في سياق على ما سواه من السياقات يعد مصادرة من غير برهان لأنه يعدم أهمية وأصالة المفردة في الدلالة مطلقا، وينقل الأهمية إلى السياق الذي هو عارض ويمكن أن يلابس أي مفردة اخرى والحق أن السياق كاشف للدلالة وليس المنتج لها أصالة لأن الدلالة كامنة في اللفظية ويفيضها السياق بوصفه عاملا خارجيا متيحا ومساعدا ليس غير من هنا أمكن أن نلخص إلى نتيجتين مهمتين أولاً هما أنه حتى وإن تيسرت صياغة معجم تاريخي يلاحق المفردة ويرصد مواقعها السياقية زمنيا[3].

1- احمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، علم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط6،1988،ص93
2- المرجع نفسه، ص95
3- المرجع نفسه، ص96

فإن ذلك لا يهينا شيئا: أبال في هذا الباب، فلو هيّئ لمشروع لغوي ينظم المعجمات نظما تاريخيا ما أغنى ذلك شيئا عن أهمية الدلالة التي تحملها المفردة بعيدا عن السياقات تاريخيها ولغويها فمعرفة السياق الأول للفعل ضرب أول ما أستعمل وإنه البطش قد نفسره عقليا بأنه المعنى الأول بحكم أن البطش أمر حسي، والضرب بمعنى الإرسال.

في قولنا (أضرب مثل) معنوي غير أن هذا لا يعفينا من إستيضاح الرباط الجامع بين ضرب المادي وضرب معنوي وكيفية إنتقالها من هناك إلى هنا وبما أنه ليس كل السياقات قابلة لهذه المفردة إلا سياقات بعينها مثل (ضرب فلان في الأرض) و(ضرب الأمير الدراهم)، فإن معناه أن هذه المواقع السياقية تستجيب لطبيعة المفردة وأن السياقات المقبولة المرشح لها بمشرح ما وإلا صارت لفظة قابلة لإحتلال أية سلسلة في احتمالية عشوائية، يستصغى مما سبق أن الدلالة في عمق المفردة وان السياقات تنوع لا يخرج عن دلالة محورية تسمح بدلالات نوعية حافية، وليس من اليسير إنتزاع هذه الدلالات المحورية وإستخلاصها من مجموع الإستعمالات الكثيرة في كلام العرب فالمعنى المركزي في ضرب تقديري[1] هو الثبات والملازمة، إذ ضرب بمعنى بطش فيها ثبات آلة الضرب على المضروب، فلا يسمى ضربا دون ايقاع آلة الضرب على المحل وقد يكون ثبات الأثر من جرح وكدم وألم وغيرها، وضرب الدراهم تثبيت وترسيم للعملة حتى لا يتداول غيرها، وضرب في الأرض شيء طويل يثبت عليه صاحبه، فلا يقال لليسير، وضرب المثل تبيثه بحيث يجري دائما بحكم والملازمة في قوله تعالى: «ضرب عليهم الذلة والمسكنة» أي لا زمتهم وشيء ضارب في القدم بمعنى تبث على القدم دهرا، وهو أبلغ من القديم وما إليها[2]

وللمفردة ثبات على دلالتها في حالة طروء التغيير على تركيبها داخل ذاتها هي بحيث تحافظ على النفس الدلالة مهما تبادلت أصواتها المواقع تقديما وتأخيرا، وأوّل من ألفت هذا أبو عليّ الفارسي شيخ إبن جني، الذي يصرح بذلك، وبأنه زاد عليه بالتوسع وأمعان النظر في الوقت الذي إكتفى شيخه بالإشارة الصابرة[3]

1- حنان غمدي، المستويات اللسانية والتعليم النصوص الطور الابتدائي، شهادة ماستر، لسانيات التطبيقية قسم اللغة والاداب العربي، كلية الاداب واللغات، ابوبكر بلقليد، تلمسان، 2019، ص41
2- المرجع نفسه، ص42
3- المرجع نفسه، ص 43

فالمستوى المعجمي يتناول الوحدات المعجمية، والمعاني المرتبطة بها في صيغتها الإفرادية بعيدا عن علاقاتها بالنسيج التركيبي أو الدلالات التي يفرزها السياق والمتعلقة بالحقيقة والمجاز والتشبيه والبيان وغيرها[1]

نستعرض في المستوى المعجمي البحث عن معنى الكلمة داخل المعجم وجمع جميع المعاني التي يرد بها اللفظ والمسجّلة في المعجم، أما أثناء التحليل الدلالي نستعرض الدلالات المتنوعة التي يأخذها اللّفظ في اللّغة كالدلالة النحوية مثلا التي نستنبطها من ترتيب الكلمات ترتيبا معينا حيث نفهم منه دلالة معينة لا نفهمها مع ترتيب نحوي آخر.

1- حنان غمدي، مستويات اللسانية، ص 44

الفصل الثالث

التحليل التداولي لقصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل –نزار قباني-

*المستوى الصوتي

*المستوى البلاغي

*المستوى التركيبي

*المستوى المعجمي

تمهيد:

يعتبر التحليل عملية تقسيم موضوع أو مادّة معقّدة إلى أجزاء صغيرة من أجل الحصول على فهم وإستعاب أفضل لهذا الموضوع أو المادّة، ففي هذا الفصل سنستعرض تحليلاً تداولياً لقصيدة منشورات فدائية على جدران إسرائيل للشاعر نزار قباني وتطبيق آليات التحليل التداولي عليها، حيث تعتبر التداولية درسا غزيرا وجديدا في حقل الدراسات اللسانية، فالتحليل التداولي يركز على دراسة كل ما يتعلق بالتركيب وتحليل الأفعال الكلامية والإنجازية والأساليب الإنشائية من: نداء ونهي أو قسم وأمر...إلخ، فهنا في هذه القصيدة قمنا بتحليل كل من المستوى الصوتي والنحوي والتركيبي والمعجمي التي تركز عليها التداولية في موضوعها لأنها عبارة عن علم لغوي محض، يكتفي بوصف وتفسير الظواهر اللّغوية.

المبحث الأول: المستوى الصوتي

يتناول هذا المستوى: الوقف والوزن والنبر والتنغيم والقافية، كما يمكن في هذا المستوى دراسة الإيقاع والعناصر التي تعمل عل تشكيله والأثر الجمالي الذي يحدثه، إضافة إلى تكرار الأصوات والدلالات الموجبة التي تنتجه، كما يعني بدراسة التفعيلات والتصريع والبحور الشعرية، ففي تحلينا التداولي لقصيدة نزار القباني المعنونة بعنوان المنشورات فيدائية على جدران إسرائيل سنركز على دراسة النبر والتنغيم والقافية والوزن والتكرار

أ- النبر: هو قوة التلفظ النسبة التي تعطي للصائت في كل مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة، فهو إبراز جزء من المنطوق[1]

تكمن وظيفة النبر داخل القصيدة في الوضوح لأنه يقوم بالضغط على الكلمة بعينها في إحدى الجمل المنطوقة، لتكون أوضح من غيرها من كلمات الجملة وذلك للإهتمام بها أو التأكيد عليها ونفي الشك عنها من المتكلم أو السامع ويساعد النبر على زيادة الإحساس بإنفعالات المتكلم أو الحالة النفسية المصاحبة للقصيدة وإستخدامه يشكل فونيما صوتيا بغير الصيغ أو المعاني أو عدم تأثيره فيها[2]

ومن أمثلة النبر في القصيدة: المقطع الأول في قول الشاعر:

-فيها لعبنا، وعشقنا

-وكتبنا الشعر

النبر هنا موجود في الكلمة المشددة (الشعر)، وكذلك في نفس المقطع نجد النبر في قوله:

-مشرشون نحن في وجدانها

-باقون في نسيانها

الكلمة المنبورة (مشرّشون) حرف الراء مشدد ضغط عليه الشاعر من أجل التأكيد والتأثير على القارئ

1- ينظر: فايز عارف القرعان، تقنيات التوازي البلاغية في الممتلون لنزار القباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص 402
2- المرجع نفسه، ص 403

-كذلك في المقطع 3 قوله:

لأن موسى قطعت يداه

ولم يعد يتقن فن الشعر

لأن موسى كسرت عصاه

النبر في كلمتين (فن والشعر) ضغط عليها لتوضيح الكلمة وتثبيتها في ذهن المتلقي أو القارئ للقصيدة

وجود النبر أيضا في المقطع 6 في قول الشاعر:

لن تستريحوا معنا

كل قتيل عندنا

يموت الافا من المرات

كلمة (المرات) مشددة أحدت الشاعر فيها النبر لتأكيد معناه وتبيان تكرار

نلاحظ في هذه الأمثلة نبر بالشدة أي الضغط على الحرف، كما هنالك نبر بالتنوين يتأكد المعنى ويضغط على الكلمات وأمثلة ذلك في قول نزار القباني:

في المقطع 10: *نطلع من خلف التماثيل

*وأحواض الزهر

*رجالنا يأتون دون مواعيدا

النبر بالتنوين في كلمة موعد وظيفته احداث نغمة صوتية وذلك بالضغط على الحرف بتنوين الكسر.

-كذلك في المقطع 16:

*للحزن أولاد سيكبرون

*للوجع الطويل، أولاد سيكبرون

*للأرض للحارث.. للأبواب.. أولاد

*سيكبرون...

نبر منون في كلمة أولاد إحدث إيقاع صوتي داخل القصيدة (تنوين بالضم)

وفي قوله أيضا في المقطع2:

لا تكسروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا

فسوف يأتي عمرو

وإن سحقتم وردة

فسوف يبقى العطر

نجد التنوين في كلمة (خالدا) وكذلك في كلمة (وردة) وذلك لإحداث نغمة أوزنة في القصيدة بالضغط على الكلمات من خلال التنوين

نلاحظ أن القصيدة طاغية عليها المنبورة بالشدة وذلك من أجل إثبات وتأكيد الشاعر نزار القباني لنا قوة الإحتلال والمعناة التي عانى منها الشعب الفلسطيني

2- التنغيم: هو تنوع في النطق حسب الحاجة إرتفاعا وإنخفاضا لغرضه، ونغمة الصوت هي إحدى صفاته، وكثير أما تكون عاملا مهما في أداء المعنى وتتوقف النغمة على عدد ذبذبات الأوتار الصوتية في الثانية وهذا العدد يعتمد على درجة التوتر للأوتار الصوتية او للنغمة أربعة مستويات وهي: النغمة المنخفضة، النغمة العادية، النغمة العالية، نغمة فوق العالية[1]:

أ -النغمة المنخفضة: هي أدنى النغمات وهي نختم به الجملة الإخبارية عادة، والجملة الإستفهامية التي لا تجاب بنعم أو لا

ب- النغمة العادية: هي النغمة التي نبدأ الكلام بها، ويستمر الكلام على مستواها من غير إنفعال

ج- النغمة العالية: تأتي قبل نهاية الكلام متبوعة بنغمة منخفضة أو عالية مثلها

د- النغمة الفوق العالية: هي النغمة التي تأتي مع الإنفعال أو التعجب أو الأمر

تتجسد وظيفة التنغيم في وظيفته النحوية لأنه يفرق بين أسلوب وآخر من أساليب التركيب كما يشير إلى دلالة المعاني ويعني بترتيب النغمات الكلامية ويساعد في إدراك المعنى ودرجة نطقه

في المقطع1: لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حصر

فنحن باقون هنا

نجد المد في كلمات (تجعلوا شعبنا باقون) إرتفاع في نغمة الصوت أي نغمة فوق عالية غرضها الإنفعال

وفي قوله أيضا في المقطع2: لا تسكروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا .. فسوف

يأتي عمرو

نغمة فوق عالية في كلمات (تسكروا خالدا عمرو) تنغيم مرتفع نتيجة إنفعال الشاعر نزار القباني

1- بوقرة نعمان، التحليل للخطاب الشعري، ص 122

وفي المقطع1 في قوله: فيها لعبنا، وعشقنا

وكتبنا الشعر

مرشرشون نحن في خلجانها

نغمة هذه الأبيات منخفضة وذلك لأنها تمثلت في كونها جملة إخبارية

كذلك في المقطع3 قول الشاعر: لأن موسى قطعت

يداه...

ولم يعد يتقن فن السحر...

لأن موسى كسرت عصاه

ولم يعد بوسعه شق مياه البحر

هنا نلاحظ تنغيم منخفض الدرجة لأن الشاعر بصدد الإخبار

وفي المقطع4: المسجد الأقصى شهيد جديد

نضيفه إلى الحساب العتيق

وليس النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضيء الطريق

نغمة عادية في هذا المقطع لأن خالي من الإنفعال وظف جملة بسيطة عالية أدت إلى إنخفاض درجة الصوت داخل القصيدة

مثلا في المقطع6 لقوله: لن تستريحوا معنا

كل قتيل عندنا

يموت الافا من المرات

نلاحظ في هذا المقطع تذبذب في درجات التنغيم تارة يرفعها وتارة يخفضها (لن تستريحوا معنا) تنغيم مرتفع الدرجة (فوق عالية) بتوظيفه لحرف المد الألف ثم في قوله (كل قتيل عندنا) انخفاض في الدرجة (منخفضة) لأنها عبارة عن جملة إخبارية فالنغمة هنا عادية

كذلك تنغيم مرتفع الدرجة في قوله: انتبهوا... انتبهوا

أعمدة النور لها أظافر

وللشبابيك عيون عشر

إرتفاع في التنغيم (انتبهوا) لأن الشاعر هنا يحذر الشعب الفلسطيني من العدو الصهيوني فارفع في درجة نغمة الصوت وأفعال الأمر نغمتها دائما تكون عالية الدرجة (تنغيم عالي)

وفي المقطع12 لقول الشاعر: تذكروا.. تذكروا دائما

بأن أمريكا.. على شأنها

ليست هي اللغة العزيز القدير

وأن أمريكا على بأسها

لن تمنع الطيور أن تطير

هنا الشاعر رفع درجة التنغيم في كلمة (تذكروا) ثم نلاحظ انه خفض في درجة التنغيم في قوله (بأن أمريكا على شأنها) يعني تذبذب في النغمات وهذا راجع إلى الحالة النفسية للشاعر مرة ينفعل ومرة يخبرنا بغير إنفعال

فنستخلص من خلال هذه المقاطع الشعرية المزودة بالتنغيم أن الشاعر أمزج بين النغمات الصوتية وأكثر من التنغيم المرتفع نتيجة إفتعاله واحساسه بالغضب وسخطه على العدو الصهيوني ووصفه لنا لمعاناة الشعب الفلسطيني، كما تمثل دور الحروف في إرتفاع وانخفاض التنغيم (حرف المد) في الإطالة في الصوت عند النطق وذلك لأتباث الكلام وتأكيده وتوصيل صورة القصيدة في ذهن القارئ أو المتلقي[1]

1- إبن كثير، البداية والنهاية، تح: جودة محمد جودة، محمد حسني شعراوي، دار إبن الهيتم، القاهرة، مصر،ط1، 2006، ص266

3-التكرار: هو من المفاهيم الأساسية في معالجة الخطاب الأدبي، وهو وسيلة مهمة لإكتشاف أبعاد الواقعة الأدبية في التداوليات الأدبية، ودراسة هذه الظاهرة لا تتوقف عند حد رصد تواترها الخطابي بل يعني المحلل بإبراز أدبية الظاهرة في ضوء جدلية الثابت والمتحول، ووظيفتها الخطابية من حيث كونها وسيلة للإفهام والإفصاح والكشف والتأكيد والتقرير والإثبات، والتكرار ينقسم إلى ثمانية اقسام:

التكرار التام ،التكرار الجزئي، التكرار الاشتقاق، التكرار العبارة، التكرار الجملي، التكرار الصرفي، التكرار الترادف، التكرار الحرف[1]

سنذكر أهم الشواهد لأنواع التكرار في كل مقاطع القصيدة في الجداول التالية:

نوع التكرار	الأمثلة+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
التكرار التام	باقون27 مرة(م18،13،1) أطلع7مرات(م25،10) تأتي5مرات(م27) مرشرشون3مرات(م1) موسى مرتان(م3) قصب الغابات مرتان، خشب الصلبان مرتان(م5) الأيام3مرات (م27،14،13) صفق3مرات (م11) أمريكا 3مرات (م3،12) الأرض 3مرات (م16،8،1) فلسطين 4مرات(17) هارون الرشيد3 مرات(م20) الفلسطيني مرتان(م27،21)	80

1- بوقرة نعمان، التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص 122

جدول توضيحي للتكرار الجزئي تكرار الاشتقاق:

نوع التكرار	الأمثلة+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
التكرار الجزئي/التكرار الاشتقاق	شعبنا/شعب(م1) قتلتم/قتيل(م2،6) زهر/تزهر(م1،24) هزمتم/لم تهزمو(م8) انتظرونا/ما لا ينتظر(م10) نطلع/أطلع(م10،25) الطيور/تطير(م11،12) وردة/الورود(م2،14) يوم/الأيام(م15) دفتر/دفاتر(م13،18) الخيل/الخيال(م18) فلسطين/الفلسطيني(م10،21) المزاريب/المزراب(م13،م25) الحبيبات/الأحباب(م25) رسم/نرسم(م18،27) ليس/ليست(م3،4)	15

جدول توضيحي للتكرار العبارات والجمل المتكررة في القصيدة:

نوع التكرار	التمثيل+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
تكرار العبارة او تكرار الجملي	لن تفلتوا 3مرات(م5) انتبهوا مرتان(م7) فصفق العالم للمغامرة مرتان(م11) تذكروا مرتان(م12) سوف يموت الأعور الدجال مرتان(م18)	11

لا حظنا أيضا وجود تكرار صرفي في القصيدة وأمثلة ذلك موضحة في هذا الجدول:

نوع التكرار	التمثيل+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
التكرار الصرفي	الحريق /الطريق(م4) من أوعية البخور/من أغطية الصلاة(م5)، النسور/الصخور(م8)، الحجر/الزهر، يرسمن أحزان فلسطين/يقبرن أطفال فالمهادي/يحملن أحجار فلسطين(م10، باقون في معاصر نزين/في مراكب الصيد/في قصائد الحب(م18)، الأحمر /الأخضر(م24)، أطلع كالعشب/أطيء كالبرق/أهطل كالسحاب(م25)، ممزق/مطوق(م26)، الأشياء/الأسماء(م27)	09

كما يوجد تكرار للترادف وأمثلة موضحة كما يلي:

نوع التكرار	التمثيل+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
تكرار الترادف	باقون/مرشرشون(م1)، زهر/وردة/العطر(م2،1)،نبيها الكريم/الرسول(م10،1)،النار/الحريق(م4)،بندقية/بارودة/السلاح(م17/12/5) الأرض/بلانا/فلسطين/وطنا/التراث(م25/11/10/1)، نصر/فتح(م14) المحاكمة/الثواب/العقاب(م22)، الضياع/السراب(م25)، الحقد/الكراهية(م26) أسى/أحزان(م27)	11

من خلال ملاحظتنا للقصيدة، نلاحظ أن حتى الحروف تكررت ومن أمثلة ذلك:

نوع التكرار	التمثيل+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
تكرار الحرف	(الواو) بتواتر 88مرة/(في) بتواتر85مرة/(من) بتواتر 39مرة/(الفاء) بتواتر 19مرة/(أن) بتواتر 15مرة/(لام النافية) بتواتر 9مرات/(سوف) بتواتر 7مرات/(السين) بتواتر 6مرات/(لن) بتواتر 6مرات/(أن المصدرية) بتواتر 5مرات/(لم) بتواتر 5مرات/(قد) بتواتر 5مرات/(أو) بتواتر 4مرات/(لام النهي) بتواتر مرتان/(إنّ) بتواتر مرو واحدة/(لقد) بتواتر مرة واحدة/(ياء النداء) بتواتر مرة واحدة	298

إن المتمعن في الجداول يتبين له إختيار الخطاب لتكرار الحرف بتواتر قدره 298 مرة، لوقوف حروف المعاني على دلالات تتماشى مع الموقف الشعري العام، كمعاني الرفض والأباء، والتحدي والتعهد، والوعيد والإنتماء، ثم التكرار التام بتواتر 80مرة، لتأكد المعنى عن طريق التكرار اللّفظي الذي حقق نوعا من الإتساق والإنسجام للخطاب، ثم تكرار الإشتقاق الجزئي بتواتر 15مرة، فتكرار العبارة بتواتر 11مرة وتكرار الترادف بتواتر 11مرة أما التكرار الصرفي فقد ورد بتواتر 9بتواتر، ليصل مجموع التكرار في الخطاب الى 454 مرة، وهو عدد يعبر عن إعتماد الشاعر على هذه الوسيلة الإقناعية في ما ذكره محمد العبد إستنادا إلى رأي المستشرقة بارير جونستون كوتش التي رأت أن خطاب الحجاج العربي يعتمد في الإقناع على العرض اللّغوي للدعاوى الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة، وهذه الإستراتيجية البلاغية سمتها إستراتيجية بالتكرار[1].

1- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 233

التوازي الصوتي (الصوت): إن توفر التوازي الصوتي في قصيدة نزار يحقق نوعا من التناغم الموسيقي والإيقاعي لدى القارئ، وقد راعى نزار وجود الأصوات معين في بعض الفقرات، والذي له أثره في تحقيق الإيقاع، فمثلا في (م12) الذي يقول فيه:

تذكروا...

تذكروا دائما

ليست هي الله العزيز القدير

وأن إمريكا على بأسها

لن تمنع الطيور من أن تطير

قد تقتل الكبير، بارودة

صغيرة في يد طفل صغير

نجد في هذا المقطع أن صوت (الراء) قد تكرر بشكل ملحوظا، وفي أكثر من كلمة، وهي (تذكروا، أمريكا، القدير، الطيور، الكبير، بارودة، صغيرة، صغير) إحدى عشر كلمة فيها صوت الراء، وهذا يدل على وجود تناغم صوتي في إرجاء المقطع أراد من خلاله نزار القباني الصهاينة وحزبهم بحقيقة مفادها أن القوة ليست دوما تمثل مفتاح النصر، ومن الوسائل الفنية التي يلجأ إليها الشاعر في تحقيق التوازي الصوتي أنه يجعل الصوت المتوازي متوافق مع موقعه في نهاية التفعيلة كأن يجعل كل مقطع ينتهي بنفس القافية أو بنوع في نهايتها بحرفين أو أكثر تبعا للحال الشعورية المصاحبة للمقام[1]

1- ينظر فايزعارف القرعان، تقنيات التوازي البلاغية في الممثلون لنزار القباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص 432

ومن أمثلة البنية المتشكلة من التوازي القائم بين قافية بعض الأسطر المتتابعة ما تضمنه (م17):

وجاء في كتابه تعالى

بأنكم من مصر تخرجون

وفي المناشير التي يحملها رجالنا

زدنا على ما قاله تعالى، سطرين أخرين

ومن ذرى الجولان تَخْرَجُوْنَ

/0//0/

وضفة الاردن تخرجون

بقوة السلاح تخرجون

نفس القافية

نلاحظ أن السطر الثاني والأسطر الثلاثة الأخيرة قد ختمت بذات القافية فالبنية تحاول رصد حالات التغيير التي يحققها دال الخروج من الأمكنة التي إستبيحت بعد النكسة، وكأنها البنية بهذه النهاية تمارس نوعا من التأثير على المتلقي من خلال فعل الوعد المضمن بين القوافي المكررة وبهذا يكون الصوت في خدمة الدلالة

وزن القصيدة:

أ/البحر:يعد البحر من الخصائص الأساسية التي تتميز بها موسيقى الشعر يتم إذ يتم الإحتكام وفق معيار عند نظم الشعر، ويحقق مظهرا شكليا لهندسة البناء النغمي[1]

1- ينظر: سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، ص 17

ويعد تحليلنا لقصيدة منشورات فيدائية على جدران اسرائيل للشاعر نزار القباني إتضح لنا أن الشاعر نظم قصيدته على وزن بحر الرجز وهو (بحر من البحور المفردة تتألف وحدته الإيقاعية من تفعيلة (مستفعلن) والرجز من الإيقاع المتوسط رغم قيامه على وحدة إيقاعية واحدة ولكن عند إيقاعه متوسطا لتقارب عدد الحركات والسكنات فيه.

يقول في مطلع القصيدة:

لَنْ تَجْعَلُواْ مِنْ شَعْبِنَاْ

0//0/ 0/ /0//0/0/

مستفعلن مستفعلن

شعب هنود حمر

شَعْبُ هُنُوْدِنْ حُمْر

00/ 0/0// /0/

مُتفعلن مَفْعُول

فنحن باقون هنا

فَنَحْنُ بَاْ قُوْنَ هُنَاْ

0///0/ 0/ /0//

متفعلن مفتعلن

حددت زحاف تفعيلية مستفعلن هو زحاف الخبن وهو حذف الساكن الثاني في التفعيلة بحيث مستفعلن أصبحت متفعلن

كذلك هناك زحاف آخر مفعول

نلاحظ أيضا زحاف آخر مفتعلن

حيث نلاحظ أنه قد إختار مادة الإيقاع الأولية (مستفعلن) ولم يلتزم بعددها في السطر وفق النموذج الخليلي، بل جعلها تتشكل بحرية مستحبة لحالته النفسية إتجاه القضية الفلسطينية ومع ذلك كان في النص إنسجام إيقاعي قدرته الرهيبة في التشكيل الإيقاعي حيث جاءت كالآتي: (2-2-2-4-2-2-2)

وفي هذه الأرض التي تلبس في معصمها

فِيْ هَاْذِهِ لْأَرْضُ اَلْتِيْ تَلْبِسُ فِيْ مِعْصَمِهَاْ

0///0/0/0/0/0//0/0//0/0/

مستفعلن مستفعلن مفتعلن مفتعلن

إسوارة من زهر

إِسْوَاْرَتُنْ مِنْ زَهْرْ

00/0/0//0/0/

مستفعلن مفعول

فهذه بلادنا

فَهَاْذِهِ بِلَاْ دُنَاْ

0//0////0//

متفعل متفعلن

أو (3-2-3-3-2-3) في مثال في قوله:

مشرشون نحن في خلجالها

مُشَرْرَشُوْنَ نَحْنُ فِيْ خُلْجَانْهَاْ

0//0/0/0//0/0/0//

متفعلن متفعل مستفعلن

فقد إستخدم الشاعر تشكيلا حرا لتفعيلة الرجز، وهذا يتناسب مع تصويره للقضية الفلسطينية، فلسطيني حر في هذه الأرض هو من يرسم خريطة حياته، وهو الذي ينهيها، كما أن إختيار الشاعر تفعيلة الرجز لتصوير الحالة النفسية المضطربة التي يعيشها الصهيوني لم يكن إعتباطا، فقد روي عن الخليل أنه أسمى الرجز رجزا لإضطرابه كإضطراب قوائم الناقة عند القيام[1]

فتفعيلة الرجز أقدر على تصوير إضطراب وخوف الصهيوني الذي يخاف من مجرد إختطاف طائرة أو رؤية دم، فهو يعيش في قلق دائم رغم العذاب وكل ما يفعله إذاء الفلسطيني فهو متمسك وصامد في هذه الأرض فهو لن يفرط ولو بجزء منها

نلاحظ في هذه القصيدة أن حرف الروي الغالب والمهيمن والمتكرر في كل مقاطع القصيدة هو حرف (الراء) بحيث تكرر 58 مرة، والروي هو آخر حرف ساكن في القافية

1- إبن رشيق، العمدة، ج1، ص 121

القافية: هي آخر حرفين ساكنين في البيت الشعري مع المتحرك الواقع بينهما مع الحرف قبل أول الساكنين، فقافية القصيدة هي (0//0/0) مثال ذلك في كلمة: خِلْجَأْنِهَأْ

0//0/0/

مستفعلن

المبحث الثاني: المستوى البلاغي

نركز في هذا المستوى دراسة جمالية النص التي تشكلها الصور البيانية والمحسنات البديعية من: إستعارة وتشبيه ومجاز وكناية وسجع وجناس وحتى الترادف والطباق فكل هذه الظواهر اللّغوية تحدث موسيقى داخلية للقصيدة التي تزيد من جماليتها

أ- المحسنات البديعية: فهي من مسميات الإيقاع الداخلي أيضا الايقاع البديعي الذي يستخدم أدوات البديع لتشكيل موسيقى جديدة، وقد عرف البلاغيون البديع على أنه: "الجديد والغريب والبارع، وأنه درجة عالية من التميز في الفن"[1]

1- الجناس: كما عرفه السكاكي: "هو تشابه الكلمتين في اللفظ مع إختلاف في المعنى"[2]، وللجناس أثر واضح في إحداث التناغم الموسيقي وأثره الخفي في إيقاع المعنى

ومن بين أمثلة الجناس التي إستخدمها الشاعر في القصيدة في قوله:

المسجد الأقصى، شهيد جديد

نظيفة الى الحساب العتيق

وليس النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضيئ الطريق

1- منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، ص 11
2- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص429

وظّف الشاعر في هذه الأسطر جناس ناقص بين كلمتي (شهيد، جديد) و(حريق، طريق) مما أضفى على هذه الأسطر نغمة إيقاعية منبعثة من التشابه الصوتي بينها وهذا أما نلمحه أيضا في قوله:

تذكروا

تذكروا دائما

بأن أمريكا على شأنها

ليست هي اللغة العزيز القدير

فالجناس الناقص بين كلمتي (العزيز والقدير) زاد من التشكيل الإيقاعي في هذه الأسطر كما وظف الشاعر أيضا الجناس الاشتقاقي وذلك في قوله:

باقون في مروءة الخيل، وفي مروءة الخيال

فالجناس الإشتقاقي بين كلمتي (الخيل والخيال) أضفت على هذا السطر الشعري جرسا موسيقيا أيهم في تأكيد المعنى

نلاحظ أن الشاعر استعمل هذا اللون البديعي لتشكيل جانب من جوانب الإيقاع، لأن الجناس هو حيلة موسيقية وبنية دلالية أسهم في تكثيف الإيقاع وإبرازه وتوضيح الدلالة

2- التصريع: عرّفه السكاكي في قوله: "ومن وجهات الحُسن التصريع، وهو أن تكون الألفاظ متساوية الأوزان، متفقة الأعجاز، أو متقاربتها"[1]

فالتصريع ظاهرة إيقاعية شعرية وعنصر بديعي يعمل على تحلية القصيدة فيضفي عليها شيئا من الروتين يمنحها نوعا من الومضات النغمية التي تجعل العملية الإيقاعية تتجدد وتتمدد

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 431

فقد إستخدم الشاعر نزار قباني هذا العنصر الإيقاعي في قصيدته وأكثر منه ومن ذلك قوله:

موعدنا حين يجيء المغيب

موعدنا القادم في تل أبيب

نصر من الله وفتح قريب

فقد وقع التصريع في الكلمات الأتية (المغيب، أبيب، قريب)

وكذلك قوله:

ما بيننا وبينكم... لا ينتهي بعام

لا ينتهي بخمسة، أو عشرة ولا بألف عام

طويلة معارك التحرير كالصيام

ونحن باقون على صدوركم كالنقش في الرخام

باقون في صوت المزاريب وفي أجنحة الحمام

باقون في ذاكرة الشمس ودفاتر الأيام

باقون في شيطنة الأولاد وفي خربشة الأفلام

فالتصريع واقع في الكلمات (بعام، عام، الصيام، الرخام، الحمام، الأيام، الأفلام)

وأيضا في قوله:

سوف يموت الأعوار الدجال

سوف يموت الأعور الدجال

ونحن باقون هنا

حدائق وعصر البرتقال

باقون فيما رسم الله على دفاتر

باقون في معاصر الزيت وفي الأنوال

في المد في الجزر وفي الشروق والزوال

فقد جاء التصريع في الكلمات الاتية (الدجال، الدجال، البرتقال، الجبال، الأنوال، الزوال)

فنلاحظ أن تكرار بعض الوحدات الصوتية فقد أكسب القصيدة نغمة خاصة، لها أثرها على نفسة القارئ والمتلقي، لأن التصريع أحدث توازنا موسيقي أعطى القصيدة طاقة إيقاعية في الأسطر فحقق إنسجاما في المبنى والمعنى

3- الطباق: هو التضاد أي الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة والضدان إما أن يكونا إسمين وإما فعلين وإما حرفين وتكمن أهميته في كونه يشمل عنصر المخالفة وهذه المخالفة تغذو فاعلية أساسية يتلقاها القارئ. وهو نوعان: طباق السلب وطباق الايجاب، فهو ساعد على تقوية المعنى وتأكيده

فنزار قباني من خلال قصيدته منشورات فدائية على جدران إسرائيل وظف بنية الطباق، نظرا لصراعات مشاعره الداخلية لما يعتري القضية الفلسطينية من متناقضات ومن ذلك قوله:

يا آل اسرائيل، لا يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن توقفت

لا بذ أن تدور

فمن خلال المطابقة (توقفت ضدها تدور) وهو طباق الإيجاب فالشاعر يوحي بأن مسألة إسترداد أرض فلسطين لا يرتبط بالوقف أبدا وإنما بالفعل والردّ والتصدّي

وكذلك في قوله:

باقون في معاصر الزيت وفي الأنوال

في المدّ وفي الشروق والزوال

نجد في هذه الأسطر مطابقة بين (المدّ وضدها الجزر) وبين (الشروق وضدها الزوال) وهو طباق ايجاب

فمن خلال هذه المطابقة أراد الشاعر التأكيد على البقاء في هذه الأرض في كل مكان منها وكل زمان، فلن يشكل لنا ضيق المكان أو عتمته هاجرا يجعلنا نفرط فيها

وكذلك من قوله:

باقون في الصلب

باقون في الهلال

في ثورة الطلاب باقون، وفي معاول العمال

فقد طابق الشاعر (الصليب ضدها الهلال) وهو طباق إيجاب للدلالة على أن القدس يعيش فيها كل مسلم أو مسيحي، فلا مجال للصهيوني بينهم

كما وظف الطباق أيضا في قوله:

أفتح باب منزلي

أدخله من غير أن أنتظر الجواب

لأني أنا السؤال والجواب

فالسؤال والجواب- طباق إيجاب، فكلا الكلمتين عبارة عن كلام أو حوار بين إثنين أو أكثر

وعليه نلاحظ أن الشاعر من خلال جمعه للمتناقضات أراد تأكيده للرفض القاطع لوجود الصهيوني على أرض فلسطين فكل الحقائق التاريخية والدينية والسياسية تبتث أن فلسطين للعرب وتنفي ملكية الصهيوني فيها

نورد الطباق الموظف في القصيدة مجملا في الجدول الاتي :

طباق إيجاب	طباق السلب
(جديد ضد عتيق) (الشروق ضد الزوال) (السفوح ضد الهضاب) (الصليب ضد الهلال) (توقفت ضد تدور) (المد ضد الجزر) (الثواب ضد العقاب) (البيضاء ضد السوداء) (نساؤنا ضد رجالنا) (الشمس ضد القمر) (أبي ضد أمي) (يدخلون ضد يخرجون)	هزمتهم ضدها لم تهزموا انتظرونا ضدها لا ينتظر

يؤسس الطباق من خلال التقابل ايقاعا خفيا في دلالات الألفاظ، حيث استطاع الشاعر أن يجعل من التقابل توازنا، يبرز الصوت بروزا واضحا وبذلك يؤثر في نفس القارئ ويطربها ويجعلها تميل إليه وتقبل عليه

4- التشبيه: هو إلحاق أمر ما بأمر اخر لو صفه بإستخدام أداة التشبيه، وظيفته في تجميل القصيدة وأمثلة التشبيه في القصيدة:

باقون كالحفر على صلبانها

مشبه أداة مشبه به وجه الشبه

حيث شبه الشاعر الشعب الفلسطيني بالحفر الذي لا يصدّ ولا ينهد

مثال اخر في قوله:

نخرج كالجنّ لكم

شبه الشاعر أنفسهم (شعب الفلسطيني) كالجنّ لمواجهة الصهيوني

مثال اخر في قوله:

طويل معارك التحرير كالصيام

شبه المعرك بالصيام وذلك لطاولها

مثال آخر

تجمعوا كالدمع في العيون

شبه أنفسهم بدموع العين نتيجة معاناتهم

مثال آخر عن التشبيه في قوله:

أطلع كالعشب من الخراب

أضيء كالبرق على وجوههم

أهطل كالسحاب

وظف الشاعر في هذا المقطع ثلاث تشبيهات متسلسلة لإضفاء جمال على القصيدة حيث شبه نفسه بالعشب والبرق والسحاب

فتوظيف التشبيه من طرف الشاعر في هذه الأبيات غرضه كان التوضيح وإزالة الغموض للمتلقي مما أضفى جمال داخل القصيدة

5- **الإستعارة:** هي إستعمال الكلمة في غير معناها الحقيقي، وأصل الإستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، ووجه الشبه وأداة التشبيه وهي نوعان: مكنية وتصريحية

ووظيفتها تكمن في تقوية المعنى مع الإختزال في التعبير وتزيد الشعر رونقا وجمالا ووضوحا، ومن أمثلة الإستعارة في القصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل لنزار قباني:

المثال في قوله:

في غضب الرعد وزخات المطر

شبه الشاعر الرعد الذي يغضب حيث ذكر المشبه وحذف المشبه به إذا إستعارة مكنية

مثال2:

يرسمن أحزان فلسطين على ذمع الشجر

كذلك هنا إستعارة مكنية حيث شبه الشاعر دمع الشجر كالورق يرسم عليه أحزان فلسطين حيث بالغ هنا في الإستعارة وذلك راجع الى كثرة معاناتهم

مثال اخر:

فصفق العالم للمغامرة

إستعارة مكنية شبه العالم بالإنسان الذي يصفق بيديه

مثال آخر عن الإستعارة في قوله:

محاصرون أنتم بالحقد والكراهية

شبه الحقد والكراهية بالعدوّ الصهيوني والذي يحاصر المحتل الفلسطيني

6- الكناية: هي الكلام الذي يحمل معنيين الأول واضح وصريح والثاني مخفي، والمعنى المراد في هذه الحالة يكون المعنى المخفي من وراء الكلام، حيث يفهم هذا المعنى من سياق الكلام، فالغاية من هذه الصورة الشعرية هو إبراز عواطف الشاعر ومشاعره داخل قصيدته ووظيفتها تكمن في إحداث إبداع جمالي للقصيدة وتقوية المعنى وتوضيحه

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

نحن مبتوثون في الريح وفي الماء وفي النبات

كناية عن الصمود والثبات

مثال اخر:

لقد سرقتم وطنا

كناية عن الإحتلال والحصار

مثال اخر:

باقون في معاطف الجنود

في الجراح في السعال

كناية عن الأسى والألم والمعاناة

فالصور البيانية تعتبر لبّ العمل الشعري الذي يجب أن يتسم بالرقة والصدق والجمال وتعد عنصرا من عناصر الإبداع في الشعر، ويستخدمها الشاعر للخروج عن المألوف غاية في تقويب المعنى الى ذهن القارئ

المبحث الثالث: المستوى التركيبي

ندرس في هذا المستوى الجمل وتركيبها النحوي على كيفية واحدة، وزمن الأفعال من ماضي ومضارع وأمر وأنواع الجملة والأداة، والفاعل، والمبتدأ أو الخبر، والتذكير والتأنيث والحروف

1- الجملة: ورد التوازي التركيبي بأشكال متعددة في الخطاب وهو تكرار الجمل النحوية أو بعض مكونتها[1]

في المقطع 16 قوله:

للحزن أولاد سيكبرون...

الوجع الطويل، أولاد سيكبرون

الأرض... للحارات... للأبواب...أولاد

سيكبرون

نلاحظ أن الأسطر الثلاثة إبتدأت بجملة إسمية (شبه جملة متعلقة بمحذوف غير مقدم جوازا تقديره موجود ومبتدأ مؤخر والمبتدأ في الأسطر الثلاثة واحد (هؤلاء) أما الخبر فقد إختلف ففي السطر الأول (للحزن) وفي الثاني (للوجع) وفي الثالث (للأرض) كما أبرز في هذه الأسطر الثلاثة ببنية تكرارية تعتمد على تكرار الدال (سيكبرون) وبصورة ترتيبية تقود إلى إدراك أن المقطع يسعى إلى تحسين دلالة التحدي والإصرار على المقاومة، وفي ذلك إقناع للمخاطب (الصهاينة) بأن المقاومة لم تفتر

وفي قوله (المقطع 18):

أطلع كالعشب من الخراب

أضيء كالبرق على وجوهكم

أهطل كالشحاب

نجد أن الأسطر الثلاثة قد إبتدأت بفعل مضارع لاوم على وزن (أفعل) مسندا إلى ضمير المتكلم (أنا) وحتى تحقق بنية التوازي دلالة الإنبتاق إعتمدت تقنية التوازي التشبيهية من خلال حلق بنى تشبيهية متوازنة (كالعشب، كالبرق، كالسحاب) لتأكيد تلك الدلالة

أ- الجملة الإسمية والفعلية:

*الجملة الفعلية: هي الجملة البسيطة التي تبدأ بفعل +فاعل+ مفعول به ففي قصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل لنزار القباني

نلاحظ أنه طغت الجملة الفعلية على الإسمية التي أسهمت في إثراء لإيقاع وتكثيف المعنى إستخدمها لأجل التأكيد والتنبيه والتهويل بأن فلسطين للعرب ولهم الأفقية في حكم وسلطة البلاد، كما هو وارد في المقطوعة الشعرية الموالية:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر...

فنحن باقون هنا

في هذه الأرض التي تلبس

في معصمها إسوارة من زهر

فالجملة(لن تجعلوا من شعبنا) جملة فعلية تتكون من فعل+ واو الجماعة +فاعل +جار ومجرور

كذلك في المقطع2 قوله:

لا تسكروا بالنصر

اذا قتلتم خالدا... فسوف

يأتي عمرو

جملة فعلية مكونة من فعل (تسكروا) وواو الجماعة في محل رفع فاعل+ جار ومجرور (بالنصر)

وفي قوله أيضا في المقطع3:

لأن موسى قطعت

يداه...

ولم يعد يتقن فن السحر...

نلاحظ هنا أن شاعر نزار القباني وظف جملة فعلية مكونة من فعل أول (لم يعد) وفعل ثاني (يتقن) +مفعول به (فن)+ مضاف إليه (السحر)

وفي قوله:

لن تستريحوا معنا..

كل قتيل عندنا

يموت ألافا من المرات

جملة فعلية مكونة من فعل (يموت)+ فاعل (ألافا)+ جار ومجرور

وفي المقطع9 لقوله:

ننصحكم أن تقرأوا ما جاء في الزبور

ننصحكم أن تحملوا ثوارتكم

وتتبعوا نبيكم للطور

فما لكم خير هنا... ولا

لكم حضور

من باب كل جامع

من خلق كل منير مكسور

سيخرج... الحجاج ذات ليلة...ويخرج المنصور

في هذا المقطع الشاعر أكثر من الجمل الفعلية لأنه بصدد النصح والإرشاد وتوجيه نداء للعدّو والأخذ الحيطة والحذر، فمثال ذلك في جملة (سيخرج، الحجاج ذات ليلة.. ويخرج المنصور) هنا نلاحظ جملة فعلية مكونة من فعل (سيخرج)+ فاعل(الحجاج) ++ظرف زمان(ذات ليلة)

ب- الجملة الأسمية: هي الجملة التي تبتدأ بمبتدأ وخبرا، أي كل من يبتدأ بإسم هي جمل إسمية

لقد ساهمت الجمل الإسمية في قصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل في ترابط وإنسجام عناصر القصيدة أو إحداث حركية فيها لكسر التوقع لدى المتلقي والتأثير في نفسيته ومن الأمثلة على ذلك:

في المقطع الأول لقوله:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر فنحن باقون هنا..

فالجملة (شعب هنود حمر جملة إسمية مكونة بمبتدأ هو (شعب) وخبر هو (هنود)

كذلك في المقطع4 مثال:

المسجد الأقصى شهيد

نضيفه إلى الحساب

وليست النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضيء الطريق

فالجملة الإسمية (المسجد الأقصى شهيد) مكونة من مبتدأ (المسجد) والخبر (الأقصى)

مثال آخر في قوله المقطع 24:

حدائق التاريخ دوما

تزهر

ففي ذرى الأوراس قد

ماج الشقيق الأحمر..

الجملة الإسمية (حدائق التاريخ) مكونة من مبتدأ (حدائق) والخبر (التاريخ)

كذلك قوله في المقطع8:

يا آل إسرائيل... لا

يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن

توقفت لا بد أن

تدور...

الجملة الإسمية (عقارب الساعة) مكونة من مبتدأ عقارب وخبر الساعة

2- الحروف:

فالتركيب في هذه القصيدة إستند على تكرار الحروف والجمل والكلمات التي ساهمت في إتساق وإنسجام عناصر القصيدة، نلاحظ مثلا الحروف التي تعتبر من أقسام الكلام في اللغة العربية، والتي هي حروف الربط التي تساهم في ربط عناصر القصيدة وهي أنواع منها:

أ- حروف الجرّ في: ورد 90 وذلك في قول الشاعر:

باقون فيما رسم الله (على) دفاتر الجبال

باقون (في) معاصر الزيت... وفي الأنوال

في المدّ (في) الجزر... و(في) الشروق والزوال

باقون (في) مراكب الصيد

وفي الأصداف والرمال

باقون في قصائد الحب

وفي قصائد النضال

لقد استخدم الشاعر هذا النوع من الحروف في للدلالة على الظرفية الزمانية والمكانية، أي أن الفلسطيني موجود في كل زمان ومكان، فهو موزوع في التاريخ والدين، فهذه أرضه وهو متمسك بمهامها طال الزمان، فعرف الجرّ في يعمل على حفر صورة الشيء في الذهن وهذا ما سعى إليه الشاعر وهو حرف صورة الفلسطيني الموجودة في كلّ شبر في هده الأرض

أمثلة عن حرف "من": هذا الحرف ورد 62 مرة، ومن ذلك قول الشاعر:

ليس حزيران سوى يوم من الأيام

وأجمل الورود ما ينبث في حديقة

لقد إستخدم الشاعر حرف الجرّ من للدلالة على التبعيض، لأن يوم إحتلال الصهيوني لأرض فلسطين ما هو الأيام، فالشيء الذي يتلقاه الفلسطيني من الصهيون لا يوفقه وإنما يتبث فيه الإصرار والتحدي وروح القومية

كما إستعملها الشاعر للتأكيد على أن هذه الأرض سوف ترجع للفلسطين لأنهم أصحاب الأرض ومن ذلك قوله:

أطلع من صوت أبي

من وجه أمي الطيب، الجذاب

أطلع من كل العيون السود والأهداب

ومن الشبابيك الحبيبات

ومن الرسائل والأحباب

أطلع من لائحة التراب

*حروف العطف: هي نوع من حروف الربط تساهم في إتساق عناصر القصيدة

-أمثلة عن الحرف الواو: وردت 85 مرة، ومن ذلك قول الشاعر:

نحن الذين نرسم الخريطة

ونرسم السطوح والهضاب

والذين تبدأ المحاكمة

ونفرض الثواب والعقاب

لقد إستخدمها الشاعر للدلالة على الجمع والربط، فكل ما يتعلق بهذه الأرض يخص الفلسطيني وحده، فمشروعية هذه الأرض ستبقى مشروعة له لأنه صاحب القرار فيها

-أمثلة عن الحرف الفاء: لقد ورد هذا الحرف 18مرة في هذه القصيدة:

ومن ذلك قول الشاعر:

لا تسكروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا

فسوف يأتي عمرو

وإذا سحقتم وردة

فسوف يبقى العطر

وكانت وظيفتها للدلالة على التعقيب، أي أنهم إذا قتلوا بطلا من أبطال فلسطين، فسوف يولد ألاف الأبطال مباشرة، فلكل فعل عندهم ردّة فعل فمهما فعلوا فلا يحملوا بالنصر، لأن روح التضحية في سبيل الوطم مستمر دائمة

-أمثلة عن حرف لام: لم تخلو القصيدة من حروف النفي إذ تكرّرت 12مرة ومن أمثلتها قول الشاعر:

يا آل إسرائيل لا يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن توقفت

إن إغتصاب الأرض لا يخيفنا

فالريش قد يسقط من أجنحة النسور

والعطش الطويل لا يخيفنا

فالماء يبقى دائما في باطن الصخور

كان الهدف من توظيفها هو نفي الهزيمة والرضوخ للعدو، فلا يأخذهم الغرور فنحن لا يخفينا ما تفعلونه، لأن صمودنا وصبرنا إتجاههم دليل قوة وليس ضعف

-أمثلة عن حرف لن: وردت 6مرات، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر

فنحن با قون هنا

في هذه الأرض التي تلبس في معصمها

إسوارة من زهر

إستخدم الشاعر حرف لن لنفي المضارع ونصبه وتخليصه للإستقبال، فالشعب الفلسطيني لا يقارن بالهنود الحمر، فهذه الأرض لهم وستبقى مهما طال الزمن

كما نجد الشاعر قام بتكرار الكلمة ليمنح إمتدادا وتنامي للقصيدة في شكل ملحمي إنفعالي متصاعد نتيجة تكرار العنصر الواحد كاللّفظة مثلا، فتمنح القصيدة قوة وصلابة نتيجة الترديد للفظة المتكررة، فنجد كلمة: الأرض تكررت 4 مرات لأنها هي المحور الذي تدور حوله وهو الحق في ملكية هذه الأرض التي تمثل الوطن والأم والحبيبة

كما تحمل لفظة الأرض الصلابة والثبات وهذا ما تمثله فلسطين لأهلها فهم ولدوا ولعبوا وعشقوا في هذه الأرض فهي تحمل كل أحزانهم وأفراحهم فهي دفتر ذكرياتهم، فكل حصوة تراب تحمل رائحتهم، كذلك نجد لفظة الماء تكررت 4مرات للدلالة على الحياة والإستمرارية ففلسطين بالنسبة لأهلها كالماء، لا يستطعون مفارقتها ولا تخلي عنها فهي مصدر قوتهم وصلابتهم

وكما نجد أيضا كلمة فلسطين تكررت 4مرات كررها الشاعر للدلالة على ما تحمله أو ما تمثله بالنسبة لأهلها فالنساء والرجال والأطفال كلهم فداء لها، فهو يتوجه بذلك إلى الصهيوني بأن لا يطمئن فلن يستريح بال هؤلاء إلّا بإستردادها

وكلمة العرب تكررت مرتين، فكلمة العرب الأول إستخدمها الشاعر للدلالة على حزنه على العرب الذين إنهزموا أمام العدو الصهيوني ولم يستردوا هذه الأرض المغتصبة وذلك في قوله:

العرب الذين كانوا عندكم

مصدري أحلام

تحولوا بعد حزيران ...إلى حقل الألغام

أما كلمة العرب الثانية فقد إستخدمها الشاعر للدلالة على أصل سكان القدس وأحقيتهم فيها كما يركز على الأصالة العربية والروح القومية التي يحملها كل عربي إتجاه هذه الأرض لأنها تحمل مقدساتهم وتاريخهم وحضارتهم وذلك قوله:

حدائق التاريخ دوما تزهر

ففي ربى السودان قد ماج الشفيق الأحمر

وفي صحاري ليبيا

أوراق غصن أخضر

والعرب الذين قتلتم عندهم تحجروا

وتغيروا...

ونجد كلمة أمريكا تكررت 4مرات للتأكيد على أن لا يقارن الصهيوني نفسه بأمريكا وكلمة الهنود الحمر تكررت مرتين للتأكيد الشاعر بأن فلسطين ليسوا كالهنود الحمر لأن وجه الشبه بينهما يختلف، وكلمة هارون الرشيد تكررت 9 مرات بتنبيههم لما حدث له بعد قوته وظلمه، وعليه نلاحظ من خلال تكرار هذه الكلمات أنه قد أعطاها أهمية خاصة لأنها تدور حول الفكرة الرئيسية، فقد شكلت في النص رموز إستطاع الشاعر بها أن يرسل خطابة بكل سلاسة

3- الأفعال:

نلاحظ في هذه القصيدة طغيان الأفعال المضارعة على الأفعال الماضية وذلك راجع إلى سرد الشاعر نزار قباني للقضية الفلسطينية ووصف معاناة شعبها من الإحتلال الصهيوني وتتجسد دلالة الأفعال في الحركة وعدم التباث في الأحداث، وساهمت في تسلسل وترابط القصيدة وتأكيد ونقل التجارب عاشها الشعب الفلسطيني

نشكل في ذلك جدول توظيفي لمجموعة الأفعال الماضية والمضارعة والأمر:

الأفعال الماضية	الأفعال المضارعة	أفعال أمر
باقون، وجدنا، كتبنا، سحقتم، قطعتهم، زدنا، قاله، قتلناه، أطعمناه، علقناه، جعلنا، أصبح، لعبنا، شق، هزمتم، ظلت، فصفق، صادرتهم، يغتم، سرقتم، خطفنا، جاء، أسئ، زيّت	تجعلوا، مشرشون، تسكروا، يعد، يتقن، تهلكون، تضيفه، نخرج، تأتيكم، مبثوثون، يبقى، معجونون، تستريحوا، يموت، يسقط، ينصحكم، تتبعوا، يرسمن، سيخرج، نطلع، يقبرن، يحملن، تنصبون، تمنع، ينتهي، تجوعون، تعطشون، تجرحون، سيكبرون، يبدأ، نرسم، أطلع، يدخلون، يشحذ، يشتكي، أضيء، أهطل تأتي	إنتبهوا، تذكروا، تجتمعوا، أخرج، تحولوا، إنتظرونا
العدد: 24	العدد:40	العدد:06

*الأفعال الكلامية: ومن العناصر التي تشكلت المحور التداولي، نجد كذلك الأفعال الكلامية المتصلة بالأقوال، فإذا ما أخذنا التواصل بمفهوم التأثير وهو غاية الشاعر في إرساليته، فإن المراحل التي تبلور إنتقال القول من ألباث إلى المتقبل الحديث، وهو ما نجده بالفعل عندما أفرد لها أوستن كتابا كاملا عنوانه نظرية أفعال الكلام العامة وهذا المؤلف يمثل الإنطلاقة الفعلية للنظرية التداولية حتى أن بعض الدارسين لم يفصلوا بينهما وبين التداولية[1]

1- آن روبل وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 36-37

1-الأفعال الدالة على الإثبات (الإخباريات):

وفي هذا الصنف يقوم الشاعر ببيان مجموع حقائق وصفا وتقريرا وتأكيدا، أو يقوم بنقل طائفة من التجارب التي عاشتها الأمة العربية والشعب الفلسطيني تحديدا في ظروف خانقة، وإذا ما تتبعنا المدونة نجد هذا الموقف يظهر تدريجيا فمثلا في المقطع الأول قوله:

فهذه بلادنا

فيها وجدنا منذ فجلا العمر

فالبنية الخطابية في هذين السطرين نشأت في أحضانها العملية التواصلية، لأن الشاعر يرمي من خلال هذا الأسلوب إلى زيادة التقرير وإلى حمل المتلقي على التصديق فقد إبتدأ نزار القباني قوله: فهذه بلادنا لبيان التقرير بالتعليل، وهو وسيلة المنشئ لإقناع السامع بقوله: فيها وجدنا منذ فجر العمر، وما يلاحظ على المدونة إكثار الشاعر من إستعمال التكرار قصد تقوية المعنى على البقاء، من خلال تكرار لصيغة إسم الفاعل (باقون) و(مشرشون) بشكل ملفت للنظر في المقاطع (1،13،16) نحو قوله على سبيل المثال:

باقون فيما رسم الله دفاتر الجبال

باقون في معاصر الزيت... وفي الأنوال

ففعل القول في كلا السطرين (باقون) يتضمن قوة متضمنة في القول، وهي الإصرار والتحدي فهو يعتبر فعل تأثيري لتوصيل رسالة المتلقي ليصيح فعل إنجازي[1].

1- شيتر رحيمة، تداولية النص الشعري –جمهرة أشعار العرب نموذجا- رسالة دكتورة مخطوطة، جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر -2008 ، ص 151

كانت غاية الشاعر أن يجعل المتلقي (الصهاينة) لا يشعر يوما بالنصر على العربي، ومن ثم حمله على الجلاء، وهي غاية نزار من خطابه، لأن العربي باقي في ما رسم الله له من الحدود التي حرّمها على الصهيون

وقد إستعمل الشاعر بعض الأدوات النحوية التي قامت بإنجاز أفعال كلامية نحو: إنّ، وأنّ، وقد، ولقد وأسلوب القصر عن طريق تقديم ما حقّه التأخير، وتأخير ما حقّه التقديم، والنفي والإستثناء، وهذا الإستعمال المؤكدات يكون متماشيا مع حال المخاطب مرية وإنكارا، وهذا يدخل ضمن أضرب الجملة الخبرية، ومن أمثلة هذا التوظيف ما صرّح به في المقطع 18 في قوله:

إنّ إغتصاب الأرض لا يخيفنا

فالرّيش قد يسقط من أجنحة النسور

في الإثبات والتقرير لا يؤثر على الموقف أن تكون الصور مشبوهة بالمجاز، كما هو واضح (إغتصاب الأرض) ففي هذا المنطوق لم توظف (إن وقد) لمجرد التقرير، بل لحمل المتلقي على التصديق، فالقوة الإنجازية في فعل القول (التركيب) إمتدت هنا إلى التأكيد، وهو ما يدي إلى الإختلاف في درجتها، فالمنطوق عرض بقوة التأكيد (إن وقد) ولو تجرد التركيبان منها لتغيرت الدلابة، وهذا الفعل إستعملة لإيخاف الصهاينة وتأكيد قوتهم، أما الفعل التأثيري الناتج عن الفعل الأنجازي فهو شعار اليهود بعدم الخوف[1] ، ومن التقريريات إستعمل الشاعر الأسلوب القصر، وحامل معنى القصر فيما يسوقه صاحب المفتاح: راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع ويوصف دون ثان

ومن طرقه الموظفة، القصر بالنفي والإستثناء، كما هو وارد في المقطع الرابع:

وليست النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضيء الطريق

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 288

وكذلك في المقطع 15 قوله:

ليس حزيران سوى يوم من الأيام

وأجمل الورود، ما ينبت في حديقة الأحزان

أراد من خلالها الشاعر أن يكد على إستمرار المقاومة وتجاوز الفاجعة والفعل الإنجازي غير المباشر علرض بقوة التوكيد (ليس، سوى..) وذلك بقصر الموصوف على الصفة، والفعل المتضمن في القول هو فعل إنجازي، وهو العمل الذي ينجز بقول ما، أدّى الوظائف التالية: الإصرار والتحدّي، وهو فعل ثان تضمنه فعل القول الأول، أما الفعل الثالث وهو الفعل الناتج عن القول المتسبب في نشوء آثار لدى المتلقي في المشاعر والفكر كان وراء غاية إقناع الصهاينة بإستمرار المقاومة تثبيطهم[1]

أمّا الطريق الثاني الأسلوب القصر، وهو تقديم ما حقه التأخير والعكس، وحتى يحقق القصر قائد التوكيد والتقرير وجب أن تكون هذه الأية فيما هو جائز فلا مزية في تقديم أو تأخير ما هو واجب تقديمه وتأخيره، فهذه الألية توظف للإثبات والتأكيد من خلال الأفعال التقريرية الواردة في المقطع الخامس على سبيل المثال:

من قصب الغابات

نخرج المصحف، تأتيكم

ومن المقطع السابع عشر في قوله

وجاء في كتابه تعالى

بأنكم من مصر تخرجون

1- صحراوي سعود، التداولية عند العلماء العرب، ص 42

ففي التراكيب السابقة (أفعال القول) أبرز فيها الشاعر نزار قباني الأمكنة التي سينبثق منها العربي، والأمكنة التي سيبرحها الصهيوني وتخصيصها، عرضت هذه المنطوقات بقوة التوكيد (التقديم والتأخير) والقوة المتضمنة فيها (الوعيد والتحدّي) أمّا الفعل الناتج عنها (الأثر) قذف الرعي في قلوب اليهود وتذكيرهم بمالهم الوخيم لإضعاف عزمهم، أما التقرير بإستخدام مختلف أنواع المجاز من صور نلمح ذلك في المقطع 16 قوله:

للحزن أولاد سكبرون

للوجع الطويل، أولا سيكبرون

هذا التركيبان تقريران، ولكن كانا في صورة إيحائية، اذ تطرح العلاقة بين التركيب ودلالته المنطقية نوعا من العرض والتصادم، لتتدخل قوانين المجاز وقرائنه

2- أفعال التوجيه:

لقد كانت الأفعال التوجيهية كثيرة في الخطاب وإرتبطت ضمنيا بالتقرير والإثبات، وعملت كلها على إقناع المتقبل بما يجب أن يقتنع به، الإعتراف أن فلسطين للفلسطينيين ولتوضيح هذا الطرح نأخذ من المقطع الثاني في قصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل لقوله:

لا تسكروا بالنصر

فالجملة تحمل قوة إنجازية عرضت بقوة (النهي) غير المباشر، تتعدد قيمتها في ظروف سياقية معينة، فهذا الفعل الكلامي من ثلاثة أفعال، الفعل اللّفظي بمعناه الحرفي الذي يقرأ هناك نصرا لليهود، وفي المقابل هزيمة العرب، مرجعه وجود النصر والهزيمة فعلا، والفعل العرضي والإنجازي لهذا الملفوظ هو الوعيد والتحذير من الإعتزاز بالنصر، الذي يعتبره نزار نشوة عابرة للصهاينة، اما الفعل التأثيري أو ما يخلقه القول أثر في المتلقي قد يكون الخوف، أو إقناعهم بأن الحرب لم تنته، وفي حال عدم حصول التأثير المرتجى من الإنجاز وجب التعديل في الفعل الإنجازي عن طريق زيادة بعض الوحدات اللّغوية[1].

1- كلاوس برينكر، التحليل اللّغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: يعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة –مصر-، ط1، 2005، ص112

وهو ما أضافه الشاعر نزار في مطلع 2:

لأن موسى قطعت يداه

هنا نلاحظ تعليل من إبراز للصهاينة بعدم الإنتشاء بالنصر، لأن أسباب النصر قد إمحت ودرست ثم ليواصل نزار توجيه مخاطبه بلهجة شديدة تحمل كلّ معاني الوعيد والتهديد، وهو ما يدل عليه المنطوق غير المباشر في المقطع السابع في قوله:

إنتبهوا...

إنتبهوا..

أعمدة النور لها أظافر

وللشبابيك عيون عشر

والموت في إنتظاركم

فالقوة الإنجازية التي يتضمنها القول عرضت بقوة الأمر المكرّر صراحة وإضمارا في باقي أجزاء المقطع ليحقق فعلا إنجازيا هو الطلب، يدعو من خلاله اليهود إلى الإنتباه والتحلّي بالحيطة والحذر ما دام الموت يحيطهم من كل جانب، فالفعل المتضمن في القول هنا، وهو التهديد والوعيد، والملاحظة في هذا الفعل التوجيهي أنه يخلق أسبابا للمخاطب لكي يؤدي ما طلب منه، وتحمله على القيام بفعل معين، هو ترك الأرض لأهلها، والخوف والإضطراب وإعادة الحسابات... وبهذا تنزل هذه المنطوقات منزلة الأفعال (السلوكيات) بعبارة أوستن: "إن قولنا شيئا ما يعني أننا تصرفنا أو فعلنا شيئا ما" [1]

1- جون لا نكشوا أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 123

نستخلص أن الفعل الإنجازي ويتعلق بالمرسل وذلك من خلال النهي والنداء الأعراض معينة، أما الفعل التأثيري فإنه يتعلق بالمرسل إليه، وقد لا تكتمل دائرة التأثير فيه إلّا عند حدوث ردّة فعل المرسل إليه[1]

أما الفعل التأثيري الناتج عن الفعل الغرضي قد يكون فزع اليهود أو إستخدامه لعري قادمة للتوجيهات التي عرضها نزار قباني في المقطع9:

ننصحكم أن تقرؤا

ما جاء في الزبولا

ننصحكم أن تحملوا ثوراتكم

وتتبعوا نبيّكم للطور

إنّ قصد المنشئ ليس النصح الذي يمثل القوة الإنجازية الحرفية المباشرة، المجسدة في الطلب (ننصحكم أ، تقرؤا، أن تحملوا وتتبعوا) وإنما هو الأمر كقوة إنجازية غير حرفية مضمنة في النصح الذي يكون فيه المنطوق تأكيد لمن المتكلم حيال المخاطب بأن فعلا مستقبليا محددا سيكون في صالح المخاطب تماما وكأنّه يقول لهم أقرؤوا ما جاء في الزبور واتبعوا نبيّكم للطور، وفي ذلك تهديدين للصهاينة بدليل في قوله في نفس المقطع:

فما لكم خير هنا... ولا لكم حضور

إن هذه المعني الحرفية (الزبور، والتوراة، والطور) تدخل فيمن المخزون الثقافي الذي يتقاسمه المتشاركون في الحدث الكلامي لهذا لم تكن الأفعال اللّغوية قصديّة، بل هي حرفية أيضا وذلك أنها تنجرّ داخل الجماعة اللّغوية وفق قواعد يعلمها كل شريك لغوي في عملية تكيفية الإجتماعي[2]

1- الشهري عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 75
2- مرجع نفسه، ص 110

3- أفعال الوعد (الإلتزاميات):

يرد هذا الصنف من الأفعال الكلامية بدرجات متفاوتة بالقيام بأفعال ما في المستقبل عن قصد وإخلاص، إلّا أنّ السمة المميزة لهذا النوع عن سابقه لا يبتغي التأثير في السامع، يتضح هنا من خلال تتبعنا لهذه الأفعال أن الوعيد يعدّ المنطوق بالنسبة للمتواصلين قبول المتكلم بالإلتزام حيال المخاطب بتنفيد ما وعد به، ففي حال الوعد يجب أن يدل المحتوى الموضوعي على المستقبل، إذ لا يعد المرء بأفعال تقع في الماضي، ولا يمكن للمرء أيضا أن يعد بأن شخصا آخر سيفعل شيئا، فالمتكلم يعد دائما بإسمه، وهذا الوعيد صاحب التحدي والإصرار في مواطن من الخطاب، وفي مواطن أخرى كان مصحوبا بالتهديد[1]

وممّا هو ملاحظ أيضا أن كثيرا من الأفعال الإنجاز عرضت بقوة (التفي) الذي تحقق بالحزن (لن ولا) للدلالة على التحدّي والصمود وذلك في قوله المقطع1:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر

وفي المقطع 5و6:

لن تفلتوا من يدنا

لن تستريحوا معنا

كل قتيل عندنا

يموت ألافا من المرات

1- الشهري عبد الهادي بن طافر، إستراتيجيات الحطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 80

فنزار بلسان كل عربي يتحدّ الصهاينة بأن يقضوا على شخصيته، مثلما صنعت أمريكا بالهنود الحمر، ثم ليحقق النفي بلن غرض التعهد عندما يتوعد الصهاينة بعدم الإلتفات من قبضة العربي التي ستظل تلاحقهم حتى تقتص لنفسها من جرائهم وتجاوزاتهم، فلا تطمعوا يا بني صهيون في النشر فكلّ قتيل عندنا يموت آلافا من المرات

كما إعتمد الشاعر في وعيده لليهود على بنية المضارع المقترنة بحرف الإستقبال (السين وسوف) لإنشاء غرض الوعيد نلمح ذلك في المقطع الثالث في قوله:

فسوف تهلكون عن آخركم

وكذلك في المقطع 9 لقوله:

سيخرج الحجاج ذات ليلة

ويخرج المنصور

وفي المقطع 12 قال:

للحزن أولاد سيكبرون

وهؤلاء كلهم

من كل أبواب فلسطين سيدخلون

وفي المقطع 18 لقوله:

سوف يموت الأعور والدّجال

إن الوظائف اللّسانية المحصورة خلق هذه الأفعال دالة على التهديد والوعيد، فالزمن يخبئ لهم الهلاك بفعل فاعل، وهو العربي الغاضب الذي سيعود إلى أيام عزته وشرفه (ماضيه التلبد) ليقنع بشخصيات تاريخية تراثية (الحجاج، المنصور) التي سيجسد هنا جيل الثورة الصاعد، لينتقم من جلاده ويسومه سوء العذاب

ومن الإلتزاميات التي إحتواها نص المدونة توظيف نزار تباني للأفعال الدالة على الإنبثاق (نطلع، ونأتي، ومن وموعدنا) أمتلثها ما ورد في المقطع الحادي عشر: رجالنا يأتون دون موعد

وأيضا في المقطع 14:

موعدنا حيث يجيء المغيب

موعدنا القادم في تل أبيب

نصر من الله وفتح قريب

كذلك في المقطع 25:

أطلع كالعشب من الخراب

أضيء كالبرق على وجوههم

وفي المقطع 27:

نأتي...

بكو فياتنا البيضاء والسوداء

إشارة الفداء

نأتي ...لكي نصحح التاريخ والأشياء

ترتبط وجهة الإنجاز في هذه المنطوقات بالإلتزام الشاعر حيال مخاطبه بالتهديد والوعيد، وهو يعبر للمجموع عن شعور يتملك المجموع نفسه وهو النيل من الغاضبين، وممّا تجدر الإشارة إليه حمل هذه الأفعال الإخبارية في ظاهرها على محمل الأفعال الإنجازية، أي إخراجها من تصنيفها الطبيعي إلى مجال التأويل، وذلك بإنتقال الدلالية من الإخبار إلى الوعيد، وهو المعنى المتضمن في القول، خاصة إذا ما تمت مراعاة الظروف والملابسات التي صاحبت الصيغ، وذلك بالوقوف على دور السياق في تحليل الأفعال الكلامية، ليأخذ فان ديك النظر القائلة: "بأنه لا توجد فائدة في التكلم عن ضروب إنجاز قوى أفعال الكلام خارجا عن السياق المحدّد تحديدا إجتماعيا" [1].

1- فان ديك، النص والسياق، إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص 266

4- الضمائر:

تنقسم بدورها إلى فرعين ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هم، هو، هنّ...إلخ وضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابة، كتابهم، كتابنا...إلخ وتعتبر الضمائر من وسائل الإحالة في القصيدة مع أسماء الإشارة التي تنقسم إما حسب الزمان (الآن، غدا، الأمس) أو المكان (هنالك، هنا) أو حسب الحياد والإنتقاء (هذا، هؤلاء..) حسب البعد (ذلك، تلك..) أو القرب (هذه، هذا..)، فهذه الضمائر والأسماء الإشارية تساهم في الربط بين عناصر القصيدة وتساعد على إتساق النص على المستوى السطحي له[1]

تزخر قصيدة نزار قباني المعنونة بعنوان منشورات فيدائية على جدران إسرائيل بكل أنواع الإحالة ضمائر وأسماء وإشارة ولإيضاح ذلك ندرج التالي:

طبيعة العنصر الإحالي	المحيل	نوع الإحاة	العنصر المحال إليه
الضمير	باقون (نحن)	إحالة مقامية	الشاعر وشعبه
الضمير	قلت (أنا)	إحالة مقامية	الشاعر
إسم إشارة	هذه	إحالة نصيّة قبلية	بلادنا
فعل	حولتني	إحالة نصيّة بعدية	الشاعر نزار قباني
الضمير	أنتم الجيل	إحالة مقامية	الشعب
فعل	قتلتم	إحالة نصيّة بعدية	إسرائيل
الضمير	نخجل (نحن)	إحالة مقامية	الشاعر وشعبه
الضمير	شربوا (مع)	إحالة مقتميّة	اليهود
الضمير	كلّفنا (نحن)	إحالة مقامية	الشاعر وشعبه
إسم إشارة	هذه	إحالة نصيّة قبلية	الأرض
الضمير (الهاء)	يملكه	إحالة نصيّة قبلية	الشرقي
الضمير	جيل (نحن)	إحالة مقامية	الشاعر وشعبه

نلاحظ من خلال تحلينا للمستوى التركيبي أن الألفاظ والتراكيب من أفعال وضمائر وجمل ساهمت في إتساق وإنسجام عناصر القصيدة

إذ تهتم بربط الأفكار في بنية النص الظاهر، ويتميز الإنسجام بمجموعة من الوسائل: السياق، وموضوع الخطاب وبنيته، أنما الإتساق يهتم بالوسائل التالية: الإحالة والحذف والتكرار وكثرة الضمائر وأسماء والإشارة، فتطبيق مبادئ الإتساق والإنسجام في القصيدة أدّى إلى تحقيق هذه المبادئ وتماسكها في القصيدة، كما يعدّ السياق عنصرا وعاملا أساسيا في بناء وتوليد النصوص، كونه يعتبر المعنى الذي يفهم من الكلمة وكلمات السابقة واللّاحقة لها في العبارة أو الجملة

5- الأساليب الإنشائية:

الأسلوب الإنشائي هو الكلام لا يصعب تحديد صدقه أو كذبه في ذاته، وينقسم إلى جملتين إحداهما طلبيّة ويطلب فيها المتكلم من المخاطب تنفيد أو عدم تنفيد أمر ما، وأخرى غير طلبية لا يطلب فيها المتكلم شيئا من المخاطب[1]

يمتاز الأسلوب الإنشائي الطلبي: بإستدعائه مطلوب غير حاصل وقت الطلب، وعادة يأتي على خمسة أوجه وهي:

أ- الأمر: وفيه دائما ما يطلب المتكلم من المخاطب القيام بفعل، عليه الإلزام والتكليف به، ومن أمثلة الأمر في هذه القصيدة نلمح ذلك في المقطع السابع لقوله:

إنتبهوا... إنتبهوا

أعمدة النور لها أظافر

وللشبابيك عيون عشر...

استخدم الشاعر فعل الأمر (انتبهوا) الطلب التحذير وتوجيه تنبيه للعدو الصهيوني لغرس الخوف في قلوبهم

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط5، القاهرة –مصر- مكتبة الخانجي، ص 23-24 بتصرف-

وكذلك في المقطع 10 لقوله:

انتظرونا دائما

في كل ما لا ينتظر

فنحن في كل المطرات وفي كل

بطاقات السفر

وجه فعل الأمر (انتظرونا) لتوجيه طلب الأنتظار دائما للكفاح ومواجهتهم بكل قوة لنيل الاستقلال

وأيضا وجود أمر في المقطع 12 لقوله:

تذكروا... تذكروا دائما

بأن أمريكا على شأنها

ليست هي الله العزيز القدير

أمر الشاعر نزار من الصهيون التذكر وكررها من أجل تأكيد كلامه لهم بقوله (تذكروا... تذكروا دائما)

ب- النهي: هو أن يطلب المتكلم من المخاطب التوقف عن فعل أمر ما، ويتكون أسلوب من فعل مضارع يكون مسبوقا(بلا) النّاهية[1].

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 25

ومن أمثلة النهي في القصيدة نزار قبائي في قوله المقطع 2:

لا تسكروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا... فسوف

يأتي عمرو

قام الشاعر هنا عن كسر النصر لغرس الأمل في نفوس الفلسطينيين وطلب كف عن جهة الإستعلاء

وأيضا في المقطع 13 لقوله:

ما بيننا.. وبينكم... لا ينتهي بعام

لا ينتهي بخمسة... أو عشرة

ولا بألف عام طويلة معارك

التحرير كالصيام

وظف الشاعر في هذا المقطع أسلوب النهي (لا ينتهي، ولا بألف عام) لتوجيه خطاب ونفي كلامه للمطالبة بتوقيف الحرب

ج- الإستفهام: يعرف الإستفهام بأنه طلب معرفة شيء مجهول لا يعرفه السائل أو يكون بواسطة إستخدام أدوات الإستفهام التي قد تكون حرفان هما: "الهمزة وهل" ويتفهم بهما عن مضمون الجملة ومنها: كيف، هل، كم، من، ما...إلخ [1]

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 27-28

نلاحظ بأن هذه القصيدة تخلو من أسلوب الاستفهام وذلك راجع الى أن الشاعر يوجه خطابا صريحا لا يكتسيه الغموض أو أي شيء مجهول أي هو يتكلم بشكل مباشر لا يطرح أسئلة.

د- النداء: هو طلب شخص واستدعائه القدوم مستخدما في طلبه حروف النداء التي تأتي محا الفعل بمعنى أنادي، أدعو، وحروف النداء تختلف باختلاف مكان المنادى، فان المنادى قريبا نستخدم حرفي النداء: الهمزة أو أي أما ان كان المنادى بعيد نستخدم أحد الحروف التالية: يا، أيا، هيا[1]

ففي هذه القصيدة وظف الشاعر أسلوب النداء في المقطع 8 في قوله:

يا آل إسرائيل... لا يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن توقفت

لا بد أن تدور

وجه من خلال قوله (يا آل إسرائيل) نداء للعدو الصهيوني فهو منادى بعيد لذلك إستخدم حرف (يا) لتوجيه خطاب مفعم بالرفض والثوارة

كذلك في المقطع 16 لقوله:

تجمعوا كالدمع في العيون

وهؤلاء كلهم..

في أي... أي لحظة من كل

إستعمل حرف (أي) للنداء البعيد لعدوه الصهيوني وطلب الدخول لفلسطين ومواجهتهم بكل قوة وعزيمة.

1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مصر، الهنداوي، ص 79-80 بتصرف

هـ- التمني: هو أسلوب إنشائي يتمنى فيه حصول شيء مثل محبة شخص أو مجيء شخص، وهذا لا يقتصر على كلمة (ليت) بل يشمل(لعل وعسى) وقد يكون في شيء لا يرجى ولا يعتقد إمكانية حصوله بسبب إستحالته أو لأنه بعيد المنال[1]

ففي هذه القصيدة الشاعر لم يستعمل أسلوب التمني بشكل مباشر ولم يستعمل الألفاظ الدالة عليه مثل ليت ولعل وعسى لأن القصيدة كلها تعتبر قصيدة يأمل بها الشاعر التمني على أخذ الإستقلال والتخلص من العدو الصهيوني

*أما الأسلوب الإنشائي الغير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوبا وقت الطلب بمعنى أن حصول الطلب غير مرتبط بالطلب، وله خمسة أنواع وهي: المدح، الذم، القسم، التعجب، الرجاء، صيغ العقود

1- التعجب: هو أسلوب يدل على الإستغراب وإنفعال وله صيغتان هما: تعجب سماعي لا وزن ولا قاعدة وقياسي وله صيغتان: ما أفعله، وأفعله[2]

ومن أمثلة التعجب في قصيدة نزار قباني في المقطع 19 قال:

تسعون مليونا من الأعراب

خلف الأفق غاضبون

يا ويلكم من ثأرهم

يوم من لقمقم يطلعون

إستعمل الشاعر صيغة التعجب السماعية (يا ويلكم) للتعبير عن مدى تعجبه من الثأر نتيجة إستغرابه منهم فوجه ذلك عن طريق تحذير لتخويفهم.

1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 82- 83
2- مرجع نفسه، ص 84

ي- القسم: هو أسلوب يدل على اليمين والحلف في معظم، ويراد به تأكيد شيء لدى السامع بغرض إزالة أي شك عنده بإستعمال لفظ الجلالة (الله)[1]

ومثال ذلك في المقطع 17 لقوله:

وجاء في كتابه تعالى:

... وأنكم بنعمة الله عليكم سوف تكفرون

وفي المناشير التي يحملها رجالنا

إستعمل الشاعر لفظة (بنعمة الله) بصيغة القسم وبنعمة الله عليكم أنهم سوف يكفرون وذلك لتأكيد كلامه لدى القارئ

نستخلص من خلال تحليلنا هذا أن القصيدة مكلفة بالأساليب الإنشائية خاصة الطلبيّة وذلك أن وظيفتها تتجسد في إنفعالية الحالة الوجدانية القلقة للشاعر وكذلك ساهمت في وظيفة نقل المعلومات ومحاولة تقريرها كالحقائق وتأكيدها في ذهن المتلقي وتوصيل معاناة الشعب الفلسطيني للأمة بصفة عامة من أجل الإحساس بشعورهم الحزين ومعاناتهم المستمرة

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 30

المبحث الرابع: المستوى المعجمي

يكون فيه النص الأدبي وحدة واحدة بين الألفاظ ومعنيها بوصفها دلالة معجمية لا غير، ويدرس الحقول الدلالية المعجمية الموجودة في القصيدة وإستخراج ألفاظها لمعرفة خصائص الحسية والتجريدية والحيوية، ومن أبرز الحقول المعجمية التي وردت في هذه القصيدة:

*حقل الدين: ألفاظه الدّلة عليه: صلبانها، نبيها، قرأنها، الوصايا العشر، كالجن، الصلبان، أغطية الصلاة، ولاق المصحف، الايات، ال اسرائيل، الزبور، ثوارتكم، جامع، الله العزيز القدير، كالصيام، كتابه تعالى، ستعبدون العجل، ربكم، تكفرون، الأعور، الدجال، الخالق، من بدر

*حقل الحرب: بالنصر، قتلت، تهلكون، شهيد جديد، النار، الحريق، الأموات، البندقية، مراكز البوليس، السجون، السلاح، النضال، قتيل، الجيوش، تهزموا، بارودة، معارك، التحرير، غرف التحقيق، الجنود، الجراح، ثورة، الطلاب، قيادة الأركان، الألغام، الخراب، جيش، الفداء

*حقل الطبيعة: الأرض، زهر، خلجانها، حشيش، البحر، قمحها، وردة، مياه، صحاري مصر، قصب الغابات، الريح، الماء، النبات، الصخور، الأشجار، الجذور، الحجر، الورود، عطر البرتقال، الجبال، المدّ، الجزر، الشروق، الزوال، الأصداق، الرمال، سنابل القمح، نسائم، الشمال، الهلال، السفوح، الهضاب، حقل، صحاري ليبيا، أوراق، غصن ،كالعشب، كالبرق، كالسحاب، ليل، شجيرة اللّبلاب، بركة الماء، التراب، الهواء

*حقل الدول والعواصم والمدن: أمريكا، روما، كربلاء، زوريخ، السودان، ليبيا، فلسطين، فيتنام، هانوي مثل أبيب، بيسان، القدس، الأردن

*حقل الشخصيات التاريخية: خالد، عمر، الحجاج، المنصور، أمرؤ القيس، أبي تمام، الحسين، فاطمة الزهراء، أبي عبيدة، معوية، هارون الرشيد

*حقل الإنسان: الأهداب، شعر، خصلة، بداء، ضفائر البنات، وجه، خصر، أظافر، عيون، رؤوسها، طفل، يد، صدوركم، ذاكرة، الأولاد، شفاه، كالدمع، الرجال، الاطفال، غلمان

*حقل الحيوان: فالريش، أجنحة النسور، الطيور، أجنحة الحمام، العجل، الخيل، أرنب، الذئاب، حصانه

نلاحظ حضور كبير لحقلي الحرب والطبيعة في هذه القصيدة، وهذا راجع إلى تعلق الشاعر نزار قباني بأرضه ألا وهي فلسطين وطول الحرب الدامية على مرّ السنين، كما نجد أنه إعتمد على حقلا الدين الذي يبرز إنتماء الشاعر للإسلام، وكذا حقل الشخصيات التاريخية دلالة على إبرازه للشخصيات التي عاشت في فلسطين أو التي لها صلة بها على مرّ الأعوام كما ذكر حقل الدول والعواصم والمدن وذلك راجع إلى تعلق الشاعر بالسياسة[1]

كما نلاحظ أن الشاعر وظف بعض المفاهيم الدّالة على السياسة أهمية " هنود حمر، مرشرشون، باقون، المسجد الأقصى، إغتصاب، الحساب العتيق، المصفر، كالحفر، قناديل، المرقوق

ودلالة ذلك أن الشاعر ساخط على قوم الظلم والطغيان في العالم ألا وهي إسرائيل خاصة، وتعلقه بالجانب السياسي الذي دمجه داخل قصيدته للتعبير عن شدة معاناة الشعب الفلسطيني

وظف الشاعر أيضا بعض السياقات الدالة على التضحية في سبيل الوطن والأمة وذلك في قوله:

لا تسكروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا... فسوف يأتي عمرو

إن سحقتم وردة... فسوف يبقى العطر

*كذلك وظف نزار قباني دلالة على نبرة التحدي في قوله:

نحن باقون هنا

هذه بلادنا مشرشون نحن في خلجانها

إذا قتلتم خالدا... فسوف يأتي عمرو

1- نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص 167

*وتتجلى دلالة السيادة في قوله:

فهذه بلادنا ... فيها وجدنا منذ فجر العمر

فيها لعبنا وشقينا وكتبنا الشعر

كما تبرز دلالة لكشف حقيقة التاريخية والسياسة في قوله:

لن تجعلوا من شعبنا شعب هنود حمر

مشرشون نحن في خلجانها، مشرشون نحن في تاريخها

إذا قتلتم خالدا... فسوف يأتي عمرو

كما تبرز دلالة الدّين والتاريخ الإسلامي في قوله:

فهذه بلادنا ... فيها وجدنا منذ فجر العمر

*وفي قوله أيضا:

باقون في نبيها الكريم... في قرآنها وفي الوصايا العشر

دلالة على أن فلسطين مهبط الأديان السماوية وذلك في قوله:

باقون كالحفر في صلبانها

باقون في نبيها الكريم... في قرانها وفي الوصايا العشر

دلالة على أن أمريكا إستوطنت أرض الهنود وذلك في قوله:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر

*وظف الشاعر بعض المفردات الغامضة والتي معناها:

مشرشون: شديد الإلتصاق

المرقوق: المدهون

آذار: مارس

نيسان: أفريل

العتيق: القديم من كل شيء

البيت العتيق :الكعبة

قناديل: جمع قنديل وهو المصباح كالكوب في وسطه فتيل

صلبان: جمع صليب وهو كل من كان على شكل خطين متقاطعين من خشب أو معدن

مبثوثون: هي اسم مفعول للفعل يثبت وهو الثبات على الرأي والإستمرار فيه

المنهاج: هي كلمة منهاج وهو الطريق الواضح وجمعه مناهيج

مزاريب: ميزاب وهي أنبوبة من حديد تركب في البيت من أعلاه

السرداب: مرادف لعبارة ممر أود هيلز

أبيب :هي مرحلة نمو محصول الحب عند ما تكون حبوب وصلت الى الحجم الكامل

الأهداب: جمه هدب ويقصد بها أطراف أو القواعد والمبادئ، وأهداب العين: شعر أجفان العين[1].

1- إبن منظور، معجم لسان العرب، ص 79-85

نستنتج من خلال تحليلنا للمستوى المعجمي لهذه القصيدة أنّها مكوّنة من مجموعة حقول دلالية لكلمات متقاربة المعنى التي ساهمت في زيادة وضوح القصيدة في ذهن القارئ، لأن الحقول المعجمية عبارة عن مجموعة من الكلمات والعبارات التي تربط بينها في نص معينة علاقة معنوية وهو عكس الحقل الدلالي الذي يعطيك كلمات وتقوم بإستخراج كلماتها، ذلك نستخلص أن هذه الحقول المعجمية التي وظفها نزار قباني في قصيدته شكلت عدّة وظائف من بينها تحديد وظيفة الحروف ومعانيها وكذلك تساعدنا على معرف الأجناس والتمييز بين المجاز والحقيقة ودراسة الصور البيانية وقيمتها في أداء المعنى، كما يساعد الحقل المعجمي أيضا تعليل عنوان القصيدة وعلى تعيين فكرة القصيدة الأساسية والحالة النفسية لصاحب القصيدة[1].

1- ينظر: موريش أبو ناظر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 18-19، بيروت، لبنان، دط، 1982، ص 35

مقدمة

تعد قضية المعنى وحيثياته من القضايا المعقدة التي اجهد الفلاسفة واللّغويون ، فتتالت المباحث والأطروحات التي حاولت الكشف عنه، وتواردت النظريات الدلالية الساعية وراء رسم منهج قويم يمكنها من الوصول إلى المعاني الكامنة خلف التراكيب والبنى، وهو ما تجسد في أعمال رواد الشكلانية والبنيوية الذين عدوا الإنتاجية الأدبية عبارة عن إنتاجية منسلخة عن المصدر الذي أنتجه، وهو ما يعرف عندهم بموت المؤلف الذي نادى به رولان بارت، فمقاربة الخطاب الأدبي إنطلاقا من هذا المفهوم الشكلي الصوري، فهو يستخدم اللغة ويتجاوزها، إذ أنه أثناء عملية التحليل تراعى أطراف غير لغوية معلنة تتمثل في السياقات التي تحف الخطاب لتكون التداولية بين البنائية الوصفية والسياقية والوظيفية وغيرها من الحقول التي تلتقي مع الدرس التداولي.

نظرا للأهمية موضوع الخطاب التداولي ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا: بنية الخطاب التداولي في قصيدة منشورات فدائية على جدران إسرائيل لنزار قباني لإبراز عناصر التواصل اللغويات المستويات المتداخلة، كالبنية اللغوية وقواعد التخاطب وعلاقة البنية بظروف الإستعمال، وحسب المعمول به فإن البحث يستلزم إشكالية على النحو الآتي: هل يمكن للتداولية أن تجد ضالتها في سير كوامن الخطاب الشعري الذي يعد خرقا للمتداول وتعاليا

عن المألوف؟ وهل يتحول الخطاب الشعري الى فعل لغوي مركزي؟ وتجسدت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع: في أسباب ذاتية وتمثلت في ميلنا إلى هذا النوع من الدراسات وحبّ الاطلاع، وأخرى موضوعية تمثلت في: تحديد موضوع اللسانيات التداولية التي رأينا فيها منهجا متكاملا يعمل على كشف كوامن الخطاب ومعرفة مباحث الدرس التداولي كالخيال، والشعور، والرمز، والشكل، والإقناع، والتأثير... إلخ. وعليه إقتضت طبيعة الموضوع أن يشتمل بحثنا على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، فالمدخل فيه مفاهيم للبنية والخطاب والتداولية، وفي الفصل الأول تطرقنا إلى نشأة التداولية وجذورها الفكرية وعلاقتها بالعلوم الأخرى وأهم قضاياها الأساسية، ثم في الفصل الثاني حددنا مفاهيم نظرية لمستويات التحليل التداولي من: مستوى صوتي، بلاغين تركيبي، ومعجمي، أمّا فيما يخص الفصل الثالث خصصناه للجانب التطبيقي حيث قمنا بتحليل قصيدة نزار قباني منشورات فدائية على جدران إسرائيل بالمستويات الأربع للتحليل التداولي. أما أهم البحوث والدراسات التي أعتمدناها في هذه الدراسة فهي: تحليل الخطاب لمحمد عكاشة، التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، مدخل إلى اللسانيات التداولية الجيلالي دلاش وغيرها من مصادر المهمة في هذا الموضوع. هذا وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء إنجاز هذا البحث وتتمثل في: قلة المصادر والمراجع الخاصة بالفصل الثالث، وصعوبة تحديد منشأ اللسانيات التداولية التي تعتبر مدينة لعدد من التيارات الفلسفية أرغمتنا على طرق أبوابها بالإطلاع على أعمال فلاسفة اللغة، وكذلك صعوبة تحديد منهجية ثابتة لدراسة التداولية، وصعوبة تطبيق تصنيف الأفعال الكلامية على نص المدونة وتداخلها، لأن ظاهر المنطوقات لا يدل دوما على دلالاتها الأصلية.

قدمنا ما يسع على قدر الإستطاعة إلا قليل عن هذا موضوع الواسع في تناول الخطاب الشعري في ضوء النظرية التداولية. كما إعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي التداولي، فالتحليل تمثل في كوننا نرصد موضوع مهم ونحلله والتفصيل في عناصره، اما التداولي تمثل في تطبيق مستويات التحليل في تحليل قصيدة تداوليا، وكانت الخاتمة عبارة عن نتائج توصلنا اليها من خلال إنجازنا البحث

فنأمل من هذه الدراسة تحقيق ولو حدّ أدنى من الجدّ في ظلّ شح المكتبة العربية في تناول الخطاب الشعري من زاوية التداولية.

-بن قريش صورية

-بن حدة نجيمة

حرّرت بتاريخ:

2022/05/18

مدخل

مفاهيم للبنية والخطاب والتداولية

*مفهوم البنية (لغة واصطلاحا)

*مفهوم الخطاب وتياراته

*مفهوم تداولية (لغة واصطلاحا)

يعد الخطاب بنية لغوية بحيث يفترض سامعا ويكون من إنتاج اللغة الشفوية، ولا يتجاوز سامعه إلى غيره مما يعني أنه لا يبتعد عن الخطبة والخطابة بمفهومها المعجمي، فتحليل الخطاب يكشف عن خبايا الرسالة سوءا كانت منطوقة أو مكتوبة أ

ب- اصطلاحا:

أرتبط المفهوم المعرفي والفلسفي للخطاب بكتابات ميشال فوكو الذي يكتسي أبحاثه عن الخطاب أهمية كبيرة في الدراسات الثقافية، ويعتقد الكثير من الدارسين أنه المفكر الوحيد الذي حدد بدقة مفهوم الخطاب، كما أعتبر آخرون أعماله على نظرية الخطاب عصية على الفهم وارجعوا سبب ذلك لإستغلاله على مواضيع كثيرة ومتنوعة كالتاريخ والفنون والأدب النسوي واللغة والمعرفة.

فعرف ميشال فوكو الخطاب بقوله: "هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموعة المنطوقات وأحيانا أخرى بمجموعة متميزة من المنطوقات وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات"[1]

لا يحصر هذا المفكر الخطاب في معنى واحد ووحيد بل هو عنده متعدد المعاني لأنه يرد في سياقات متعدد يقول: "بدلا من إختزال المعنى المتذبذب باللّفظ discour أظن أني اضفت لمعانيه معاملته أحيانا بإعتباره

النطاق العام لكل الجمل، أحيانا بإعتباره مجموعة متفردة من الجمل، وفي أحيان أخرى بإعتباره عملية منضبطة تفسر عددا من الجمل"[2]

3/الخطاب في المفهوم اللساني:

بداية يمكن الإشارة لمفهوم الخطاب بشكل عام والذي قد ينحصر في الكلام بين متكلمين قد يستخدمان وسائطا متعددة للتواصل يمكن أن تكون شفهية أو مكتوبة أو مرئية أو حركية أو لمسية أو شمية، وكثيرة هي طرق التواصل التي يستعين بها الإنسان في حياته اليومية لقضاء أغراضه المعرفية.

فالخطاب عند رومان جاكبسون يتضمن مفهوم الرسالة، ومادام الأمر كذلك فإنه من الضروري أن نتوقف عند عناصر العملية التخاطبية أولا وهي:

المرسل: وهو مصدر الخطاب وهو ركن حيوي في الدارة التواصلية اللفظية.

1- سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2016، ط1، ص29

2- المرجع نفسه، ص 29

المرسل إليه: وهو يقابل المرسل داخل دارة التواصلية اللفظية أثناء التخاطب.

الرسالة: وهي أساس عملية الإتصال بل هي قلب عملية التواصل.

السنن: أطلق عليها بأنها القدرة ذات مدلول واحد يحيل على نظام ترميز.

السياق: وهو المرجع بالإصطلاح الغامض نسبيا، وهو إما يكون لفظيا أو قابلا.

القناة: فهي الوسيلة أو مادة التي يتم بها نقل الرسالة من المرسل إلى المتلقي.[1]

أما زاليغ هاريس يرى أن الخطاب حديث النشأة، إرتبط ظهور باللسانيات التي أنصبت دراستها على الجملة، وتجاوزها الخطاب على يد هاريس بتحليل عرف بالتوزيعي، حيث يقوم الدارس بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة: تتكون مثل هذه الطبقة من مجموع العناصر لا تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه، فالتحذير يريد لنفسه أن يكون نحوا محضا، أي لا يأخذ في الحسبان مسألة العلاقة الدلالية بين العناصر المتعادلة نحوا.[2]

مفهوم الخطاب عند العرب:

نجد الخطاب عند التهاوني: "هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام" فيميز بين الكلام عامة والخطاب بوصفه نوعا من الكلام[3]

ويقول محمود عكاشة عن الخطاب: "بأنه القول الموجه من المتكلم(أنا، نحن) إلى المتلقي المخاطب(أنت، أنتما، أنتم، أنتن) لإفهامه قصده من الخطاب صريحا مباشرا أو كتابة أو تعريضا في سياق التخاطب التواصلي."[4]

ويعني هذا القول بأن الخطاب كل ما يصدر عن المخاطب من كلام أو إشارة أو إبداع فني

1- الطاهر حسن بومزبر، التواصل اللساني والشعرية – مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون- ص25
2- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي لنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط3،1997، ص 17 نقلا عن زاليغ هاريس
3- رامي عزمي، تحليل لغة الخبر السياسي في الخطاب الاعلامي المكتوب، دار المعتز، ص20
4- محمد عكاشة، تحليل الخطاب، دار النشر للجامعات، القاهرة، ص17

كما يرى الأمدي أن الخطاب هو: "هو اللّفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[1]

مفهوم الخطاب عند الغرب:

يعرف بنفست الخطاب بإعتباره "الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات إشتغاله في التواصل"[2] والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ بواسطة متكلم معين في مقام، وهذا لفعل هو عملية التلفظ.

أما عند أحمد متوكل: يعد خطابا كل ملفوظ/ مكتوب بشكل وحدة تواصلية قائمة الذات.[3]

نستخلص أن الخطاب هو حدث لغوي يرسله المتكلم أو المرسل نحو المخاطب أو المرسل إليه قصد إفادته بمعلومات أو أخبار جديدة في مقام محدد وبإستعمال وسيلة تبليغية محددة والإنطلاق من ظروف وأحوال وأوضاع مشتركة بين المتخاطبين لا يعرفهما غيرهما، فالخطاب هو إنجاز في الزمان والمكان وقيامه يقتضي وجود شروط أهما المخاطَب والمخاطِب.

4/ تيارات الخطاب:

أضحى البحث في الخطاب الأدبي وصلته بالنقد يستحوذ على إهتمامات دارسي اللغة والأدب منذ بداية القرن العشرين، بفضل ما تقدمه الحقول المعرفية الجديدة كاللسانيات والأسلوبية والسيميولوجية من مصطلحات وأدوات إجرائية، تسهم في مقاربة الأثر الأدبي بعيدا عن المقولات النقدية التي كانت مستعارة من كل الحقول إلا حقل الأدب.

1- الأمدي، الأحكام في أصول الإحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص 135
2- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 19
3- أحمد متوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، ص2

أ- إتجاه (تيار) الخطاب النقدي الكلاسيكي:

للبحث عن منهج ملائم ظل النقاد الكلاسيكيون يتوسلون أنواع الأليات في دراسة النص الأدبي وينتقلون من منهج إلى أخرى وفق مرجعيات معينة، ولكن في أغلب الأحيان إنطلاقا من المناهج المعيارية التذوقية نحو: النظرية المدرسية تقسم الأدب العربي إلى عصور، ونظرية الفنون الأدبية ونظرية خصائص الجنس والنظرية الإقليمية والنظرية النفسية والإجتماعية، كما عجز هذا الإتجاه في مقاربة الخاصية الأدبية، وتفكيك عناصرها الداخلية الدالة على فرادتها والتي لا تخضع في كل الحالات إلى الظروف الخارجية المحيطة بالعمل الأدبي[1]

هكذا عرف النصف الأول من القرن العشرين نصوصا نقدية تعتبر الأدب صورة عاكسة الإنتاج الفرد ومن تم ركزت على سيرة الكاتب ونفسيته، كما ظهرت دراسات النصوص الإبداعية متأثرة بالعوامل الإقتصادية والإجتماعية والسياسية كما حلل بعض النقاد النص الأدبي في ضوء علاقته بالإبتكارات الجماعية للعقل البشري كالتاريخ الأفكار واللاهوت والفنون (في النصف الثاني من القرن العشرين)

ب- الإتجاه اللساني في تحليل الخطاب الأدبي:

يكشف التيار اللّساني سلسلة الجهود التجريبية على المستوى العالمي، ومن اللغات الأوروبية التي أهتمت بتحليل الخطاب وظهرت مدارس لسانية نذكر منها: المدرسة السلوكية رائدها بلومفيد والمدرسة التوزيعية هاريس والتحويلية التوليدية رائدها تشومسكي، وكانت التوجيهات اللسانية في تحليل النصوص الأدبية من إهتمامات الشكلانيون الروس الذين رفضوا إعتبار الأدب صورة عاكسة لحياة الأدباء[2] [في مطلع القرن 20]

1- د.وردة معلم، مذكرة محاضرات في مقياس تحليل الخطاب، ماستر لسانيات الخطاب، جامعة 08ماي 1945، قالمة، ص53-54

2- مرجع نفسه، ص 55

ويتبث تراكم البحوث النقدية اللسانية التأثير الذي مارسه المنهج الشكلاني في دراسة النص الأدبي من الداخل، بحيث مكن النقد الأدبي من الإنفصال في تحليل الخطاب الأدبي عن نظرياته علم النفس وعلم الإجتماع والإيديولوجيات الدينية والسياسية حتى غذا الخطاب النقدي يمنع بإستقلال ذاتي، لإن المادة الأساسية في بناء الأدب هي اللغة، وأما اللسانيات فهي الدراسة العلمية لها، و لمظاهرها الحسي الذي يتجلى من خلال الكلام.[1]

ج- الإتجاه الأسلوبي في تحليل الخطاب الأدبي:

تهتم الأسلوبية بدراسة الخطاب الأدبي بإعتباره بناء غير مثال مسبق، ولذلك تبحث في كيفية تشكيله حتى يصير خطابا خصوصيته الأدبية والجمالية، فالخطاب الأدبي مفارق لمألوف، ومخالف للعادة، وبخروجه هذا يكتسب أدبيته ويحقق خصوصيته.

لقد أحدث ظهور الأسلوبية في حقل العلوم الإنسانية واللسانية مشكلا قبل أن تتحول الأسلوبية إلى منهج نقدي لمقارنه الأثر الأدبي فرصته التطورات والإكتشافات العلمية والثقافية والأدبية في القرن العشرين، كما لقي التيار الأسلوبي رواجا كبيرا بفضل ما ألف فيه من بحوث أكاديمية. قدمت رصيدا معرفيا كبيرا وظهر بعد شارل بالي إتجاه نقدي جديد يدعوا إلى ضرورة فصل الأسلوبية عن المجال الأدبي واللسانيات لغرض فسح المجال لها لتحقيق ذاتها وإستقلالها.[2]

5/ مفهوم التداولية:

أ- لغة:

-التعريف اللغوي للتداولية في المعاجم اللغوية:

في لسان العرب لإبن منظور "دول" : العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدولة بالضم في المال والدولة بالفتح في الحرب، الفعل وفي حديث إشراطه الساعة، إن كان المغنم دولا، جمع دولة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وقال الزجاج: الدولة إسم الشيء الذي يتداول والدولة الفعل والإنتقال من حال إلى حال،... كأنه كي لا يكون ألفي دولة أي متداولا.[3]

1- وردة معلم، مذكرة محاضرات في مقياس تحليل الخطاب، ص 56
2- المرجع نفسه، ص57
3- إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج5، ط1، 1863،ص 327

أمّا في معجم أساس البلاغة للزمخشري فقد ورد لفظ التداولية كما يلي: دَوَل: دالته الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه، وعن الحجاج: أن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها، وفي مثل: يدال من البقاع كما يدال من الرجال، وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد، وأستدلت من فلان لأدال منه، وأستبدل الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دول وعقب ونوب، وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما، ونقول دواليك أي دلت لك الدولة كرة بعد كرة وفعلنا ذلك دواليك بعضها في أثر بعض [1]

- التعريف الاصطلاحي للتداولية:

في منظور النقاد هو اللسانيات، وإن كان الأمر la pragmatique إن اقرب حقل معرفي التداولية كذلك فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلي الجديد، باللسانيات وبغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى أما لإنها قريبة منه، أولا لإنه يشترك معها في بعض الأسس العلمية، نظرية كانت أو إجرائية، وذلك قبل وضع تعريف للتداولية، أو تحديد مفهومها، ومن ثم يرى المهتمون أو الدارسون: أنه من اللائق التساؤل عن المعيار الذي يصلح أن يكون ضابطا في تحديد مفهوم التداولية فعلى أي معيار نحدد هذا المفهوم! هل نحدده بناء على معيار البنية اللغوية! إن هذا الصنع، يجعلها مساوية للسانيات البنيوية، فلا يكون أي فرق بينهما، وليس هذا هو ما تقدمه البحوث التداولية! هل نحدد على معيار الإستعمال اللّغوي وحده! إن تحديده على الضابط فيه، إقرار بأن لا صلة تذكر بينه وبين البنية اللغوية، وهو ما يخالف أيضا النتائج التي انتهت إليها آخر الأبحاث والدراسات التداولية، هل نحدده بناء على تعالق البنية اللغوية بمجال إستعمالها! وإن هذا الصنع يبدو مبررا لكنه- إذا ذكر إجمالا دون تفصيل، قد يغفل بعض الصلات الرابطة بين العلوم المتشابكة والمتكلمة مفاهيميا، خاصة مجالات الفلسفة و التداوليات اللّغوية وعلم النفس المعرفي وعلوم الإتصال[2]

1- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيوت، ط1، ج1، ص303
2- حافظ إسماعيلي علوي، التداولية علم إستعمال، عالم الكتب الحديث، إدريد، الأردن، ط1، 2010، ص15

ومن جملة التعريفات التي قدمت للتداولية، وبعد تفحص للعديد منها، إرتأنيا تبني تلك التي ترتبط بموضوعها ووظيفتها:

يقول دلاش(dalash): "أنه تخصص لساني يدرس كيفية إستخدام الناس للأدلة اللّغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"

ونجد أيضا تعريفا عند أن ماري دبير وفرانسوا ريكاني كالتالي: "التداولية هي دراسة إستعمال اللّغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية" [1]

وعلى الرغم من إختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية، وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جداولها... فإن معظمه يقر بأن قضية التداولية هي" إيجاد القوانين الكلية للإستعمال اللّغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية ومن جديرة بأن تسمى علم الإستعمال اللّغوي.[2]

كما نجد أيضا التداولية هي دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية، وتواصلية وإجتماعية في نفس الوقت، وبناء على ما تقد يمكننا القول كذلك بأن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية.

1- فرانسواز ارمينيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، بيروت، لبنان، ص7
2- مسعود صحراوي، التداوليه عند العلماء العرب، دراسة تداوليه لظاهرة افعال كلامية، ص 17-18

الفصل الأول

التداولية (نشأتها وأصولها)

*نشأة التداولية وتطورها

*الجذور المعرفية للتداولية

* علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى

*القضايا الأساسية للتداولية

تمهيد:

أضحت الدراسات في مجال التداولية إهتمام العديد من النقاد والدارسين في شتى تخصصات المعرفية، خاصة التواصلية منها، بإعتبار أن التداولية نحتاجها تقريبا في معظم المعرف الإنسانية: علم الإجتماع وعلم النفسي، وعلم الإتصال، والنقد الأدبي، والبلاغة، والسيميائيات، وتحليل الخطاب واللسانيات وغيرها من الحقول المعرفية.

ولا تبالغ إذا قلنا أن هذا العلم قد طغى مؤخرا على ميدان الأبحاث اللسانية خصوصا في مجال التواصل اللساني، فلقد أعطت التداولية أهمية قصوى للمتلقي على حساب الظروف السياقية وألباث نفسه.

1/ نشأة التداولية وتطورها:

إذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية فسوف نلاحظ بدايات هذا التيار المعرفي، تعود إلى الخمسينيات من القرن العشرين وبالتحديد إلى سنة 1956م، وإلى أولى مقالات تشومسكي، ونيوال وسيمون ومينسكي، وساك كولوك، ويمكن لنا كذلك إرجاع نشأة التداولية إلى عام 1955م، عند ما ألقى جون اوستن محاضراته في جامعة هارفاد ضمن برنامج "محاضرات وليام جيمس"[1]

ويعد الفيلسوف الأمريكي شارلز ساندرس بيرس مؤسس البراغماتية أو التداولية حين بين معالمها في مقالين نشر الأولى 1878م بعنوان: "كيف تعجل أفكارك واضحة؟" والثاني عام 1905م بعنوان: "ماهي البراغماتية؟"

ولقد كان له الفضل الأكبر في المنعطف الحاسم الذي حصل صوب اللسانيات التداولية لأن العالم بالنسبة إليه يتم إدراكه بواسطة التفاعل بين الذوات والنشاط السيميائي، وهذا يحمل أساس بفضل الأدلة، ونلخص الفكرة في قوله: "لكي تتبلور دلالة فكرة ما يجب علينا بكل بساطة تحديد العادات التي تتولد عنها، وأن السمة المميزة للعادة إنما تكمن في الكيفية التي تحملت على العمل، لا في الظروف المحتملة فحسب بل في الظروف الممكنة الحصول بل حتى في تلك التي يتعذر تصورها"[2]

1- ينظر: ان روبول موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطبعة للصناعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص28

2- ينظر: حورية رزقي، الاحاديث القدمي من منظور اللسانيات التداولية، مذكرة مقدمة لنيا شهادة الماستر في علوم اللسان، كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم الادب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص13

وبدأت ملامح التداولية ترتسم مع الفيلسوف تشارل بيرس حيث نشر مقالا عام 1998م ميز فيه بين مختلف الإختصاصات التي تعالج اللغة وهي علم التركيب(وبالإجمال نحو الذي يقتصر على دراسة العلاقة بين العلامات) وعلم الدلالة(الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعين المعنى الحقيقي بين العلامات وما تدل عليه)، وأخيرا التداولية(التي تعني في راي موريس بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها)، وفي مفهومه التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب، وظرفي الزمتن والمكان مثل (الان، هنا) والتعابير التي تستقى دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، اي من المقام الذي يجري فيه التواصل.[1]

كما لا يمكننا إغفال ما أسهم به عالم النفسي الألماني كاربرهلر حيث قدم نقدا قام به سوسير من إهتمام بالبينة اللّغوية معتبرا إياه تحليلا بواسطة ساطور جدار، وإقترح صيغة تداولية بإهتمام بالفعل اللّغوي فهو يناشد لسانيات ديناميكية غير سكونية من أجل لسانيات النشاط اللغوي.

كما تتصرف مهمة علم اللسانيات إلى دراسة الإستعمال البشري الخاص للدليل حيث أن المرسل يسعى إلى التأثير في المرسل اليه، وتكون بذلك العلاقة الثلاثية قائمة بين كل من المرسل والدليل والمرسل إليه[2]

ولقد كانت تشأة التداولية على يد الفيلسوف جون أوستن عندما ألقى محاضرات وليام جيمس عام 1955م، إلّا أنه لم يكن يفكر في إختصاص فرعي للسانيات، وإنما كان هدفه تأسيس إختصاص فلسفي جديد وهو فلسفة اللغة ونضج في ذلك بيد أن محاضرات وليام جيمس، تتكون كذلك نواة التداولية اللسانية ومتمثل فيها خطب الرحى طوال ثلاثين سنة[3]، وكانت غاية من تلك المحتضرات وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية الانجلوسكسونية هذه الأخيرة التي نشأت في العقد الثاني من القرن العشرين على يد الفيلسوفي الألماني "غوتلوب فريجة" (1845-1925م) في كتابه أسس علم الحساب حيث أن هذا الفيلسوف لم يأت بقيمة فلسفية ثمينة فحسب بل في ما طرحه تعبير ثورة او إنقلابا فلسفا جددا من وجهة نظر فلاسفة اللغة.[4]

1- - ينظر: ان روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص29
2- ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل الى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 29
3- ينظر: ات رويول وجاك موشلار (م،س) ص 29
4- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان- 2005، ص18-19

وتتجلى تلك القيمة في رؤية الدلالة خصوصا تمييزه بين الإسم العلم والإسم المحمول، وبين المعنى والمرجع، محدثا قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بين مفهومين تداولين هامين هما: الإحالة والإقتضاء. وقد تأثر بهذا التجديد الفلسفي الذي جاء به "فريجة" عدد من الفلاسفة منهم: "هوسرل" و"كارناب" و"فيتغنشتاين" و"أوستن" و"سورل" وغيرهم [1]

وكان الأساس الذي رأساه أوستن مفاده أن اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع: فكل الجمل (عدا الإستفاهمية والأمرية والتعجبية يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة [2]

وأطلق على ذلك مصطلح المغالطة الوصفية، ورأى أنه هنا نوع آخر من العبارات الوظيفية في تركيبها

لكنه لايصف وقائع العالم ولايمكن وصفه بصدق ولا كذب، كان يقول رجل مسلم لإمرأته: أنت طالق أو يقول: أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان أو يقول وقد بشر بغلام: "سميته يحي"، فهذه العبارات لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي ولا توصف بالصدق أو الكذب، بل أنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تنشئ قولا بل تؤذي فعلا فهي أفعال كلام، أو هي أفعال كلامية [3]

وإنطلاقا من هذه الملاحظة توصل أوستن إلى تقسيم الجمل إلى وصفية وإنشائية، فالوصفية هي التي تقابل في العربية الجمل الخبرية ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب. كما يمكن لها أن تطابق الواقع أو لا تطابقه، في حين تتوفر الإنشائية على عدد من خصائص لا توجد في مجال الوصفية من ذلك أنها تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال وتتضمن فعلا من قبيل الأمر أو الوعد أو القسم... ويفيد معناها على وجه الدّقة إنجاز عمل وتسمى هذه الأفعال أفعال إنشائية لا تقبل الحكم عليها بمعيار الصدق أو كذب، بل يتم الحكم عليها بمعيار التوثيق أو الإخفاق.

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص20-21
2- ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 29-30
3- ينظر: محمود احمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص43

لقد ظن أوستن في البداية أن هذا التقسيم بسيط، ولكنه إكتشف بعد ذلك أن بعض الجمل الإنشائية غير مستندة لضمير المتكلم في زمن الحال، ولا تتضمن فعلا إنشائيا مثل: "رفعت الجلسة" وقد قادته هذه الملاحظة إلى التمييز الجديد الذي لا يزال مقبولا إلى يومنا هذا، مفاده أن كل جملة تامة مستعملة، تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، وميز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية، العمل القولي، والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير في القول[1]

ومن هنا قسمت الأفعال اللغوية إلى فعل الكلام والفعل الإنشائي، والفعل التأثيري ويمكننا تلخيص ذلك بتقديم مثال بتحليل هذا القول: "إن لم تتعلم سأهجرك" فإن فعل الكلام هو إنتاج هذه الجملة في حد ذاته، أما الفعل الإنشائي فيمثل في التهديد أو التحذير، في حين أن الفعل التأثيري يتعلق في هذه الحال بإستشارة الخوف أو العدوانية أو التصميم على التعلم. ويأتي "جون سورل" ليحتل موقع الصدارة إتباع "أوستن" و"مريديه" فلقد إعادة تناول نظرية أوستن وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: المقاصد والمواضعات، وبالفعل يمكننا إعتبار الأعمال اللغوية والجمل التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن المقاصد وتدقيقها وهذا المظهر كان حاضرا لدى "أوستن" ولكن سيعرف أوجه تطوره عند "سورل" [2]

من الملاحظ أن "سورل" لا يهتم إلا بالأعمال المتضمنة في القول، فلقد شك في وجود أعمل تأثير بالقول، ويتمثل إسهامه الرئيسي في تطوير هذه النظرية من خلال تمييزه في الجملة، بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول بحد ذاته، وهو ما يسميه: "إسم القوة المتضمنة في القول"، وما يتصل بمضمون العمل ويسميه:"إسم المحتوى القضوي"، وعلى سبيل مثال إذا أردنا تحليل جملة: "أعدك بأن أحضر غدا" نجد أن "أعدك" هو إسم القوة المتضمنة في القول و"أن أحضر غدا" هو إسم المحتوى القضوي، وهكذا فإن القائل الذي يتلفظ بالجملة أعدك بأن أحضر غدا يقصد في المقام الأول الوعد بالحضور.

1- ينظر: ان روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص31
2- المرجع نفسه، ص 31

ويحقق قصده بفضل قواعد لسانية تواضعية تحدد دلالة الجملة وبتعبير آخر فإن قائل هذه الجملة يعبر عن نية بالحضور من خلالها ويخبر عن قصده بإنتاجها وبالتالي فإن للمتكلم مقصدين هما:

أ/ الوعد بالحضور غدا.

ب/ إبلاغ هذا المقصد من خلال إنتاج جملة "أعدك بأن أحضر غدا" بموجب القواعد التواضعية المتحكمة في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة.

ويتمثل الإسهام الثاني "السورل" في تحديد الشروط التي يجب أن تحققها أفعال الكلام لتضمن الإنجاز الموفق وهي: 1- شروط مضمون القضية: وظيفته وصف مضمون الفعل، إذ يمكن أن يكون مجرد قضية بسيطة، أو دالة قضوية، أو فعلا للمتكلم، أو فعلا لأحد المتخالطين.

2- الشروط التمهيدية: تتعلق بما يعمله المتكلم عن قدرات وإعتقادات ومقاصد المستمع، بالإضافة إلى طبيعة العلاقات بينهما، وتقتضي توفير الشروط الأولية لتحقيق الفعل الكلامي المباشر.

3- شروط الصدق: تحديد الحالة النفسية للمتكلم وقت إنجاز فعل الكلام إذ يطلب منه أن يكون جاد الحطة إنجاز الفعل التكلمي، فالدعاء يقتضي الإعتقاد والأمر يتطلب الرغبة.

4- الشروط الجوهية: ترصد الغرض التواصلي من الفعل التكلمي الذي يلزم المتكلم بواجبات معينة، فعلية أن ينسجم في سلوكاته مع ما يفرضه عليه ذلك الفعل. [1]

2/ الجذور المعرفية للتداولية:

لقد وضع أوستن وتلميذه "سورل" نواة التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية، إذ طور من وجهة نظر المنطق التحليلي مفهوم "العمل اللغوي" وقد كان "أوستن" أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد، أما "سورل" فهو يدرس بجامعة بركلي بكاليفورنيا [2]

1- ان روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 33-34
2- ينظر: فليب بلا نشيه: التداولية من اوستن الى غوفمان، تر: صلبر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سوريا، 2007، ص20

فكرة النظر في التأثيرات الفعلية للخطاب، لم تكن أمرا بدءا في الستينيات من القرن العشرين، حيث كان أوستن أول من بعث الأعمال اللغوية، بل كانت الفلسفة تهتم باللغة من القديم، وكان البلاغيون القدامى تداوليين أن كانوا يفكرون في الصلات القائمة بين اللغة والمنطق (وخاصة المنطق الحجاجي) من جهة وآثار الخطاب في السامع من جهة أخرى [1]

ليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد ينبثق منه، ولكن تنوعت مصادر إستمداده، إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي إنبثق منه فالأفعال الكلامية مثلا مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار" الفلسفة التحليلية" بما إحتوته من مناهج وتيارات وقضايا، وكذلك مفهوم "نظرية المحادثة" الذي إنبثق من فلسفة بول غرايس وأما "نظرية الملائمة" فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي [2]

وبما أن الفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي الأول مفهوم تداولي هو الأفعال الكلامية فقد بات من الضروري التعريف بهذا التيار الفلسفي وبمختلف إتجاهاته وقضياه والفلسفة التحليلية لا تعنينا لذاتها، ولكن ما يهمنا منها هو لحظة إنبثاق ظاهرة الأفعال الكلامية لأن الفلسفة التحليلية هي السبب في نشوء اللسانيات التداولية [3]

فالتداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتقسيم البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وإشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الإستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة الظاهرة التواصل وتفسيره، وعليه فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول، كالبنية في الإنتاج وعلاقة البينة اللغوية بظروف الإستعمال... الخ [4]

1- ينظر: فليب بلا نشية : التداولية من اوستن الى غوفمان، ص 20
2- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1،2005، ص17
3- ينظر: المرجع السابق، ص 17
4ينظر: المرجع السابق، ص 16

تعد التداولية حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها:

الفلسفة التحليلية، ممثلة في الفلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملائمة على الخصوص ومنها علوم التواصل ومنها اللسانيات بطبيعة الحال [1]، ويمكن تصوير ذلك في الشكل الآتي:

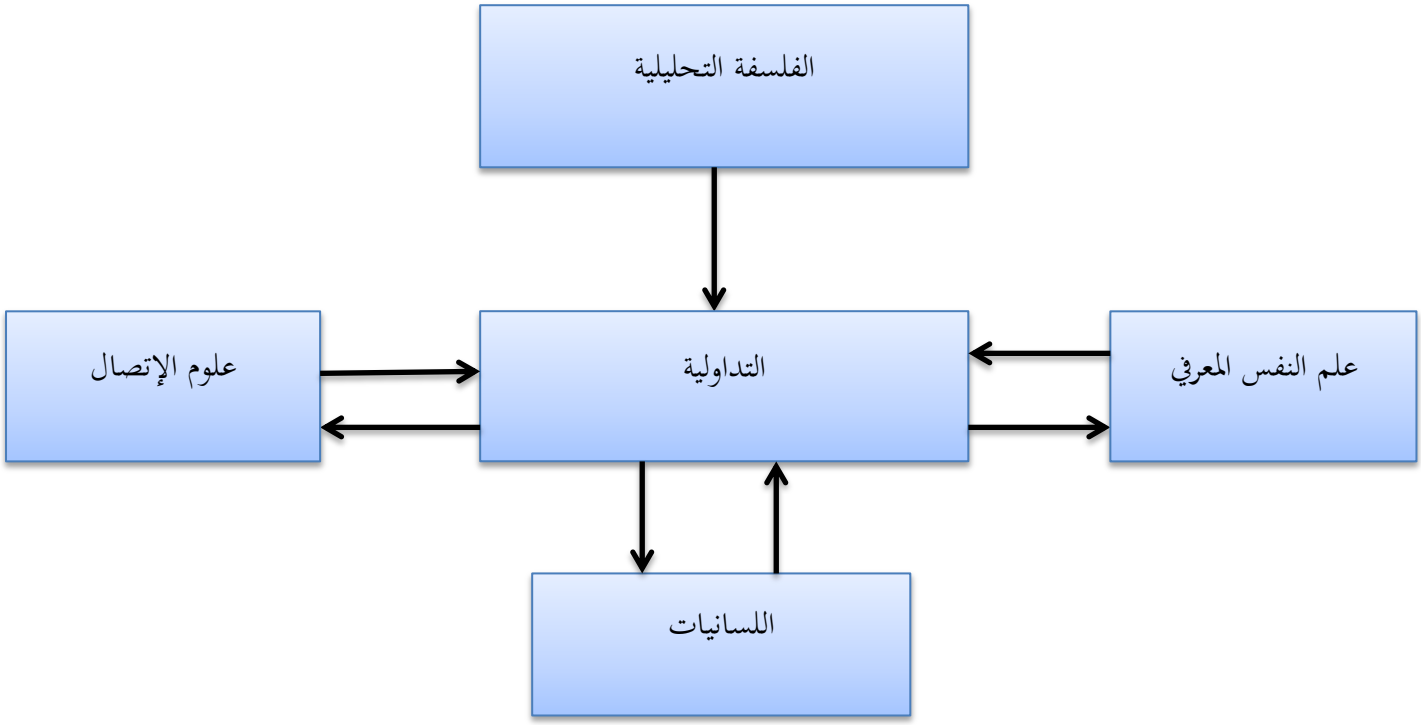

مفهوم الفلسفة التحليلية:

نشأت بمفهوم علمي صارم في العقد الثاني من القرن العشرين بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجه)(1848-1925) في كتابه "أسس علم الحساب" وكانت دروسه في الجامعة الألمانية مورد الطلاب الفلسفة والمنطلق من مختلف الأصقاع الأوروبية لا سيما ألمانيا والنمسا على الرغم من قلة إنتاجه المكتوب [2]

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص16
2- المرجع نفسه، ص18

حددت الفلسفة التحليلية لنفسها مهمة واضحة منذ تأسيسها إلا وهي إعادة صب إشكالات وموضوعات فلسفية على أساس علمي، وقد تأثر بالتحديد الفلسفي الذي جاء به (فريجه) عديد من الفلاسفة منهم: هوسرل، وكارناب، وفيتغنشتاين، وأوستن، وسيرل وغيرهم... يجمع بين هذه الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة، مفادها أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهذه الأخيرة تعبر له عن هذا الفهم [1]

بإختصار الفلسفة التحليلية تتلخص في مطالب وإهتمامات ثلاثة:

* ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم (خاصة الجانب الميتافيزيقي).
* تغيير بؤرة الإهتمام الفلسفي من موضوع نظرية المعرفة إلى موضوع التحليل اللغوي.
* تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية، ولا سيما مبحث الدلالة وللظواهر اللغوية المتفرعة عنه.[2]

ومن هنا إنقسمت الفلسفة إلى ثلاثة كبرى هي:

*الوضعانية المنطقية: بزعامة رودولف كارناب.
* الظاهراتية اللغوية: بزعامة إدموند هوسرل.
* فلسفة اللغة العادية: بزعامة فيتغلنشتاين.

وهذه الإتجاه الاخير "فلسفة اللغة العادية" هو الذي نشأ بين أحضانه ظاهرة" الأفعال الكلامية"

وملخص موقع الإتجاهات الثلاثة من التداولية في الخطاطة أدناه:

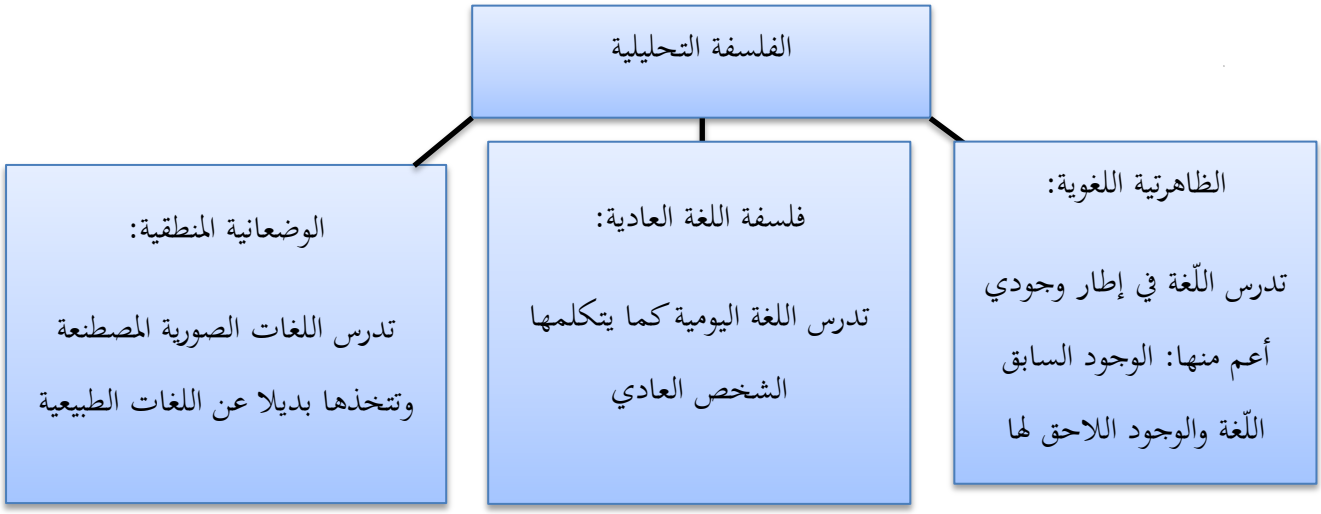

1- ينظر: مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص21
2- المرجع نفسه، ص 21

3/ التداولية والحقول المعرفية الاخرى:

تلتقي التداولية في دراستها للغة مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة، وهذا ما جعلها تتداخل مع عدة علوم بينها: اللسانيات البنيوية والأسلوبية، وعلم الدلالة، وعلم البلاغة، تعليمية اللغة واللسانيات النفسية والإجتماعية، واللسانيات النصية وتحليل الخطاب...

أ- التداولية وعلاقتها باللسانيات البنيوية: تهتم البنوية بدراسة اللغة، حيث أقر فرديناند دي سوسير أن اللغة نظام معقد، وحصر غايتها بالمكونات الداخلية للنص ووضع ثنائية شهيرة هي : اللغة والكلام في قوله: "اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة" [1]

وهذا يعني أن سوسير أبعد الكلام وإعتبر اللغة بنية مغلقة، أي أن اللسانيات البنيوية تهتم أساسا بنظام اللغة، كما أن التداولية تهتم بدراسة الكلام. إن الكلام ليس معزول عن اللغة إلا اقتراضا، فاللغة تتحقق إلا في مستوى الكلام. وتبقى حاملة لأهم خصائص من يؤذيها مهما إجتهد في تجاوز ذلك، فالكلام مظهر من مظاهر تحقق اللغة واقعا ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضح بينهما، وعلى هذا الأساس ترى أن كل منهما بحاجة للآخر ويبقى الإختلاف وارد في منهج الدراسة لكل منهما. [2]

ب- التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة: يمثل علم الدلالة فرعا من فروع علم اللسان الحديث، وبذلك فعلاقته لاتخرج عن علاقة التداولية باللسانييات فكل من التداولية وعلم الدلالة يبحث في دراسة المعنى في اللغة، ومن الضروري بيان حدود الإهتمام بالمعنى في علم الدلالة وحدود الإهتمام به في التداولية، مع أن هذه العلاقة يشوبها كثير من الغموض، لذلك فإن التمييز بين السيميائية والبراغماتية ينطوي على ظلال رمادية في التطبيق العملي حيال تحليل المعنى الذي تؤذيه اللغات وهما إن اشتركا في الموضوع(دراسة المعنى) فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته. [3]

1- فرديناد دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف غزير، دار الكتب للطباعة والنشر، بيت الموصل-بغداد-دط،1998، ص37

2- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص123

ثم أن الفرق بين المعاني، ومقاصد المتكلمين وثيق الصلة بالفرق بين علم الدلالة، وعلم التخاطب، فالمعاني اللغوية(التي هي معاني وضعية تفهم من مفردات اللغة وتراكيبها، تنضوي في إطار إهتمامات علم الدلالة لأن إستنباطها لا يحتاج إلى عناصر خارج البنى اللغوية، أما مقاصد المتكلمين فلا يمكن التوصل إليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام ومعرفة المخاطب والمخاطب وأعمال القدرات الإستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عن التعامل مع الكلام [1]

ج- التداولية وعلاقتها بالأسلوبية: تعد التداولية والأسلوبية علمين مرتبطين باللغة، ولكنهما يختلفان من حيت منهج الدراسة، فالأسلوبية تقف عند حدود جمالية القول، في حين التداولية تنظر في قيمة القول خارج العالم اللساني أي هي تنظر إلى البعد العلمي للقول، وإذا نظرنا إلى أدوات التحليل التداولي: والمنطلق يتخذ من الأقوال العادية والأقوال المصطنعة مدونة له، أما الأسلوبية تتناول في الغالب تحليل الخطاب الأدبي ومن ثمة فإن التداولية والأسلوبية مدونتين متنافرتين عن التعليق، وهي أهم أوجه المماثلة والتشاكل من هذين المنهجين الأسلوب والتداولية[2] ، يتضح من أن الأسلوبية تهتم بجمالية العبارة، وتدرس الإنزياح في النص الأدبي، في حين التداولية تهتم بدراسة العبارة أثناء إستعمالها والتي من شرطها تحقق القول بالفعل.

د- التداولية وعلاقتها بعلم البلاغة: تدرس البلاغة كل مايرتبط بإستعمال وممارستها أثناء عملية التواصل قصد، تبليغ رسالة ما، فهي ترتبط بالدلالة على حسن الكلام مع فصاحته، وأدائه للغاية المراد منه (القصد) فهي مأخوذة من قولنا: "بلغ الشيء منتهاه وأدرك أقصاه، فالبليغ من الناس من يصنع من كلامه تعبيرا أعما في صدره فبليغ به غايته من متلقيه بأيسر طريق، وأحسن التعبير" [3]

3- احلام صولح، افعال الكلام في نهج البلاغة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2013/2012، ص37
1- احلام صولح، افعال الكلام في نهج البلاغة، ص 37
2- صابر الحباشة، الاسلوبية والتداولية، مدخل لتحليل الخطاب، علم الكتب الحديث، الاردن، ط1،2011، ص12
3- باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر: أبحاث

وهذا يعني أن البلاغة العربية والتداولية يشتركان كما هو واضح في الإعتماد على اللغة، كمت نجد المحدثين من يسوي بين البلاغة والتداولية مثل: جيوفري ليتش يقول: "البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الإتصال بين المتكلم والسامع، حيث يحلان إشكالية علاقتها بإستخدام وسائل محددة للتأثير، غير أن دارسي التداولية يرون ضرورة تضييق مجال البلاغة، بإعتبارها أداة ذرائعية، فالتداولية إذا قاسم مشترك بين أبنية الإتصال اللغوي والدلالي والبلاغي"[1]

مما سبق نرى أن كلامها يهتم بعملية التلفظ، والعوامل المتحكمة فيها قبل الكلام وأثناء التلفظ بالخطاب

هـ- التداولية وعلاقتها باللسانيات النصية وتحليل الخطاب: يكاد لا يختلف مصطلح النص وإن كان في الخطاب إيحاء للنص يتجاوز في كونه مجرد سلسلة لفظية بها قوانين لغوية مقامية وبهذا المفهوم يمثل حقلا للسانيات النصية لأنه يقوم على دراسة الإستعمال الفعلي للغة من خلال متكلمين فعليين في مقامات فعلية. وبالتالي فإن الإتجاه التداولي قد إهتم بالفعل الكلامي وبالظروف المحيطة به حيث أن لكل فعل قيمة يكتسبها تدفع السامع إلى القيام بشيء إستجابة لما فهمه من مخاطبه كفعل إغلاق النافذة بمجرد سماع عبارة الجو باردّ[2] إنما اللغة تنتج في وضعيات تواصلية تابعة لمعطيات التواصل التي لا تعني مجرد خطاب لغوي بل تتجاوز لدراسة رد فعل المستقبل في المرسل نفسه و بهذا فالتداولية لم تكن مكتفية بدراسة العلاقة بين المرسل والمستقبل بل تجاوزت ذلك لدراسة رد فعل المستقبل في المرسل نفسه وكذا دراسة العلاقات المتبادلة بين المرسل والمستقبل عبر رسالة إتصالية.

1- نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والاجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص76
2- مرجع نفسه، ص 77

و- التداولية وعلاقتها بعلم النفس وعلم الإجتماع: قد يدخل أحد إلى الغرفة فيقول: "الجو حار" اليوم فأحد الجالسين فيها يفتح النافذة إن إستجابة هذا الفرد تستند إلى السرعة البديهة، وقوة الذاكرة، وبعض جوانب الطبع، فعلى الرغم من أن المتكلم لم يطلب إلى سامعه فتح النافذة إلا هذا التواصل بين الطرفين وفهم مقاصد بعضهم يعد بعدا تداوليا، ولذلك نقول أن التداولية تعتمد في درسها على مقولات اللسانيات النفسية، ولا دليل على ذلك خير من "نظرية الملائمة" أو ما سميناه سابقا "مبدأ التعاون" فإيراد الخطاب بالكم المطلوب، والكيف المناسب نابع من شخصية الفرد وهو بعد نفسي تداولي. أمّا عن علاقتها باللسانيات الإجتماعية فيمكن أن يؤرخ لها بظهور المدرسة الإجتماعية اللسانية بزعامة فيرث الذي تأثر بنزعة دوركايم الإجتماعية للغة، هذه المدرسة نشأت كرد فعل على اللسانيات البنيوية التي أبعدت المكون الاجتماعي عند التحليل اللغوي، وجدت صداها ضمن ما يسمى باللسانيات التداولية فلكي نعمد إلى تحليل اللفظ ضمن السيرورة الإجتماعية؛ لا بد أن تأخذ بعين الإعتبار الإهتمامات المنطقية والفلسفية فضلا عن مفهوم البراغماتية، فإن سمعنا مثلا عبارة "الطقس حار" من غير معرفتنا طبيعية الظروف التي قيلت فيها فإننا نفهم لا محالة أنها مختلفة عن عبارة الطقس ممطر غير أنه من المحتمل أن يلجأ أحد السامعين لهذه العبارة والتي دفعتنا الى القيام بهذا العمل تسمى براغماتية[1]

وبهذا لا يمكننا أن نعتمد على البعد التداولي دون البعد الإجتماعي رغم كون الأول حديث العهد، إلا أنه يعد أحدهم المعارف التي تناولت الخطاب

ي- التداولية وعلاقتها بتعليمية اللغة: تستند التعليمية في الوقت الحاضر إلى مقولات البحوث التداولية التي أسهمت في مراجعة مناهج التعليم ومناهج الإختبارات والتمارين وعدت البعد التداولي للغة أحد أهداف العلمية التعليمية، وإلى جانب ذلك: فقد إنتقلت طرق تدريس اللغات الأجنبية التي تتعامل مع لغات مثالية في مواقف مثالية، فقد إستفادت من التداولية وبالتحديد فيما يخص عملية التعليم من حيث مناهجه وتطبيقاته[2]

1- ينظر: بيار اشار:سوسيو لوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب تزو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان،1995، ص89-90
2- ينظر: خلينة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلة في الدرس العربي، بيت الحمة للنشر والتوزيع، ط1،2009، ص 133

لنا أن نلخص ما سبق ذكرناه في المخطط التالي:

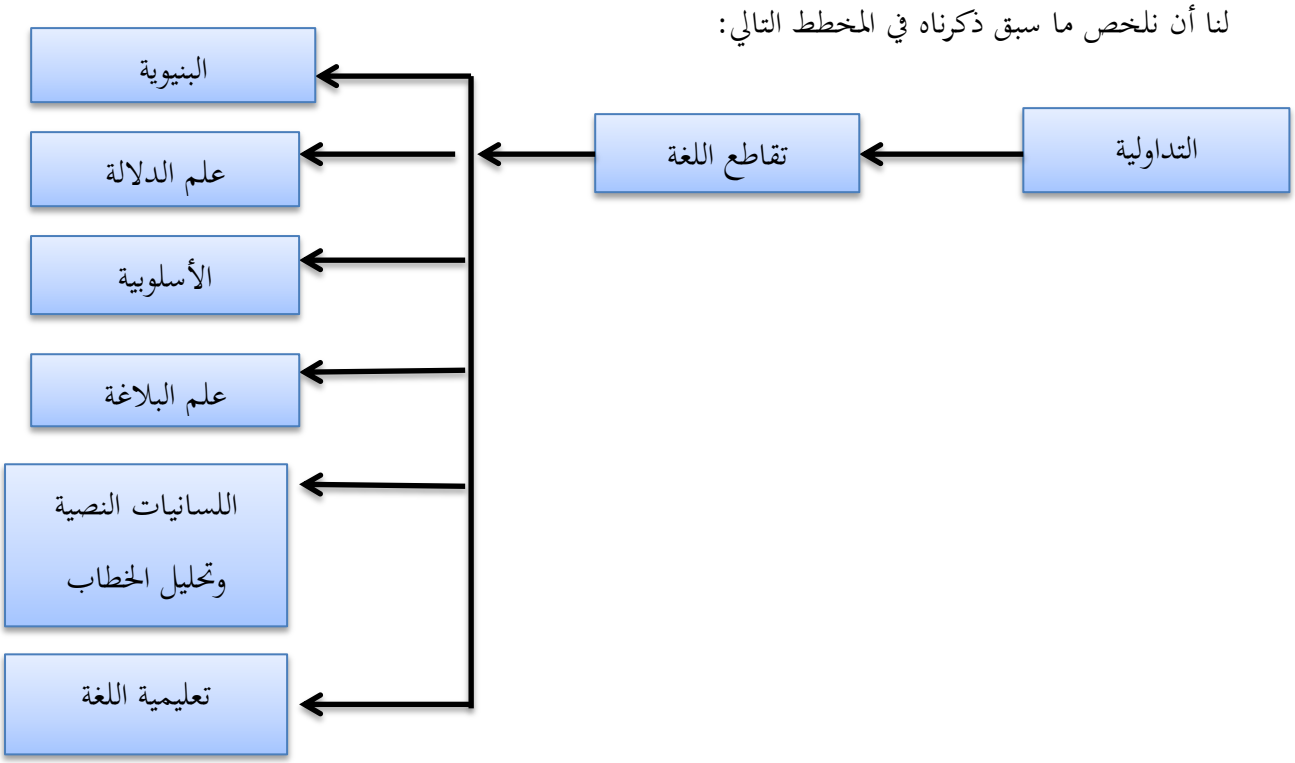

4/ القضايا الأساسية للتداولية:

أ- نظرية الأفعال الأساسية للتداولية: نشأت فكرة الأفعال الكلام أو أفعال اللغة من أهم مبدأ في فلسفة اللّغوية الحديثة، وهو أن الإستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث إجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه، وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما[1] ينطلق عليه مقياس الصدق والكذب وهي العبارات الخبرية مثل: (الجو جميل صادق في حال واحدة هي جمال الجو واقعا وكاذبة في غير ذلك) [2]

1- ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012، ص72-73

2- ينظر محمود احمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الجامعية الاسكندرية، مصر،دط،2002م، ص 42

وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنه يقبل إلا إذا كان خاضعا للتمحيص والتجريب وأن الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها، معناه أن أهم شيء في الفلسفة اللغوية هو وجود أفعال الكلام وأفعال اللغة لإثبات الكلام المنطوق، ومن الذين تصدّوا لهذه الفكرة أوستن من خلال محاضراته بجامعة هارفاد في 1955، حيث بين أن دلالة الجملة في اللغة العادية لسي بالضرورة إخبارا وهي ليس مقيّدة بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق أو الكذب، وأن القصد من الكلام هو تبادل المعلومات، مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي وتأثير في مواقعه[1]

ب– أفعال الكلام كفكرة: وهي الفكرة التي نشأت منها اللسانيات التداولية ومن أهم مراجعها، بل يمكن التأريخ منها للتداولية، حيت إرتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع، وهذه التسمية إقترحت في سنوات الستينيات من "أوستن"

ج– الملفوظية: هي إتجاه جديد في دراسة اللغة، يوسع في مجال اللسانيات السويسرية التي نظرها لسانيات غير ملفوظية، وتطورت مع بنفست وأتباعه، منطلقة من تطور جاد للثنائية السويسرية(لسان/ الكلام) ومستندة إلى مفاهيم التداولية الجديدة في شرح علاقة اللغة بالمتكلم، ولذلك عدت تيارا موازيا في نشأته للتداولية، إذ لم يكن منسجما فيه[2]

د– فكرة أفعال الكلام عند أوستن: إقترح أوستن قسما ثانيا من العبارات جانب (العبارات الوصفية) هو (العبارات الإنجازية) التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها[3].

كما أن لهذه العبارات الإنجازية شروط أوضحها الدارسون ولا تتحقق إنجازيتها إلّا بها وهي:

– أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وعد، سأل، قال...

– أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم، أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها

– أن يكون زمن دلالتها المضارع

1- خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 73
2- مرجع نفسه، ص 74
3- مرجع نفسه، ص 74

وهذه الشروط تجمع بين المستويين النحوي والمعجمي، ويتميز الفعل الإنجازي عن الوصفي (الإخباري) يكونه عاكسا لأثار التي ينجزها كلامنا، وهو فعل دقيق للغاية ثم لاحظ أوستن بعد ذلك أنه يمكن تقدير فعل، وفق الشروط المذكورة في العبارات الملفوظية لإنجازية على نوعين:

* إنجازية صريحة مباشرة: فعلها ظاهر[أمر، نفي، دعاء، نهي] بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

* إنجازية ضمنية غير مباشرة: فعلها غير ظاهر نحو: الإجتهاد مفيد (الأول) الإجتهاد مفيد: أمرك أن تجتهد، ونحو قوله تعالى: « وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور»[2] (أقول) إحذروا

وميز أوستن بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:

*فعل قولي: يقابل التلفظ بالصوات (فعل صوت) والتلفظ بالتراكيب (فعل) تركيب

* فعل إنجازي: (القول الفاعل) يحصل بالتعبير قصد المتكلم من أدائه: يعد، يخبر، يعجب (الجانب التبليغي والجانب التطبيقي)

* فعل تأثيري: (إستلزامي) يحصل حيت يغير الفعل الإنجاز من حال المتلقي بالتأثير عليه، وإستنادا الى مفهوم القوة الإنجازية يحصي أوستن خمسة أصناف من الأفعال الكلامية وهي:

- الأفعال الحكمية(الإقرارية): حكم، وعد، حلل، وقوم ...
- الأفعال التمرسية: تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة الأفعال: أمر، قاد، دافع عن ...
- الأفعال التكليف (الوعدية): يلزم المتكلم سلسلة أفعال محددة: وعد، تمنى، إلتزم، أقسم ...
- أفعال العرضية (التعبيرية): تستعمل لعرض مفاهيم: أكدّ، أنكر، أعترض، وهب، أجاب ...
- أفعال السلوكات (الإخبارية): ردود أفعال، تعبيرات إتجاه السلوك، إعتذر، هنأ، حي ...

1- خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 74
2- سورة الحديد، الاية 20

*أفعال الكلام عند (سيرل): هو أول من أوضح فكرة أوستن السابقة، وشرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كل فعل، إلى جانب بيانه شروط تحول الفعل من حال إلى حال آخر[1]

ومما قدمه سيرل أيضا أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية، وميز بين أربعة أقسام: فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي)، الفعل القضوي (الإحالي والجملي)، الفعل الإنجازي(على نحو ما فعل أوستن)، الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستن)

وسرعان ما أعاد إقتراح خمسة أصناف لها وهي:

الأخبار: تبليغ خبرا، وهي تمثيل للواقع وتسمى أيضا: التأكيدات للأفعال الحكيمة

الأوامر: تحمل المخاطب على فعل معين

الإلتزامية: (أفعال التعهد) وهي أفعال التكيف عند أوستن حين يلتزم المتكلم شيء معين.

الإنجازات: أو الإدلاءات وتكون في التلفظ ذاته [2]

أما عن تصنيف الأفعال الكلامية العربية فان محمود نحلة اقترح أيضا تقسيما الأساليب العربية على غرار ما يعرضه أوستن أو سيرل حيت صنفها إلى خمسة أنواع وهي: الايقاعات/ الطلبيات/ الإخباريات/ الإلتزاميات/ التعبيريات[3]

مفهوم الإفتراض المسبق: عند كل عمليات التبليغ، ينطلق الأطراف (المتخاطبون) من معطيات أساسية معترف بها ومعروفة، وهذه الإفتراضات المسبقة لا يصرح بها المتكلمون، وهي تشكل خليفة التبليغ الضرورية لنجاح العملية التبليغية وهي محتواه في القول سواء التلفظ بهذا إثباتا أو نفيا

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص79
2- ينظر: فرانسوان ارمنيكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط، المغرب، ط1، 1987، ص62
3- ينظر: محمود نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص98-104

ويدعى هذا الإختبار إختبار النفي فإن الإفتراض المسبق يظل صحيحا:

* إغلاق النافذة

* لا تغلق النافذة

يشتمل الإفتراض المسبق هذا في كون النافذة مفتوحة.

مثال آخر: لنتصور الحالة الثانية: يقول الطرف الأول1 إلى الطرف الثاني 2 : كيف حال زوجتك؟ وأولادك= يفترض بإن العلاقات القائمة بين هذين الشخصين سمح بطرح مثل هذه الأسئلة يرد الطرف الثاني قائلا: هي بخير شكرا، الأطفال في عطلة.

الإفتراضيات المسبقة كما يرى التداوليون ذات أهمية قصوي في عملية التواصل والإبلاغ ثم الإعتراف بدورها منذ زمن طويل، ولا يمكن تعليم الطفل معلومة إلا بإفتراض مسبق يتم الإنطلاق منه والبناء عليه، فظاهر التواصل السيء سببها الأصلي المشترك هو ضعيف الإفتراضات المسبقة[1]

الإستلزام الحواري: إقترح "غرايس" مفهوم أعم يمكنه أن ينظم التواصل أي نوعا من السلوك العقلاني للفرد، كما يؤسس مبدأ التعاون داخل التبادل التعاوني حول مقاصد المشاركين، وهذه المقاصد ليس في الواقع صريحة بين أطراف التبادل(..) إنها عبارة عن عناصر خفية تعتمد في شكل إتفاق ضمني من قبل المتخاطبين...[2] لقد كانت نقطة البدء عند غرايس هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل مهمته إيضاح الإختلاف بين ما يقال وبين ما يقصد وما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه إلى السامع على نحو غير مباشر[3]

1- الجيلالي دلاش، مدخل الى اللسانيات التداولية تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزئر، دط، دت، ص34

2- المرجع نفسه، ص 35

3- محمود احمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33

ويتضح ذلك من خلال الحوار الاتي بين الأستاذين (أ) و(ب):

*الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

* الأستاذ (ب): أن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز

ولوصف ظاهرة الإستلزام الحواري يقترح غرايس نظريته المحادثية المحكومة بمبدأ عام (مبدأ التعاون) والقائمة على أربعة مسلمات: [1]

1- مسلمة القدر: وتخص قدر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرع إلى مقولتين:

أ- إجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الأخبار

ب- لا تجعل مشاركتك أكثر مما هو مطلوب

2- مسلمة الكيف: ونصها لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقة.

3- مسلمة الملائمة: وهي عبارة عن قاعدة واحدة: لتكن مشاركتك ملائمة

4- مسلمة الجهة: التي تنص على ما يلي: أ- إبتعد عن اللبس

ب- تحر الإيجاز

ج- تحر الترتيب

وتحصل ظاهرة الإستلزام الحواري إذا ثم خرق القواعد الأربعة السابقة فالجملة إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز تستلزم حواريا معنى العبارة ليس الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسة الجامعية في قسم الفلسفة لأنها خرق للقاعدة الثانية، قاعدة الملائمة أول (المطابقة) ذلك أنها جواب غير ملائم للسؤال المطروح هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة.

السياق: إنطلق عدد من الباحثين المحدثين من تحديد للمعنى اللغوي يقوم على معطيات السياق الذي ترد فيه الكلمات، وجعل هؤلاء هذه الدراسة خاضعة للملاحظة والتحليل الموضوعي داخل اللغة، ويصرح أولمان بهذا حيث يرى أن البحث عن العلاقة بين مفهومها عن الشيء والشيء نفسه ليس مهمة من الناحية المعنوية لأن اللغوي يهمه ما تعبر عنه كلمات اللغة من مفاهيم وليس الكلمات نفسها بالموجودة في الواقع[2].

1- مسعود صحراوي، التداولية عن العلماء العرب، ص33

2—ينظر احمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3،1429ه-2008م، ص353

إهتم أصحاب نظرية السياق بدراسة المعنى للكلمة والدور الذي تؤذيه في السياق والطريقة التي تستعمل بها وعلى ذلك عرفوا المعنى بأنه حصيلة استعمال الكلمات اللغة من حيث وضعها في سياقات مختلفة، وعلى هذا يمكن أن ينقسم السياق إلى أربعة أقسام نذكرها: السياق اللغوي، والسياق العاطفي، الثقافي، سياق الموقف، أما الأول فمثاله كلمة عين في العربية وهي من المشترك في سياقك لغوية متعددة قد تعني عين الباصرة، أو عين الماء أو عين الجاسوس... إلخ أما الثاني فمثاله: الذي قدمه أولمان :كلمة جدار محملة بما تفيض به نفسية الإنفعالات، فيرى الجدار حلوا تارة وليتما تارة أخرى، أما الثالث يتعلق بالمقام مثال: يختار كلمة "زوجة" أو "مدام" للدلالة على إمرأته، أما الرابع يدل على العلاقات الزمنية والمكانية مثاله: ما ورد في قضية التحكيم المشهورة من قول الخوارج: "لا حكم إلا بالله" إذ جاء جواب الإمام علي كرم الله وجهه بقوله :كلمة حق يراد بها باطل، لقد أراد الإمام أن هتاف الخوارج كلام ديني صحيح لكن المقام هو إلزام سياسي عن طريق الدين[1]

1- ينظر احمد محمد قدور، المرجع السابق، ص 352- 353

الفصل الثانـي

مفاهيم نظرية لمستويات التحليل التداولي:

المستوى الصوتـي

المستوى البلاغـي

المستوى النحـوي (التركيبـي)

المستوى المعجمـي

تمهيد: لا يتم تحليل لساني أو دراسة لغوية إلا بعد تحديد مستوياتها ولا ينطلق إلا منها، كذلك يتم تحديده هذه المستويات إنطلاقا من وحدات اللغة الأساسية والعلاقات التراتيبية القائمة فيما بينها، فإذا إعتبرنا الصوتمية أصغر وحد لغوية لا معنى لها ضمن سلم العلاقات التراتبية نستمكن من تحديد المستوى الأول من مستويات اللغة وهو المستوى الصوتي وإذ أعددنا أن الصرفمية هي أصغر وحدة كلامية تحمل معنى بين طياتها بعد الصوتمية، يصبح المستوى الثاني هو المستوى البلاغي هو فن من الفنون يعتمد على دقة إدراك الجمال والصفاء للإستعداد الفطري، أما المستوى الثالث هو المستوى النحوي أي المستوى الذي يدرس بنية الجملة، والمستوى الأخير هو مستوى المفردات المعجمي الذي يعد المفردة فيه وحدثة الأساسية، أي أنه مستوى يعني بدراسة الكلمات المنفردة لا من حيث بنيتها الصرفية فحسب بل من حيث كونها وحدة أساسية في متن قاموس اللغة ومعجمها.

1/ المستوى الصوتي:

إن اللّغة في حقيقتها ما هي إلا أصوات أو مقاطع صوتية فالصوت هو البنية الأساسية لأي لغة من اللغات كما أنه المادة الخامة لإنتاج الكلام وربما يظهر مفهومه جليا في تعريف إبن جني: "أعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن إمتداده وإستطالته"[1]

وهذا يعني أن إبن جني قد تفطن إلى كيفية حدوث الصوت اللغوي والذي يتم عن طريق تظافر أعضاء الجهاز الصوتي عند الإنسان، بحيث يشارك كل عضو بطريقة أو بأخرى في إخراج ذلك صوت وأصغر وحدات اللغة هو الصوت مما يعني أن الدراسة الصوتية أصبحت علما قائما بذاته له ضوابط وقوانين معينة ويخضع لمنهج محدد فقد عرفه رمضان عبد التواب قائلا: "هو دراسة العلمية للصوت الإنساني من ناحية ووصف مخارجه وكيفية حدوثه، وصفاته المختلفة التي يتميز بها عن الأصوات الأخرى كما يدرس القوانين الصوتية التي تخضع الأصوات تأثيرها بعضها ببعض عن تركيبها في الكلمات أو الجمل"[2]

ينقسم علم الأصوات إلى قسمين مختلفين: فالشق الأول من هذا العلم يهتم بالدراسة العلمية الموضوعية للصوت الإنساني إذ يحدد مخارج الحروف وكيفية حدوثها وبيان صفاتها المميزة لها عن غيرها أما الشق الآخر من هذا العلم فهو الذي يعني بدراسة وظيفية الأصوات في المعنى اللغوي، أو بعبارة أخرى الدور الذي يلعبه الصوت داخل التركيب أو السياق وقد أطلق عليه بمصطلح علم الأصوات الوظيفي أو الصوتيات الوظيفية[3]

علم الأصوات الفونيك: يعتمد علم الأصوات بصفة كلية على معرفة الكلمة الدقيقة لأعضاء النطق التي تشترك، فيما بينها لإنتاج الأصوات اللغوية وكيفية قيامها بهذه الوظيفية، وذلك لأن عملية النطق بالصوت هي عملية في غاية التركيب والتعقيد فالصوت اللغوي لا يتكون إلا بعدة عمليات متكاملة، فلا تكفي لنطق أي صوت ولذا فهناك مقومات أساسية لنطق الأصوات اللغوية[4]

1- ابو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الاعراب، تح: حسين هنداوي، ط1، ج1، دار القلم، دمشق، 1985، ص6
2- رمضان عبد التواب، مدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص13
3- ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضراته في الالسنة العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986م، ص 49
4- محمود فهمي حجازي، مدخل الى علم اللغة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2006، ص 41

علم الأصوات الوظيفي: الفونولوجيا يتناول التحليل الفونولوجي أصوات اللغة بإعتبارها عناصر حاملة لوظيفة لغوية معينة، فهو لا يهتم بالخصائص النطقية والفيزيائية والسمعية للأصوات باعتبارها غاية في حد ذاتها وإنما يعتبرها مجرد وسيلة لتحديد دور الصوت اللغوي في عملية التبليغ ومدى تأثيره في المتلقي[1] ويذكر حلمي خليل في كتابه دراسات في اللغة والمعاجم الدافع الذي جعل اللغويين يقسمون علم الأصوات إلى شقيه المعروفين فيقول ومع تقدم الدرس الصوتي إكتشف علماء اللغة أن الصوت جوانب غير الوصف الفيزيائي أو الفيسيولوجي أو سمعي له، تمكن في الوظيفة التي يقوم بها الصوت داخل البنية اللغوية، بما له من صلة بالمعنى، فوزعوا الدراسة الصوتية بين هذين الفرعين من فروع علم اللغة ولعل أهم شيء دراسته الفنولوجيا هو الفو نيم الذي هو أصغر الوحدات الصوتية على مستوى التشكيل والتنظيم وهو وحدة غير قابلة للتجزئة إلى وحدات أصغر منها ككلمتي جلب وحلب فمعنى الأولى يختلف عن دلالة الثانية والعنصر اللغوي الذي جعل دلالة الكلمة الأولى تختلف عن الثانية هو وجود صوت الجيم في كلمة جلب وصوت الحاء في كلمة حلب يعني إحلال صوت الجيم مكان الحاء هو تغير في المعنى[1]

2/ المستوى البلاغي:

يعتبر المستوى البلاغي منهجا في دراسة اللغة بإعتبارها كلاما محددا صادرا من مشكل محدد، وموجها إلى مخاطب محدد، بلفظ محدد، في مقام تواصلي محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدد، إذا كانت التداولية في أوجز تعريفاتها هي دراسة مناحي الكلام أو دراسة اللغة حين الإستعمال فإن البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء إستعمالها وبكلمة هي فن القول[2]

ومن خلال بحث البلاغيين عن أسرار الإعجاز في القران الكريم ومزايا التراكيب في الأثار الأدبية تأسس لديهم مفهوما تداوليا هو مقتضى الحال حيث يقول صلاح فضل ويأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية لكل مقام مقال

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس اللغوي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009،ص 154
2- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت (ضمن سلسلة علم المعرفة)، العدد (232)، اغسطس 1992، ص 26

وإنطلاقا من البعد التداولي تتبلور وظيفية البلاغة وتفعيلها حيث يقول فان ديك والفكرة الأساسية في التداولية هي أننا عندما نكون في حالة التكلم عن بعض السياقات فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأفعال المجتمعية وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال[1]

ويمكن تلخيص ما بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية في مقولة بعض الباحثين: "إن البلاغة العربية والتداولية يشتركان في الإعتماد على اللغة، بعدها أداة ممارسة الفعل على المتلقي في سياقات مخصوصة" كما يرى جيفري بيشت أن البلاغة تداولية في صميمها وهي ممارسة الإتصال بين المتكلم والسامع[2]

3/ المستوى التركيبي (النحوي):

يعد المستوى التركيبي من المستويات الأساسية التي يقوم عليها التحليل اللساني، إذ أن بنية اللغة لا تكتفي كونها مجرد صياغة المفردات وفق القواعد الصرفية، بل تحتاج إلى وظائف معينة تسمى الوظيفة النحوية وهي التي تحتل الكلمات فيها مواقع معينة (رتب) وتشير إليها علامات معينة نسميها (علامات الإعراب) في العربية التي تدل على نوع العلاقة الوظيفية والدلالية التي تربط بين الكلامات أو المفردات داخل التركيب، فالنحو هو علم قواعد الجملة الذي يهتم بدراسة التراكيب والجمل، وهو الجزء الرئيس للسانيات إذ أنه في الواقع عصب اللسانيات وقلبها النابض بل هو عند البعض أنه اللسانيات ذاتها قلبا وقالبا[3]

فالتركيب عند (سيبويه) هو إجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية، والأصل في التركيب أن الحروف بأصواتها وحركاتها وإنضمامها لحروف اخرى وإنضمام الحروف في الكلمات والكلمات في إتساق تؤدي موقعا من الدلالة المعنوية، فيكون إذن شيجا من العلاقات التي تقوم بين الحروف والكلمات وهذا ما بحثه العرب فيما يسمى (بالإسناد)، فالتركيب إذن يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة، وحركة العناصر وإنسجامها وتلائمها في نطاق تام مفيد، تتألف في المعاني وتتناسق الدلالات لتؤلف وحدة متكاملة تتحصل بها الفائدة[4]

1- فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الرباط(المغرب)، 1982، ص296
2- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ص121
3- دكتور دوكوري ماسيري، مذكرة مستويات التحليل اللغوي عند ابن جني، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا،2013، ص25
4- المرجع السابق، ص 28

التركيب عند اللسانيين المحدثين: تنوعت التعريفات الألسنية لمصطلح التركيب غير أنها تمحورت في فكرة نظم وتأليف الكلمات والجمل، ويعد(دي سوسير) صاحب أول محاولة جادة في هذا المجال، فالتركيب (تأليف وحدتين أو عدة وحداث متتابعة في السلسلة الكلامية)، إذ يجب أن يجمع التركيب بين عنصرين لغويين دالين على معنى ويكون هذا التركيب وفق علاقات، وهذه العلاقات قسمها دي سوسير إلى نوعين:

1/ العلاقات الإستبدالية

2/ العلاقات الركنية

وهناك مؤشرات إضافية لغوية تستعين بها اللغة لبيان نوع العلاقة الوظيفية الدلالية التي تربط الكلمات بعضها ببعض داخل التركيب أو الجمل وهي نوعان:

أولا: قرائن لفظية

ثانيا: القرائن المعنوية[1]

*القرائن اللفظية: وهي:

1- العلامات الاعرابية: في كلامنا نستغني أحيانا عن الرتبة فنقدم ونؤخر ونغير الترتيب المعتاد للجملة من أجل غرض بلاغي، فتبقى علامات الإعراب هي المؤشر الدال على الوظيفة، مثال قوله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماءُ» خرجت هذه الآية عن النسق المعتاد للجملة (فعل+ فاعل+ مفعول به) إذ تقدم المفعول به لفظ الجلالة (الله) على الفاعل (العلماء) وذلك لغرض بلاغي هو الحصر، والنصب هو العلامة الأعرابية التي دلت على أن المفعول به هو المتقدم والمتأخر هو الفاعل، وهذا النمط يسمى (بالنمط الإعرابي)، لأن حركة الإعراب تحدد وظيفة الكلمة في الجملة، وهذا النمط شائع في لغة العرب لأنها لغة معربة[2].

1- المرجع نفسه: مذكرة مستويات التحليل اللغوي، ص 30
2- مرجع نفسه، ص 32

2- الرتبة: الرتبة نوعان:

أ/ رتبة محفوظة: مثل تقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، والفعل على الفاعل، والمضاف على المضاف إليه، وأدوات الشرط والجزم والنفي التي وصفت بأن لها الصدارة دوما

ب/ رتبة غير محفوظة: مثل تقدم المبتدأ على الخبر، والفاعل على المفعول به، والفعل على الحال، أحيانا تكون هي القرينة الوحيدة لكشف علامة الإسناد، مثل: زار موسى عيسى، (فموسى) فاعل، وعيسى مفعول به، إسنادا إلى أن الأصل تقديم الفاعل وتأخير المفعول به، مع أن ذلك ليس رتبة محفوظة، وإذا قلت: زار عيسى موسى، فعيسى سيصبح فاعل وموسى مفعولا به، فهناك فرق بين الجملتين مرده إلى إختلاف الرتبة، فالموقع أو الرتبة يصبح ذا محتوى دلالي لأنه لا تظهر عليه علامات إعراب فهي أسماء مقصورة، فالموقع ذاته وظيفة فتغير موقع الكلمات في الجملتين غير من الوظيفة النحوية لكل واحدة وكذا دلالتها في الوقت نفسه[1] وهذا النوع يسمى بالنمط التحليلي لإن معرفة الوظيفة التي تقوم بها الكلمة في الجملة تنجم عن تحليل التركيب اللفظي، وهذا النمط هو الشكل السائد في اللغات الأوروبية لعدم وجود الإعراب في لغاتهم.

3- حروف العطف: مثل الواو، الفاء: وهي نوع آخر من المورفيمات ليس مستقلة ولا مقيدة، وإنما مورفيمات وظيفية تدخل تحتها الظروف وحروف المعاني والأدوات بشكل عام، فالواو تكون للقسم، وللعطف وللحال وللمعية والذي يحدد وظيفتها السياق

4- صيغة زمن الفعل: مثال ذلك: الفعل قرأ تتجاوز دلالته الزمنية معنى الماضي إذا ما كان في الجملة (إن قرأت هذا الكتاب وجدته سهلا) فالماضي هنا يفيد المستقبل، لأنه أسلوب شرط فخرج من معناه الأصلي، كذلك قولنا: (حماك الله، رعاك الله) الفعل فيهما للدعاء (صيغة الزمن الماضي في الدعاء لا تفيد الماضي)

1- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومناهجها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،1994، ص178

5- الصيغة: هي المبنى الصرفي للأسماء والأفعال والصفات، وهي قرينة لفظية يقدمها علم الصرفي للنحو، مثال ذلك أن الفاعل والمفعول به، المبتدأ والخبر ونائب الفاعل، يجب أن تكون أسماء لا أفعالا، لذلك لا يتوقع أن يأتي الفاعل فعلا مثل (جاء، أتى)، فلوقلنا (جاء تأبط شرا) لجأنا الى التأويل عن طريق اعراب الحكاية أي: (جاء المسمى بجملة تأبط شرا)[1]

6- المطابقة: قرينة لفظية توثق الصلة بين أجزاء التركيب وتعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين، وتكون المطابقة في العلامات الإعرابية، والشخص، والعدد، والنوع، فإذا قلنا: الرجال الصابرون يقدرون، كأن الترتيب تام المطابقة، أما لوقلنا: (الرجال الصابران يقدر الرجال جمع، الصابران مثنى، يقدر مفرد) فهنا ازيلت المطابقة من موضعين من التركيب

7- الربط هو قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالأخر، وله دور في إبراز المطابقة بين أجزاء الكلام، ويكون الربط بالضمير مستترا وبارزا، فالمستتر نحو: زيد قام، والبارز: زيد قام ابوه

8- الأداة: هو مبنى صرفي يؤدي وظائف خاصة في التركيب النحوي، وتنبه علماء العربية الاوائل للأدوات وأثرها في فهم النصوص الدينية والأثار الأدبية تنقسم إلى: أدوات أصلية (حروف الجر والعطف) / أدوات محمولة (متى، أين، كيف)[2]

*القرائن المعنوية: هي:

1/ الإسناد: هي العلاقة الرابطة بين طرفي الاسناد كالعلاقة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل

2/ التخصيص: وهي قرينة معنوية تضم مجموعة من المعاني مثل: التعدية، الغائية، والظرفية، والإخراج

*التعدية: ضرب عمرا زيدا، إيقاع الضرب على (زيد) تخصيص لعلاقة الإسناد

*الغائية: وذلك بأن نأتي بالمفعول لأجله على التخصيص: أتيت رغبة في لقائك

1- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومنهاجها، ص179
2- المرجع نفسه، ص180

*الإخراج (الإستثناء): يدل الإستثناء على أن الإسناد لا يشمل المستثنى لأنه خرج منه نحو قولنا: نجح الطلاب إلا عليا، فإسناد النجاح هنا إلى الطلاب إستثنى منه واحد للدلالة على إخراجه منهم

*الظرفية: صحوت إذ تطلع الشمس، يخصص الإسناد بتقييده زمانا ومكانا

وبهذا ندرك أهمية المستوى التركيبي في الدراسات اللسانية، لإن إستيعاب البنية النحوية التي يتألف منها التركيب اللّغوي أمر مهم في فهم البنية الدلالية، وهذا ما يسهل التعلم والتعليم، كما أن هذا المستوى يعمل على معرفة التراكيب اللغوية التي يتألف من النص بوظيفة لسانية قائمة بذاتها[1]

4/ المستوى المعجمي:

نقصد به المستوى الذي جرّده صنعة المعاجم من بين المنتج الكلامي المحصل من قبل علماء اللّغة ورواتها، وهو ترجيح من خلال سياقات متعددة وردت فيها اللّفظة، غير أنه ترجيح من غير مرجّح لأنه مسوّغ لتغليب معنى على آخر من غير شاهد من تاريخ الممارسة اللّغوية التي لم يزامنها التأليف، والتي تقلّب في أحضان أطوار عدّة قبل أن تستوي على صورتها التي وافقنا عليها، والتي قيدها التأليف في زمن متأخر

يعرض المعجم دلالات اللفظية المفردة وفق سياقات ورودها ضمن كلام العرب شعره ونثره، وفي الذكر الحكيم ومن المعقول أن نتسأل عن الرباط الذي خوّل لهذه السياقات على إختلافها أن تنتظم هذه المفردة، وبصيغة أخرى ماهي الشحنة الدلالية الكامنة في هذه المفردة والتي أقرتها على تغيير مواقعها محتفظة بكيانها صوتا وجذرا؟[2]

إنّ ترجيح دلالة المفردة في سياق على ما سواه من السياقات يعد مصادرة من غير برهان لأنه يعدم أهمية وأصالة المفردة في الدلالة مطلقا، وينقل الأهمية إلى السياق الذي هو عارض ويمكن أن يلابس أي مفردة اخرى والحق أن السياق كاشف للدلالة وليس المنتج لها أصالة لأن الدلالة كامنة في اللفظية ويفيضها السياق بوصفه عاملا خارجيا متيحا ومساعدا ليس غير من هنا أمكن أن نلخص إلى نتيجتين مهمتين أولاً هما أنه حتى وإن تيسرت صياغة معجم تاريخي يلاحق المفردة ويرصد مواقعها السياقية زمنيا[3].

1- احمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، علم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط6،1988،ص93
2- المرجع نفسه، ص95
3- المرجع نفسه، ص96

فإن ذلك لا يهينا شيئا: أبال في هذا الباب، فلو هيّئ لمشروع لغوي ينظم المعجمات نظما تاريخيا ما أغنى ذلك شيئا عن أهمية الدلالة التي تحملها المفردة بعيدا عن السياقات تاريخيها ولغويها فمعرفة السياق الأول للفعل ضرب أول ما أستعمل وإنه البطش قد نفسره عقليا بأنه المعنى الأول بحكم أن البطش أمر حسي، والضرب بمعنى الإرسال.

في قولنا (أضرب مثل) معنوي غير أن هذا لا يعفينا من إستيضاح الرباط الجامع بين ضرب المادي وضرب معنوي وكيفية إنتقالها من هناك إلى هنا وبما أنه ليس كل السياقات قابلة لهذه المفردة إلا سياقات بعينها مثل (ضرب فلان في الأرض) و(ضرب الأمير الدراهم)، فإن معناه أن هذه المواقع السياقية تستجيب لطبيعة المفردة وأن السياقات المقبولة المرشح لها بمشرح ما وإلا صارت لفظة قابلة لإحتلال أية سلسلة في احتمالية عشوائية، يستصغى مما سبق أن الدلالة في عمق المفردة وان السياقات تنوع لا يخرج عن دلالة محورية تسمح بدلالات نوعية حافية، وليس من اليسير إنتزاع هذه الدلالات المحورية وإستخلاصها من مجموع الإستعمالات الكثيرة في كلام العرب فالمعنى المركزي في ضرب تقديري[1] هو الثبات والملازمة، إذ ضرب بمعنى بطش فيها ثبات آلة الضرب على المضروب، فلا يسمى ضربا دون ايقاع آلة الضرب على المحل وقد يكون ثبات الأثر من جرح وكدم وألم وغيرها، وضرب الدراهم تثبيت وترسيم للعملة حتى لا يتداول غيرها، وضرب في الأرض شيء طويل يثبت عليه صاحبه، فلا يقال لليسير، وضرب المثل تبيثه بحيث يجري دائما بحكم والملازمة في قوله تعالى: «ضرب عليهم الذلة والمسكنة» أي لا زمتهم وشيء ضارب في القدم بمعنى تبث على القدم دهرا، وهو أبلغ من القديم وما إليها[2]

وللمفردة ثبات على دلالتها في حالة طروء التغيير على تركيبها داخل ذاتها هي بحيث تحافظ على النفس الدلالة مهما تبادلت أصواتها المواقع تقديما وتأخيرا، وأوّل من ألفت هذا أبو عليّ الفارسي شيخ إبن جني، الذي يصرح بذلك، وبأنه زاد عليه بالتوسع وأمعان النظر في الوقت الذي إكتفى شيخه بالإشارة الصابرة[3]

1- حنان غمدي، المستويات اللسانية والتعليم النصوص الطور الابتدائي، شهادة ماستر، لسانيات التطبيقية قسم اللغة والاداب العربي، كلية الاداب واللغات، ابوبكر بلقليد، تلمسان، 2019، ص41
2- المرجع نفسه، ص42
3- المرجع نفسه، ص 43

فالمستوى المعجمي يتناول الوحدات المعجمية، والمعاني المرتبطة بها في صيغتها الإفرادية بعيدا عن علاقاتها بالنسيج التركيبي أو الدلالات التي يفرزها السياق والمتعلقة بالحقيقة والمجاز والتشبيه والبيان وغيرها[1]

نستعرض في المستوى المعجمي البحث عن معنى الكلمة داخل المعجم وجمع جميع المعاني التي يرد بها اللفظ والمسجّلة في المعجم، أما أثناء التحليل الدلالي نستعرض الدلالات المتنوعة التي يأخذها اللّفظ في اللّغة كالدلالة النحوية مثلا التي نستنبطها من ترتيب الكلمات ترتيبا معينا حيث نفهم منه دلالة معينة لا نفهمها مع ترتيب نحوي آخر.

1- حنان غمدي، مستويات اللسانية، ص 44

الفصل الثالث

التحليل التداولي لقصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل –نزار قباني-

*المستوى الصوتي

*المستوى البلاغي

*المستوى التركيبي

*المستوى المعجمي

تمهيد:

يعتبر التحليل عملية تقسيم موضوع أو مادّة معقّدة إلى أجزاء صغيرة من أجل الحصول على فهم وإستعاب أفضل لهذا الموضوع أو المادّة، ففي هذا الفصل سنستعرض تحليلاً تداولياً لقصيدة منشورات فدائية على جدران إسرائيل للشاعر نزار قباني وتطبيق آليات التحليل التداولي عليها، حيث تعتبر التداولية درسا غزيرا وجديدا في حقل الدراسات اللسانية، فالتحليل التداولي يركز على دراسة كل ما يتعلق بالتركيب وتحليل الأفعال الكلامية والإنجازية والأساليب الإنشائية من: نداء ونهي أو قسم وأمر...إلخ، فهنا في هذه القصيدة قمنا بتحليل كل من المستوى الصوتي والنحوي والتركيبي والمعجمي التي تركز عليها التداولية في موضوعها لأنها عبارة عن علم لغوي محض، يكتفي بوصف وتفسير الظواهر اللّغوية.

المبحث الأول: المستوى الصوتي

يتناول هذا المستوى: الوقف والوزن والنبر والتنغيم والقافية، كما يمكن في هذا المستوى دراسة الإيقاع والعناصر التي تعمل عل تشكيله والأثر الجمالي الذي يحدثه، إضافة إلى تكرار الأصوات والدلالات الموجبة التي تنتجه، كما يعني بدراسة التفعيلات والتصريع والبحور الشعرية، ففي تحلينا التداولي لقصيدة نزار القباني المعنونة بعنوان المنشورات فيدائية على جدران إسرائيل سنركز على دراسة النبر والتنغيم والقافية والوزن والتكرار

أ- النبر: هو قوة التلفظ النسبة التي تعطي للصائت في كل مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة، فهو إبراز جزء من المنطوق[1]

تكمن وظيفة النبر داخل القصيدة في الوضوح لأنه يقوم بالضغط على الكلمة بعينها في إحدى الجمل المنطوقة، لتكون أوضح من غيرها من كلمات الجملة وذلك للإهتمام بها أو التأكيد عليها ونفي الشك عنها من المتكلم أو السامع ويساعد النبر على زيادة الإحساس بإنفعالات المتكلم أو الحالة النفسية المصاحبة للقصيدة وإستخدامه يشكل فونيما صوتيا بغير الصيغ أو المعاني أو عدم تأثيره فيها[2]

ومن أمثلة النبر في القصيدة: المقطع الأول في قول الشاعر:

-فيها لعبنا، وعشقنا

-وكتبنا الشعر

النبر هنا موجود في الكلمة المشددة (الشعر)، وكذلك في نفس المقطع نجد النبر في قوله:

-مشرشون نحن في وجدانها

-باقون في نسيانها

الكلمة المنبورة (مشرّشون) حرف الراء مشدد ضغط عليه الشاعر من أجل التأكيد والتأثير على القارئ

1- ينظر: فايز عارف القرعان، تقنيات التوازي البلاغية في الممتلون لنزار القباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص 402
2- المرجع نفسه، ص 403

-كذلك في المقطع 3 قوله:

لأن موسى قطعت يداه

ولم يعد يتقن فن الشعر

لأن موسى كسرت عصاه

النبر في كلمتين (فن والشعر) ضغط عليها لتوضيح الكلمة وتثبيتها في ذهن المتلقي أو القارئ للقصيدة

وجود النبر أيضا في المقطع 6 في قول الشاعر:

لن تستريحوا معنا

كل قتيل عندنا

يموت الافا من المرات

كلمة (المرات) مشددة أحدت الشاعر فيها النبر لتأكيد معناه وتبيان تكرار

نلاحظ في هذه الأمثلة نبر بالشدة أي الضغط على الحرف، كما هنالك نبر بالتنوين يتأكد المعنى ويضغط على الكلمات وأمثلة ذلك في قول نزار القباني:

في المقطع 10: *نطلع من خلف التماثيل

*وأحواض الزهر

*رجالنا يأتون دون مواعيدا

النبر بالتنوين في كلمة موعد وظيفته احداث نغمة صوتية وذلك بالضغط على الحرف بتنوين الكسر.

-كذلك في المقطع 16:

*للحزن أولاد سيكبرون

*للوجع الطويل، أولاد سيكبرون

*للأرض للحارث.. للأبواب.. أولاد

*سيكبرون...

نبر منون في كلمة أولاد إحدث إيقاع صوتي داخل القصيدة (تنوين بالضم)

وفي قوله أيضا في المقطع2:

لا تكسروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا

فسوف يأتي عمرو

وإن سحقتم وردة

فسوف يبقى العطر

نجد التنوين في كلمة (خالدا) وكذلك في كلمة (وردة) وذلك لإحداث نغمة أوزنة في القصيدة بالضغط على الكلمات من خلال التنوين

نلاحظ أن القصيدة طاغية عليها المنبورة بالشدة وذلك من أجل إثبات وتأكيد الشاعر نزار القباني لنا قوة الإحتلال والمعناة التي عانى منها الشعب الفلسطيني

2- التنغيم: هو تنوع في النطق حسب الحاجة إرتفاعا وإنخفاضا لغرضه، ونغمة الصوت هي إحدى صفاته، وكثير أما تكون عاملا مهما في أداء المعنى وتتوقف النغمة على عدد ذبذبات الأوتار الصوتية في الثانية وهذا العدد يعتمد على درجة التوتر للأوتار الصوتية او للنغمة أربعة مستويات وهي: النغمة المنخفضة، النغمة العادية، النغمة العالية، نغمة فوق العالية[1]:

أ -النغمة المنخفضة: هي أدنى النغمات وهي نختم به الجملة الإخبارية عادة، والجملة الإستفهامية التي لا تجاب بنعم أو لا

ب- النغمة العادية: هي النغمة التي نبدأ الكلام بها، ويستمر الكلام على مستواها من غير إنفعال

ج- النغمة العالية: تأتي قبل نهاية الكلام متبوعة بنغمة منخفضة أو عالية مثلها

د- النغمة الفوق العالية: هي النغمة التي تأتي مع الإنفعال أو التعجب أو الأمر

تتجسد وظيفة التنغيم في وظيفته النحوية لأنه يفرق بين أسلوب وآخر من أساليب التركيب كما يشير إلى دلالة المعاني ويعني بترتيب النغمات الكلامية ويساعد في إدراك المعنى ودرجة نطقه

في المقطع1: لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حصر

فنحن باقون هنا

نجد المد في كلمات (تجعلوا شعبنا باقون) إرتفاع في نغمة الصوت أي نغمة فوق عالية غرضها الإنفعال

وفي قوله أيضا في المقطع2: لا تسكروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا .. فسوف

يأتي عمرو

نغمة فوق عالية في كلمات (تسكروا خالدا عمرو) تنغيم مرتفع نتيجة إنفعال الشاعر نزار القباني

1- بوقرة نعمان، التحليل للخطاب الشعري، ص 122

وفي المقطع1 في قوله: فيها لعبنا، وعشقنا

وكتبنا الشعر

مرشرشون نحن في خلجانها

نغمة هذه الأبيات منخفضة وذلك لأنها تمثلت في كونها جملة إخبارية

كذلك في المقطع3 قول الشاعر: لأن موسى قطعت

يداه...

ولم يعد يتقن فن السحر...

لأن موسى كسرت عصاه

ولم يعد بوسعه شق مياه البحر

هنا نلاحظ تنغيم منخفض الدرجة لأن الشاعر بصدد الإخبار

وفي المقطع4: المسجد الأقصى شهيد جديد

نضيفه إلى الحساب العتيق

وليس النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضيء الطريق

نغمة عادية في هذا المقطع لأن خالي من الإنفعال وظف جملة بسيطة عالية أدت إلى إنخفاض درجة الصوت داخل القصيدة

مثلا في المقطع6 لقوله: لن تستريحوا معنا

كل قتيل عندنا

يموت الافا من المرات

نلاحظ في هذا المقطع تذبذب في درجات التنغيم تارة يرفعها وتارة يخفضها (لن تستريحوا معنا) تنغيم مرتفع الدرجة (فوق عالية) بتوظيفه لحرف المد الألف ثم في قوله (كل قتيل عندنا) انخفاض في الدرجة (منخفضة) لأنها عبارة عن جملة إخبارية فالنغمة هنا عادية

كذلك تنغيم مرتفع الدرجة في قوله: انتبهوا... انتبهوا

أعمدة النور لها أظافر

وللشبابيك عيون عشر

إرتفاع في التنغيم (انتبهوا) لأن الشاعر هنا يحذر الشعب الفلسطيني من العدو الصهيوني فارفع في درجة نغمة الصوت وأفعال الأمر نغمتها دائما تكون عالية الدرجة (تنغيم عالي)

وفي المقطع12 لقول الشاعر: تذكروا.. تذكروا دائما

بأن أمريكا.. على شأنها

ليست هي اللغة العزيز القدير

وأن أمريكا على بأسها

لن تمنع الطيور أن تطير

هنا الشاعر رفع درجة التنغيم في كلمة (تذكروا) ثم نلاحظ انه خفض في درجة التنغيم في قوله (بأن أمريكا على شأنها) يعني تذبذب في النغمات وهذا راجع إلى الحالة النفسية للشاعر مرة ينفعل ومرة يخبرنا بغير إنفعال

فنستخلص من خلال هذه المقاطع الشعرية المزودة بالتنغيم أن الشاعر أمزج بين النغمات الصوتية وأكثر من التنغيم المرتفع نتيجة إفتعاله واحساسه بالغضب وسخطه على العدو الصهيوني ووصفه لنا لمعاناة الشعب الفلسطيني، كما تمثل دور الحروف في إرتفاع وانخفاض التنغيم (حرف المد) في الإطالة في الصوت عند النطق وذلك لأتباث الكلام وتأكيده وتوصيل صورة القصيدة في ذهن القارئ أو المتلقي[1]

1- إبن كثير، البداية والنهاية، تح: جودة محمد جودة، محمد حسني شعراوي، دار إبن الهيتم، القاهرة، مصر،ط1، 2006، ص266

3-التكرار: هو من المفاهيم الأساسية في معالجة الخطاب الأدبي، وهو وسيلة مهمة لإكتشاف أبعاد الواقعة الأدبية في التداوليات الأدبية، ودراسة هذه الظاهرة لا تتوقف عند حد رصد تواترها الخطابي بل يعني المحلل بإبراز أدبية الظاهرة في ضوء جدلية الثابت والمتحول، ووظيفتها الخطابية من حيث كونها وسيلة للإفهام والإفصاح والكشف والتأكيد والتقرير والإثبات، والتكرار ينقسم إلى ثمانية اقسام:

التكرار التام ،التكرار الجزئي، التكرار الاشتقاق، التكرار العبارة، التكرار الجملي، التكرار الصرفي، التكرار الترادف، التكرار الحرف[1]

سنذكر أهم الشواهد لأنواع التكرار في كل مقاطع القصيدة في الجداول التالية:

نوع التكرار	الأمثلة+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
التكرار التام	باقون27 مرة(م18،13،1) أطلع7مرات(م25،10) تأتي5مرات(م27) مرشرشون3مرات(م1) موسى مرتان(م3) قصب الغابات مرتان، خشب الصلبان مرتان(م5) الأيام3مرات (م27،14،13) صفق3مرات (م11) أمريكا 3مرات (م3،12) الأرض 3مرات (م16،8،1) فلسطين 4مرات(17) هارون الرشيد3 مرات(م20) الفلسطيني مرتان(م27،21)	80

1- بوقرة نعمان، التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص 122

جدول توضيحي للتكرار الجزئي تكرار الاشتقاق:

نوع التكرار	الأمثلة+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
التكرار الجزئي/التكرار الاشتقاق	شعبنا/شعب(م1) قتلتم/قتيل(م2،6) زهر/تزهر(م1،24) هزمتم/لم تهزمو(م8) انتظرونا/ما لا ينتظر(م10) نطلع/أطلع(م10،25) الطيور/تطير(م11،12) وردة/الورود(م2،14) يوم/الأيام(م15) دفتر/دفاتر(م13،18) الخيل/الخيال(م18) فلسطين/الفلسطيني(م10،21) المزاريب/المزراب(م13،م25) الحبيبات/الأحباب(م25) رسم/نرسم(م18،27) ليس/ليست(م3،4)	15

جدول توضيحي للتكرار العبارات والجمل المتكررة في القصيدة:

نوع التكرار	التمثيل+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
تكرار العبارة او تكرار الجملي	لن تفلتوا 3مرات(م5) انتبهوا مرتان(م7) فصفق العالم للمغامرة مرتان(م11) تذكروا مرتان(م12) سوف يموت الأعور الدجال مرتان(م18)	11

لا حظنا أيضا وجود تكرار صرفي في القصيدة وأمثلة ذلك موضحة في هذا الجدول:

نوع التكرار	التمثيل+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
التكرار الصرفي	الحريق /الطريق(م4) من أوعية البخور/من أغطية الصلاة(م5)، النسور/الصخور(م8)، الحجر/الزهر، يرسمن أحزان فلسطين/يقبرن أطفال فالمهادي/يحملن أحجار فلسطين(م10، باقون في معاصر نزين/في مراكب الصيد/في قصائد الحب(م18)، الأحمر /الأخضر(م24)، أطلع كالعشب/أطيء كالبرق/أهطل كالسحاب(م25)، ممزق/مطوق(م26)، الأشياء/الأسماء(م27)	09

كما يوجد تكرار للترادف وأمثلة موضحة كما يلي:

نوع التكرار	التمثيل+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
تكرار الترادف	باقون/مرشرشون(م1)، زهر/وردة/العطر(م2،1)،نبيها الكريم/الرسول(م10،1)،النار/الحريق(م4)،بندقية/بارودة/السلاح(م17/12/5) الأرض/بلانا/فلسطين/وطنا/التراث(م25/11/10/1)، نصر/فتح(م14) المحاكمة/الثواب/العقاب(م22)، الضياع/السراب(م25)، الحقد/الكراهية(م26) أسى/أحزان(م27)	11

من خلال ملاحظتنا للقصيدة، نلاحظ أن حتى الحروف تكررت ومن أمثلة ذلك:

نوع التكرار	التمثيل+ عدد التكرار+ رقم المقطع	عدد التكرار الاجمالي
تكرار الحرف	(الواو) بتواتر 88مرة/(في) بتواتر85مرة/(من) بتواتر 39مرة/(الفاء) بتواتر 19مرة/(أن) بتواتر 15مرة/(لام النافية) بتواتر 9مرات/(سوف) بتواتر 7مرات/(السين) بتواتر 6مرات/(لن) بتواتر 6مرات/(أن المصدرية) بتواتر 5مرات/(لم) بتواتر 5مرات/(قد) بتواتر 5مرات/(أو) بتواتر 4مرات/(لام النهي) بتواتر مرتان/(إنّ) بتواتر مرو واحدة/(لقد) بتواتر مرة واحدة/(ياء النداء) بتواتر مرة واحدة	298

إن المتمعن في الجداول يتبين له إختيار الخطاب لتكرار الحرف بتواتر قدره 298 مرة، لوقوف حروف المعاني على دلالات تتماشى مع الموقف الشعري العام، كمعاني الرفض والأباء، والتحدي والتعهد، والوعيد والإنتماء، ثم التكرار التام بتواتر 80مرة، لتأكد المعنى عن طريق التكرار اللّفظي الذي حقق نوعا من الإتساق والإنسجام للخطاب، ثم تكرار الإشتقاق الجزئي بتواتر 15مرة، فتكرار العبارة بتواتر 11مرة وتكرار الترادف بتواتر 11مرة أما التكرار الصرفي فقد ورد بتواتر 9بتواتر، ليصل مجموع التكرار في الخطاب الى 454 مرة، وهو عدد يعبر عن إعتماد الشاعر على هذه الوسيلة الإقناعية في ما ذكره محمد العبد إستنادا إلى رأي المستشرقة بارير جونستون كوتش التي رأت أن خطاب الحجاج العربي يعتمد في الإقناع على العرض اللّغوي للدعاوى الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة، وهذه الإستراتيجية البلاغية سمتها إستراتيجية بالتكرار[1].

1- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 233

التوازي الصوتي (الصوت): إن توفر التوازي الصوتي في قصيدة نزار يحقق نوعا من التناغم الموسيقي والإيقاعي لدى القارئ، وقد راعى نزار وجود الأصوات معين في بعض الفقرات، والذي له أثره في تحقيق الإيقاع، فمثلا في (م12) الذي يقول فيه:

تذكروا...

تذكروا دائما

ليست هي الله العزيز القدير

وأن إمريكا على بأسها

لن تمنع الطيور من أن تطير

قد تقتل الكبير، بارودة

صغيرة في يد طفل صغير

نجد في هذا المقطع أن صوت (الراء) قد تكرر بشكل ملحوظا، وفي أكثر من كلمة، وهي (تذكروا، أمريكا، القدير، الطيور، الكبير، بارودة، صغيرة، صغير) إحدى عشر كلمة فيها صوت الراء، وهذا يدل على وجود تناغم صوتي في إرجاء المقطع أراد من خلاله نزار القباني الصهاينة وحزبهم بحقيقة مفادها أن القوة ليست دوما تمثل مفتاح النصر، ومن الوسائل الفنية التي يلجأ إليها الشاعر في تحقيق التوازي الصوتي أنه يجعل الصوت المتوازي متوافق مع موقعه في نهاية التفعيلة كأن يجعل كل مقطع ينتهي بنفس القافية أو بنوع في نهايتها بحرفين أو أكثر تبعا للحال الشعورية المصاحبة للمقام[1]

1- ينظر فايزعارف القرعان، تقنيات التوازي البلاغية في الممثلون لنزار القباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص 432

ومن أمثلة البنية المتشكلة من التوازي القائم بين قافية بعض الأسطر المتتابعة ما تضمنه (م17):

وجاء في كتابه تعالى

بأنكم من مصر تخرجون

وفي المناشير التي يحملها رجالنا

زدنا على ما قاله تعالى، سطرين أخرين

ومن ذرى الجولان تَخْرَجُوْنَ

/0//0/

وضفة الاردن تخرجون

بقوة السلاح تخرجون

نفس القافية

نلاحظ أن السطر الثاني والأسطر الثلاثة الأخيرة قد ختمت بذات القافية فالبنية تحاول رصد حالات التغيير التي يحققها دال الخروج من الأمكنة التي إستبيحت بعد النكسة، وكأنها البنية بهذه النهاية تمارس نوعا من التأثير على المتلقي من خلال فعل الوعد المضمن بين القوافي المكررة وبهذا يكون الصوت في خدمة الدلالة

وزن القصيدة:

أ/البحر:يعد البحر من الخصائص الأساسية التي تتميز بها موسيقى الشعر يتم إذ يتم الإحتكام وفق معيار عند نظم الشعر، ويحقق مظهرا شكليا لهندسة البناء النغمي[1]

1- ينظر: سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، ص 17

ويعد تحليلنا لقصيدة منشورات فيدائية على جدران اسرائيل للشاعر نزار القباني إتضح لنا أن الشاعر نظم قصيدته على وزن بحر الرجز وهو (بحر من البحور المفردة تتألف وحدته الإيقاعية من تفعيلة (مستفعلن) والرجز من الإيقاع المتوسط رغم قيامه على وحدة إيقاعية واحدة ولكن عند إيقاعه متوسطا لتقارب عدد الحركات والسكنات فيه.

يقول في مطلع القصيدة:

لَنْ تَجْعَلُواْ مِنْ شَعْبِنَاْ

0//0/ 0/ /0//0/0/

مستفعلن مستفعلن

شعب هنود حمر

شَعْبُ هُنُوْدِنْ حُمْر

00/ 0/0// /0/

مُتفعلن مَفْعُول

فنحن باقون هنا

فَنَحْنُ بَاْ قُوْنَ هُنَاْ

0///0/ 0/ /0//

متفعلن مفتعلن

حددت زحاف تفعيلية مستفعلن هو زحاف الخبن وهو حذف الساكن الثاني في التفعيلة بحيث مستفعلن أصبحت متفعلن

كذلك هناك زحاف آخر مفعول

نلاحظ أيضا زحاف آخر مفتعلن

حيث نلاحظ أنه قد إختار مادة الإيقاع الأولية (مستفعلن) ولم يلتزم بعددها في السطر وفق النموذج الخليلي، بل جعلها تتشكل بحرية مستحبة لحالته النفسية إتجاه القضية الفلسطينية ومع ذلك كان في النص إنسجام إيقاعي قدرته الرهيبة في التشكيل الإيقاعي حيث جاءت كالآتي: (2-2-2-4-2-2-2)

وفي هذه الأرض التي تلبس في معصمها

فِيْ هَاْذِهِ لْأَرْضُ اَلْتِيْ تَلْبِسُ فِيْ مِعْصَمِهَاْ

0///0/0/0/0/0//0/0//0/0/

مستفعلن مستفعلن مفتعلن مفتعلن

إسوارة من زهر

إِسْوَاْرَتُنْ مِنْ زَهْرْ

00/0/0//0/0/

مستفعلن مفعول

فهذه بلادنا

فَهَاْذِهِ بِلَاْ دُنَاْ

0//0////0//

متفعل متفعلن

أو (3-2-3-3-2-3) في مثال في قوله:

مشرشون نحن في خلجالها

مُشَرْرَشُوْنَ نَحْنُ فِيْ خُلْجَانْهَاْ

0//0/0/0//0/0/0//

متفعلن متفعل مستفعلن

فقد إستخدم الشاعر تشكيلا حرا لتفعيلة الرجز، وهذا يتناسب مع تصويره للقضية الفلسطينية، فلسطيني حر في هذه الأرض هو من يرسم خريطة حياته، وهو الذي ينهيها، كما أن إختيار الشاعر تفعيلة الرجز لتصوير الحالة النفسية المضطربة التي يعيشها الصهيوني لم يكن إعتباطا، فقد روي عن الخليل أنه أسمى الرجز رجزا لإضطرابه كإضطراب قوائم الناقة عند القيام[1]

فتفعيلة الرجز أقدر على تصوير إضطراب وخوف الصهيوني الذي يخاف من مجرد إختطاف طائرة أو رؤية دم، فهو يعيش في قلق دائم رغم العذاب وكل ما يفعله إذاء الفلسطيني فهو متمسك وصامد في هذه الأرض فهو لن يفرط ولو بجزء منها

نلاحظ في هذه القصيدة أن حرف الروي الغالب والمهيمن والمتكرر في كل مقاطع القصيدة هو حرف (الراء) بحيث تكرر 58 مرة، والروي هو آخر حرف ساكن في القافية

1- إبن رشيق، العمدة، ج1، ص 121

القافية: هي آخر حرفين ساكنين في البيت الشعري مع المتحرك الواقع بينهما مع الحرف قبل أول الساكنين، فقافية القصيدة هي (0//0/0) مثال ذلك في كلمة: خِلْجَأْنِهَأْ

0//0/0/

مستفعلن

المبحث الثاني: المستوى البلاغي

نركز في هذا المستوى دراسة جمالية النص التي تشكلها الصور البيانية والمحسنات البديعية من: إستعارة وتشبيه ومجاز وكناية وسجع وجناس وحتى الترادف والطباق فكل هذه الظواهر اللّغوية تحدث موسيقى داخلية للقصيدة التي تزيد من جماليتها

أ- المحسنات البديعية: فهي من مسميات الإيقاع الداخلي أيضا الايقاع البديعي الذي يستخدم أدوات البديع لتشكيل موسيقى جديدة، وقد عرف البلاغيون البديع على أنه: "الجديد والغريب والبارع، وأنه درجة عالية من التميز في الفن"[1]

1- الجناس: كما عرفه السكاكي: "هو تشابه الكلمتين في اللفظ مع إختلاف في المعنى"[2]، وللجناس أثر واضح في إحداث التناغم الموسيقي وأثره الخفي في إيقاع المعنى

ومن بين أمثلة الجناس التي إستخدمها الشاعر في القصيدة في قوله:

المسجد الأقصى، شهيد جديد

نظيفة الى الحساب العتيق

وليس النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضيئ الطريق

1- منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، ص 11
2- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص429

وظّف الشاعر في هذه الأسطر جناس ناقص بين كلمتي (شهيد، جديد) و(حريق، طريق) مما أضفى على هذه الأسطر نغمة إيقاعية منبعثة من التشابه الصوتي بينها وهذا أما نلمحه أيضا في قوله:

تذكروا

تذكروا دائما

بأن أمريكا على شأنها

ليست هي اللغة العزيز القدير

فالجناس الناقص بين كلمتي (العزيز والقدير) زاد من التشكيل الإيقاعي في هذه الأسطر كما وظف الشاعر أيضا الجناس الاشتقاقي وذلك في قوله:

باقون في مروءة الخيل، وفي مروءة الخيال

فالجناس الإشتقاقي بين كلمتي (الخيل والخيال) أضفت على هذا السطر الشعري جرسا موسيقيا أيهم في تأكيد المعنى

نلاحظ أن الشاعر استعمل هذا اللون البديعي لتشكيل جانب من جوانب الإيقاع، لأن الجناس هو حيلة موسيقية وبنية دلالية أسهم في تكثيف الإيقاع وإبرازه وتوضيح الدلالة

2- التصريع: عرّفه السكاكي في قوله: "ومن وجهات الحُسن التصريع، وهو أن تكون الألفاظ متساوية الأوزان، متفقة الأعجاز، أو متقاربتها"[1]

فالتصريع ظاهرة إيقاعية شعرية وعنصر بديعي يعمل على تحلية القصيدة فيضفي عليها شيئا من الروتين يمنحها نوعا من الومضات النغمية التي تجعل العملية الإيقاعية تتجدد وتتمدد

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 431

فقد إستخدم الشاعر نزار قباني هذا العنصر الإيقاعي في قصيدته وأكثر منه ومن ذلك قوله:

موعدنا حين يجيء المغيب

موعدنا القادم في تل أبيب

نصر من الله وفتح قريب

فقد وقع التصريع في الكلمات الأتية (المغيب، أبيب، قريب)

وكذلك قوله:

ما بيننا وبينكم... لا ينتهي بعام

لا ينتهي بخمسة، أو عشرة ولا بألف عام

طويلة معارك التحرير كالصيام

ونحن باقون على صدوركم كالنقش في الرخام

باقون في صوت المزاريب وفي أجنحة الحمام

باقون في ذاكرة الشمس ودفاتر الأيام

باقون في شيطنة الأولاد وفي خربشة الأفلام

فالتصريع واقع في الكلمات (بعام، عام، الصيام، الرخام، الحمام، الأيام، الأفلام)

وأيضا في قوله:

سوف يموت الأعوار الدجال

سوف يموت الأعور الدجال

ونحن باقون هنا

حدائق وعصر البرتقال

باقون فيما رسم الله على دفاتر

باقون في معاصر الزيت وفي الأنوال

في المد في الجزر وفي الشروق والزوال

فقد جاء التصريع في الكلمات الاتية (الدجال، الدجال، البرتقال، الجبال، الأنوال، الزوال)

فنلاحظ أن تكرار بعض الوحدات الصوتية فقد أكسب القصيدة نغمة خاصة، لها أثرها على نفسة القارئ والمتلقي، لأن التصريع أحدث توازنا موسيقي أعطى القصيدة طاقة إيقاعية في الأسطر فحقق إنسجاما في المبنى والمعنى

3- الطباق: هو التضاد أي الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة والضدان إما أن يكونا إسمين وإما فعلين وإما حرفين وتكمن أهميته في كونه يشمل عنصر المخالفة وهذه المخالفة تغذو فاعلية أساسية يتلقاها القارئ. وهو نوعان: طباق السلب وطباق الايجاب، فهو ساعد على تقوية المعنى وتأكيده

فنزار قباني من خلال قصيدته منشورات فدائية على جدران إسرائيل وظف بنية الطباق، نظرا لصراعات مشاعره الداخلية لما يعتري القضية الفلسطينية من متناقضات ومن ذلك قوله:

يا آل اسرائيل، لا يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن توقفت

لا بذ أن تدور

فمن خلال المطابقة (توقفت ضدها تدور) وهو طباق الإيجاب فالشاعر يوحي بأن مسألة إسترداد أرض فلسطين لا يرتبط بالوقف أبدا وإنما بالفعل والردّ والتصدّي

وكذلك في قوله:

باقون في معاصر الزيت وفي الأنوال

في المدّ وفي الشروق والزوال

نجد في هذه الأسطر مطابقة بين (المدّ وضدها الجزر) وبين (الشروق وضدها الزوال) وهو طباق ايجاب

فمن خلال هذه المطابقة أراد الشاعر التأكيد على البقاء في هذه الأرض في كل مكان منها وكل زمان، فلن يشكل لنا ضيق المكان أو عتمته هاجرا يجعلنا نفرط فيها

وكذلك من قوله:

باقون في الصلب

باقون في الهلال

في ثورة الطلاب باقون، وفي معاول العمال

فقد طابق الشاعر (الصليب ضدها الهلال) وهو طباق إيجاب للدلالة على أن القدس يعيش فيها كل مسلم أو مسيحي، فلا مجال للصهيوني بينهم

كما وظف الطباق أيضا في قوله:

أفتح باب منزلي

أدخله من غير أن أنتظر الجواب

لأني أنا السؤال والجواب

فالسؤال والجواب- طباق إيجاب، فكلا الكلمتين عبارة عن كلام أو حوار بين إثنين أو أكثر

وعليه نلاحظ أن الشاعر من خلال جمعه للمتناقضات أراد تأكيده للرفض القاطع لوجود الصهيوني على أرض فلسطين فكل الحقائق التاريخية والدينية والسياسية تبتث أن فلسطين للعرب وتنفي ملكية الصهيوني فيها

نورد الطباق الموظف في القصيدة مجملا في الجدول الاتي :

طباق إيجاب	طباق السلب
(جديد ضد عتيق) (الشروق ضد الزوال) (السفوح ضد الهضاب) (الصليب ضد الهلال) (توقفت ضد تدور) (المد ضد الجزر) (الثواب ضد العقاب) (البيضاء ضد السوداء) (نساؤنا ضد رجالنا) (الشمس ضد القمر) (أبي ضد أمي) (يدخلون ضد يخرجون)	هزمتهم ضدها لم تهزموا انتظرونا ضدها لا ينتظر

يؤسس الطباق من خلال التقابل ايقاعا خفيا في دلالات الألفاظ، حيث استطاع الشاعر أن يجعل من التقابل توازنا، يبرز الصوت بروزا واضحا وبذلك يؤثر في نفس القارئ ويطربها ويجعلها تميل إليه وتقبل عليه

4- التشبيه: هو إلحاق أمر ما بأمر اخر لو صفه بإستخدام أداة التشبيه، وظيفته في تجميل القصيدة وأمثلة التشبيه في القصيدة:

باقون كالحفر على صلبانها

مشبه أداة مشبه به وجه الشبه

حيث شبه الشاعر الشعب الفلسطيني بالحفر الذي لا يصدّ ولا ينهد

مثال اخر في قوله:

نخرج كالجنّ لكم

شبه الشاعر أنفسهم (شعب الفلسطيني) كالجنّ لمواجهة الصهيوني

مثال اخر في قوله:

طويل معارك التحرير كالصيام

شبه المعرك بالصيام وذلك لطاولها

مثال آخر

تجمعوا كالدمع في العيون

شبه أنفسهم بدموع العين نتيجة معاناتهم

مثال آخر عن التشبيه في قوله:

أطلع كالعشب من الخراب

أضيء كالبرق على وجوههم

أهطل كالسحاب

وظف الشاعر في هذا المقطع ثلاث تشبيهات متسلسلة لإضفاء جمال على القصيدة حيث شبه نفسه بالعشب والبرق والسحاب

فتوظيف التشبيه من طرف الشاعر في هذه الأبيات غرضه كان التوضيح وإزالة الغموض للمتلقي مما أضفى جمال داخل القصيدة

5- **الإستعارة:** هي إستعمال الكلمة في غير معناها الحقيقي، وأصل الإستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، ووجه الشبه وأداة التشبيه وهي نوعان: مكنية وتصريحية

ووظيفتها تكمن في تقوية المعنى مع الإختزال في التعبير وتزيد الشعر رونقا وجمالا ووضوحا، ومن أمثلة الإستعارة في القصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل لنزار قباني:

المثال في قوله:

في غضب الرعد وزخات المطر

شبه الشاعر الرعد الذي يغضب حيث ذكر المشبه وحذف المشبه به إذا إستعارة مكنية

مثال2:

يرسمن أحزان فلسطين على ذمع الشجر

كذلك هنا إستعارة مكنية حيث شبه الشاعر دمع الشجر كالورق يرسم عليه أحزان فلسطين حيث بالغ هنا في الإستعارة وذلك راجع الى كثرة معاناتهم

مثال اخر:

فصفق العالم للمغامرة

إستعارة مكنية شبه العالم بالإنسان الذي يصفق بيديه

مثال آخر عن الإستعارة في قوله:

محاصرون أنتم بالحقد والكراهية

شبه الحقد والكراهية بالعدوّ الصهيوني والذي يحاصر المحتل الفلسطيني

6- الكناية: هي الكلام الذي يحمل معنيين الأول واضح وصريح والثاني مخفي، والمعنى المراد في هذه الحالة يكون المعنى المخفي من وراء الكلام، حيث يفهم هذا المعنى من سياق الكلام، فالغاية من هذه الصورة الشعرية هو إبراز عواطف الشاعر ومشاعره داخل قصيدته ووظيفتها تكمن في إحداث إبداع جمالي للقصيدة وتقوية المعنى وتوضيحه

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

نحن مبتوثون في الريح وفي الماء وفي النبات

كناية عن الصمود والثبات

مثال اخر:

لقد سرقتم وطنا

كناية عن الإحتلال والحصار

مثال اخر:

باقون في معاطف الجنود

في الجراح في السعال

كناية عن الأسى والألم والمعاناة

فالصور البيانية تعتبر لبّ العمل الشعري الذي يجب أن يتسم بالرقة والصدق والجمال وتعد عنصرا من عناصر الإبداع في الشعر، ويستخدمها الشاعر للخروج عن المألوف غاية في تقويب المعنى الى ذهن القارئ

المبحث الثالث: المستوى التركيبي

ندرس في هذا المستوى الجمل وتركيبها النحوي على كيفية واحدة، وزمن الأفعال من ماضي ومضارع وأمر وأنواع الجملة والأداة، والفاعل، والمبتدأ أو الخبر، والتذكير والتأنيث والحروف

1- الجملة: ورد التوازي التركيبي بأشكال متعددة في الخطاب وهو تكرار الجمل النحوية أو بعض مكونتها[1]

في المقطع 16 قوله:

للحزن أولاد سيكبرون...

الوجع الطويل، أولاد سيكبرون

الأرض... للحارات... للأبواب...أولاد

سيكبرون

نلاحظ أن الأسطر الثلاثة إبتدأت بجملة إسمية (شبه جملة متعلقة بمحذوف غير مقدم جوازا تقديره موجود ومبتدأ مؤخر والمبتدأ في الأسطر الثلاثة واحد (هؤلاء) أما الخبر فقد إختلف ففي السطر الأول (للحزن) وفي الثاني (للوجع) وفي الثالث (للأرض) كما أبرز في هذه الأسطر الثلاثة ببنية تكرارية تعتمد على تكرار الدال (سيكبرون) وبصورة ترتيبية تقود إلى إدراك أن المقطع يسعى إلى تحسين دلالة التحدي والإصرار على المقاومة، وفي ذلك إقناع للمخاطب (الصهاينة) بأن المقاومة لم تفتر

وفي قوله (المقطع 18):

أطلع كالعشب من الخراب

أضيء كالبرق على وجوهكم

أهطل كالشحاب

نجد أن الأسطر الثلاثة قد إبتدأت بفعل مضارع لاوم على وزن (أفعل) مسندا إلى ضمير المتكلم (أنا) وحتى تحقق بنية التوازي دلالة الإنبتاق إعتمدت تقنية التوازي التشبيهية من خلال حلق بنى تشبيهية متوازنة (كالعشب، كالبرق، كالسحاب) لتأكيد تلك الدلالة

أ- الجملة الإسمية والفعلية:

*الجملة الفعلية: هي الجملة البسيطة التي تبدأ بفعل +فاعل+ مفعول به ففي قصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل لنزار القباني

نلاحظ أنه طغت الجملة الفعلية على الإسمية التي أسهمت في إثراء لإيقاع وتكثيف المعنى إستخدمها لأجل التأكيد والتنبيه والتهويل بأن فلسطين للعرب ولهم الأفقية في حكم وسلطة البلاد، كما هو وارد في المقطوعة الشعرية الموالية:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر...

فنحن باقون هنا

في هذه الأرض التي تلبس

في معصمها إسوارة من زهر

فالجملة(لن تجعلوا من شعبنا) جملة فعلية تتكون من فعل+ واو الجماعة +فاعل +جار ومجرور

كذلك في المقطع2 قوله:

لا تسكروا بالنصر

اذا قتلتم خالدا... فسوف

يأتي عمرو

جملة فعلية مكونة من فعل (تسكروا) وواو الجماعة في محل رفع فاعل+ جار ومجرور (بالنصر)

وفي قوله أيضا في المقطع3:

لأن موسى قطعت

يداه...

ولم يعد يتقن فن السحر...

نلاحظ هنا أن شاعر نزار القباني وظف جملة فعلية مكونة من فعل أول (لم يعد) وفعل ثاني (يتقن) +مفعول به (فن)+ مضاف إليه (السحر)

وفي قوله:

لن تستريحوا معنا..

كل قتيل عندنا

يموت ألافا من المرات

جملة فعلية مكونة من فعل (يموت)+ فاعل (ألافا)+ جار ومجرور

وفي المقطع9 لقوله:

ننصحكم أن تقرأوا ما جاء في الزبور

ننصحكم أن تحملوا ثوارتكم

وتتبعوا نبيكم للطور

فما لكم خير هنا... ولا

لكم حضور

من باب كل جامع

من خلق كل منير مكسور

سيخرج... الحجاج ذات ليلة...ويخرج المنصور

في هذا المقطع الشاعر أكثر من الجمل الفعلية لأنه بصدد النصح والإرشاد وتوجيه نداء للعدّو والأخذ الحيطة والحذر، فمثال ذلك في جملة (سيخرج، الحجاج ذات ليلة.. ويخرج المنصور) هنا نلاحظ جملة فعلية مكونة من فعل (سيخرج)+ فاعل(الحجاج) ++ظرف زمان(ذات ليلة)

ب- الجملة الأسمية: هي الجملة التي تبتدأ بمبتدأ وخبرا، أي كل من يبتدأ بإسم هي جمل إسمية

لقد ساهمت الجمل الإسمية في قصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل في ترابط وإنسجام عناصر القصيدة أو إحداث حركية فيها لكسر التوقع لدى المتلقي والتأثير في نفسيته ومن الأمثلة على ذلك:

في المقطع الأول لقوله:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر فنحن باقون هنا..

فالجملة (شعب هنود حمر جملة إسمية مكونة بمبتدأ هو (شعب) وخبر هو (هنود)

كذلك في المقطع4 مثال:

المسجد الأقصى شهيد

نضيفه إلى الحساب

وليست النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضيء الطريق

فالجملة الإسمية (المسجد الأقصى شهيد) مكونة من مبتدأ (المسجد) والخبر (الأقصى)

مثال آخر في قوله المقطع 24:

حدائق التاريخ دوما

تزهر

ففي ذرى الأوراس قد

ماج الشقيق الأحمر..

الجملة الإسمية (حدائق التاريخ) مكونة من مبتدأ (حدائق) والخبر (التاريخ)

كذلك قوله في المقطع8:

يا آل إسرائيل... لا

يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن

توقفت لا بد أن

تدور...

الجملة الإسمية (عقارب الساعة) مكونة من مبتدأ عقارب وخبر الساعة

2- الحروف:

فالتركيب في هذه القصيدة إستند على تكرار الحروف والجمل والكلمات التي ساهمت في إتساق وإنسجام عناصر القصيدة، نلاحظ مثلا الحروف التي تعتبر من أقسام الكلام في اللغة العربية، والتي هي حروف الربط التي تساهم في ربط عناصر القصيدة وهي أنواع منها:

أ- حروف الجرّ في: ورد 90 وذلك في قول الشاعر:

باقون فيما رسم الله (على) دفاتر الجبال

باقون (في) معاصر الزيت... وفي الأنوال

في المدّ (في) الجزر... و(في) الشروق والزوال

باقون (في) مراكب الصيد

وفي الأصداف والرمال

باقون في قصائد الحب

وفي قصائد النضال

لقد استخدم الشاعر هذا النوع من الحروف في للدلالة على الظرفية الزمانية والمكانية، أي أن الفلسطيني موجود في كل زمان ومكان، فهو موزوع في التاريخ والدين، فهذه أرضه وهو متمسك بمهامها طال الزمان، فعرف الجرّ في يعمل على حفر صورة الشيء في الذهن وهذا ما سعى إليه الشاعر وهو حرف صورة الفلسطيني الموجودة في كلّ شبر في هده الأرض

أمثلة عن حرف "من": هذا الحرف ورد 62 مرة، ومن ذلك قول الشاعر:

ليس حزيران سوى يوم من الأيام

وأجمل الورود ما ينبث في حديقة

لقد إستخدم الشاعر حرف الجرّ من للدلالة على التبعيض، لأن يوم إحتلال الصهيوني لأرض فلسطين ما هو الأيام، فالشيء الذي يتلقاه الفلسطيني من الصهيون لا يوفقه وإنما يتبث فيه الإصرار والتحدي وروح القومية

كما إستعملها الشاعر للتأكيد على أن هذه الأرض سوف ترجع للفلسطين لأنهم أصحاب الأرض ومن ذلك قوله:

أطلع من صوت أبي

من وجه أمي الطيب، الجذاب

أطلع من كل العيون السود والأهداب

ومن الشبابيك الحبيبات

ومن الرسائل والأحباب

أطلع من لائحة التراب

*حروف العطف: هي نوع من حروف الربط تساهم في إتساق عناصر القصيدة

-أمثلة عن الحرف الواو: وردت 85 مرة، ومن ذلك قول الشاعر:

نحن الذين نرسم الخريطة

ونرسم السطوح والهضاب

والذين تبدأ المحاكمة

ونفرض الثواب والعقاب

لقد إستخدمها الشاعر للدلالة على الجمع والربط، فكل ما يتعلق بهذه الأرض يخص الفلسطيني وحده، فمشروعية هذه الأرض ستبقى مشروعة له لأنه صاحب القرار فيها

-أمثلة عن الحرف الفاء: لقد ورد هذا الحرف 18مرة في هذه القصيدة:

ومن ذلك قول الشاعر:

لا تسكروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا

فسوف يأتي عمرو

وإذا سحقتم وردة

فسوف يبقى العطر

وكانت وظيفتها للدلالة على التعقيب، أي أنهم إذا قتلوا بطلا من أبطال فلسطين، فسوف يولد ألاف الأبطال مباشرة، فلكل فعل عندهم ردّة فعل فمهما فعلوا فلا يحملوا بالنصر، لأن روح التضحية في سبيل الوطم مستمر دائمة

-أمثلة عن حرف لام: لم تخلو القصيدة من حروف النفي إذ تكرّرت 12مرة ومن أمثلتها قول الشاعر:

يا آل إسرائيل لا يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن توقفت

إن إغتصاب الأرض لا يخيفنا

فالريش قد يسقط من أجنحة النسور

والعطش الطويل لا يخيفنا

فالماء يبقى دائما في باطن الصخور

كان الهدف من توظيفها هو نفي الهزيمة والرضوخ للعدو، فلا يأخذهم الغرور فنحن لا يخفينا ما تفعلونه، لأن صمودنا وصبرنا إتجاههم دليل قوة وليس ضعف

-أمثلة عن حرف لن: وردت 6مرات، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر

فنحن با قون هنا

في هذه الأرض التي تلبس في معصمها

إسوارة من زهر

إستخدم الشاعر حرف لن لنفي المضارع ونصبه وتخليصه للإستقبال، فالشعب الفلسطيني لا يقارن بالهنود الحمر، فهذه الأرض لهم وستبقى مهما طال الزمن

كما نجد الشاعر قام بتكرار الكلمة ليمنح إمتدادا وتنامي للقصيدة في شكل ملحمي إنفعالي متصاعد نتيجة تكرار العنصر الواحد كاللّفظة مثلا، فتمنح القصيدة قوة وصلابة نتيجة الترديد للفظة المتكررة، فنجد كلمة: الأرض تكررت 4 مرات لأنها هي المحور الذي تدور حوله وهو الحق في ملكية هذه الأرض التي تمثل الوطن والأم والحبيبة

كما تحمل لفظة الأرض الصلابة والثبات وهذا ما تمثله فلسطين لأهلها فهم ولدوا ولعبوا وعشقوا في هذه الأرض فهي تحمل كل أحزانهم وأفراحهم فهي دفتر ذكرياتهم، فكل حصوة تراب تحمل رائحتهم، كذلك نجد لفظة الماء تكررت 4مرات للدلالة على الحياة والإستمرارية ففلسطين بالنسبة لأهلها كالماء، لا يستطعون مفارقتها ولا تخلي عنها فهي مصدر قوتهم وصلابتهم

وكما نجد أيضا كلمة فلسطين تكررت 4مرات كررها الشاعر للدلالة على ما تحمله أو ما تمثله بالنسبة لأهلها فالنساء والرجال والأطفال كلهم فداء لها، فهو يتوجه بذلك إلى الصهيوني بأن لا يطمئن فلن يستريح بال هؤلاء إلّا بإستردادها

وكلمة العرب تكررت مرتين، فكلمة العرب الأول إستخدمها الشاعر للدلالة على حزنه على العرب الذين إنهزموا أمام العدو الصهيوني ولم يستردوا هذه الأرض المغتصبة وذلك في قوله:

العرب الذين كانوا عندكم

مصدري أحلام

تحولوا بعد حزيران ...إلى حقل الألغام

أما كلمة العرب الثانية فقد إستخدمها الشاعر للدلالة على أصل سكان القدس وأحقيتهم فيها كما يركز على الأصالة العربية والروح القومية التي يحملها كل عربي إتجاه هذه الأرض لأنها تحمل مقدساتهم وتاريخهم وحضارتهم وذلك قوله:

حدائق التاريخ دوما تزهر

ففي ربى السودان قد ماج الشفيق الأحمر

وفي صحاري ليبيا

أوراق غصن أخضر

والعرب الذين قتلتم عندهم تحجروا

وتغيروا...

ونجد كلمة أمريكا تكررت 4مرات للتأكيد على أن لا يقارن الصهيوني نفسه بأمريكا وكلمة الهنود الحمر تكررت مرتين للتأكيد الشاعر بأن فلسطين ليسوا كالهنود الحمر لأن وجه الشبه بينهما يختلف، وكلمة هارون الرشيد تكررت 9 مرات بتنبيههم لما حدث له بعد قوته وظلمه، وعليه نلاحظ من خلال تكرار هذه الكلمات أنه قد أعطاها أهمية خاصة لأنها تدور حول الفكرة الرئيسية، فقد شكلت في النص رموز إستطاع الشاعر بها أن يرسل خطابة بكل سلاسة

3- الأفعال:

نلاحظ في هذه القصيدة طغيان الأفعال المضارعة على الأفعال الماضية وذلك راجع إلى سرد الشاعر نزار قباني للقضية الفلسطينية ووصف معاناة شعبها من الإحتلال الصهيوني وتتجسد دلالة الأفعال في الحركة وعدم التباث في الأحداث، وساهمت في تسلسل وترابط القصيدة وتأكيد ونقل التجارب عاشها الشعب الفلسطيني

نشكل في ذلك جدول توظيفي لمجموعة الأفعال الماضية والمضارعة والأمر:

الأفعال الماضية	الأفعال المضارعة	أفعال أمر
باقون، وجدنا، كتبنا، سحقتم، قطعتهم، زدنا، قاله، قتلناه، أطعمناه، علقناه، جعلنا، أصبح، لعبنا، شق، هزمتم، ظلت، فصفق، صادرتهم، يغتم، سرقتم، خطفنا، جاء، أسئ، زيّت	تجعلوا، مشرشون، تسكروا، يعد، يتقن، تهلكون، تضيفه، نخرج، تأتيكم، مبثوثون، يبقى، معجونون، تستريحوا، يموت، يسقط، ينصحكم، تتبعوا، يرسمن، سيخرج، نطلع، يقبرن، يحملن، تنصبون، تمنع، ينتهي، تجوعون، تعطشون، تجرحون، سيكبرون، يبدأ، نرسم، أطلع، يدخلون، يشحذ، يشتكي، أضيء، أهطل تأتي	إنتبهوا، تذكروا، تجتمعوا، أخرج، تحولوا، إنتظرونا
العدد: 24	العدد:40	العدد:06

*الأفعال الكلامية: ومن العناصر التي تشكلت المحور التداولي، نجد كذلك الأفعال الكلامية المتصلة بالأقوال، فإذا ما أخذنا التواصل بمفهوم التأثير وهو غاية الشاعر في إرساليته، فإن المراحل التي تبلور إنتقال القول من ألباث إلى المتقبل الحديث، وهو ما نجده بالفعل عندما أفرد لها أوستن كتابا كاملا عنوانه نظرية أفعال الكلام العامة وهذا المؤلف يمثل الإنطلاقة الفعلية للنظرية التداولية حتى أن بعض الدارسين لم يفصلوا بينهما وبين التداولية[1]

1- آن روبل وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 36-37

1-الأفعال الدالة على الإثبات (الإخباريات):

وفي هذا الصنف يقوم الشاعر ببيان مجموع حقائق وصفا وتقريرا وتأكيدا، أو يقوم بنقل طائفة من التجارب التي عاشتها الأمة العربية والشعب الفلسطيني تحديدا في ظروف خانقة، وإذا ما تتبعنا المدونة نجد هذا الموقف يظهر تدريجيا فمثلا في المقطع الأول قوله:

فهذه بلادنا

فيها وجدنا منذ فجلا العمر

فالبنية الخطابية في هذين السطرين نشأت في أحضانها العملية التواصلية، لأن الشاعر يرمي من خلال هذا الأسلوب إلى زيادة التقرير وإلى حمل المتلقي على التصديق فقد إبتدأ نزار القباني قوله: فهذه بلادنا لبيان التقرير بالتعليل، وهو وسيلة المنشئ لإقناع السامع بقوله: فيها وجدنا منذ فجر العمر، وما يلاحظ على المدونة إكثار الشاعر من إستعمال التكرار قصد تقوية المعنى على البقاء، من خلال تكرار لصيغة إسم الفاعل (باقون) و(مشرشون) بشكل ملفت للنظر في المقاطع (1،13،16) نحو قوله على سبيل المثال:

باقون فيما رسم الله دفاتر الجبال

باقون في معاصر الزيت... وفي الأنوال

ففعل القول في كلا السطرين (باقون) يتضمن قوة متضمنة في القول، وهي الإصرار والتحدي فهو يعتبر فعل تأثيري لتوصيل رسالة المتلقي ليصيح فعل إنجازي[1].

1- شيتر رحيمة، تداولية النص الشعري –جمهرة أشعار العرب نموذجا- رسالة دكتورة مخطوطة، جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر -2008 ، ص 151

كانت غاية الشاعر أن يجعل المتلقي (الصهاينة) لا يشعر يوما بالنصر على العربي، ومن ثم حمله على الجلاء، وهي غاية نزار من خطابه، لأن العربي باقي في ما رسم الله له من الحدود التي حرّمها على الصهيون

وقد إستعمل الشاعر بعض الأدوات النحوية التي قامت بإنجاز أفعال كلامية نحو: إنّ، وأنّ، وقد، ولقد وأسلوب القصر عن طريق تقديم ما حقّه التأخير، وتأخير ما حقّه التقديم، والنفي والإستثناء، وهذا الإستعمال المؤكدات يكون متماشيا مع حال المخاطب مرية وإنكارا، وهذا يدخل ضمن أضرب الجملة الخبرية، ومن أمثلة هذا التوظيف ما صرّح به في المقطع 18 في قوله:

إنّ إغتصاب الأرض لا يخيفنا

فالرّيش قد يسقط من أجنحة النسور

في الإثبات والتقرير لا يؤثر على الموقف أن تكون الصور مشبوهة بالمجاز، كما هو واضح (إغتصاب الأرض) ففي هذا المنطوق لم توظف (إن وقد) لمجرد التقرير، بل لحمل المتلقي على التصديق، فالقوة الإنجازية في فعل القول (التركيب) إمتدت هنا إلى التأكيد، وهو ما يدي إلى الإختلاف في درجتها، فالمنطوق عرض بقوة التأكيد (إن وقد) ولو تجرد التركيبان منها لتغيرت الدلابة، وهذا الفعل إستعملة لإيخاف الصهاينة وتأكيد قوتهم، أما الفعل التأثيري الناتج عن الفعل الأنجازي فهو شعار اليهود بعدم الخوف[1] ، ومن التقريريات إستعمل الشاعر الأسلوب القصر، وحامل معنى القصر فيما يسوقه صاحب المفتاح: راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع ويوصف دون ثان

ومن طرقه الموظفة، القصر بالنفي والإستثناء، كما هو وارد في المقطع الرابع:

وليست النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضيء الطريق

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 288

وكذلك في المقطع 15 قوله:

ليس حزيران سوى يوم من الأيام

وأجمل الورود، ما ينبت في حديقة الأحزان

أراد من خلالها الشاعر أن يكد على إستمرار المقاومة وتجاوز الفاجعة والفعل الإنجازي غير المباشر علرض بقوة التوكيد (ليس، سوى..) وذلك بقصر الموصوف على الصفة، والفعل المتضمن في القول هو فعل إنجازي، وهو العمل الذي ينجز بقول ما، أدّى الوظائف التالية: الإصرار والتحدّي، وهو فعل ثان تضمنه فعل القول الأول، أما الفعل الثالث وهو الفعل الناتج عن القول المتسبب في نشوء آثار لدى المتلقي في المشاعر والفكر كان وراء غاية إقناع الصهاينة بإستمرار المقاومة تثبيطهم[1]

أمّا الطريق الثاني الأسلوب القصر، وهو تقديم ما حقه التأخير والعكس، وحتى يحقق القصر قائد التوكيد والتقرير وجب أن تكون هذه الأية فيما هو جائز فلا مزية في تقديم أو تأخير ما هو واجب تقديمه وتأخيره، فهذه الألية توظف للإثبات والتأكيد من خلال الأفعال التقريرية الواردة في المقطع الخامس على سبيل المثال:

من قصب الغابات

نخرج المصحف، تأتيكم

ومن المقطع السابع عشر في قوله

وجاء في كتابه تعالى

بأنكم من مصر تخرجون

1- صحراوي سعود، التداولية عند العلماء العرب، ص 42

ففي التراكيب السابقة (أفعال القول) أبرز فيها الشاعر نزار قباني الأمكنة التي سينبثق منها العربي، والأمكنة التي سيبرحها الصهيوني وتخصيصها، عرضت هذه المنطوقات بقوة التوكيد (التقديم والتأخير) والقوة المتضمنة فيها (الوعيد والتحدّي) أمّا الفعل الناتج عنها (الأثر) قذف الرعي في قلوب اليهود وتذكيرهم بمالهم الوخيم لإضعاف عزمهم، أما التقرير بإستخدام مختلف أنواع المجاز من صور نلمح ذلك في المقطع 16 قوله:

للحزن أولاد سكبرون

للوجع الطويل، أولا سيكبرون

هذا التركيبان تقريران، ولكن كانا في صورة إيحائية، اذ تطرح العلاقة بين التركيب ودلالته المنطقية نوعا من العرض والتصادم، لتتدخل قوانين المجاز وقرائنه

2- أفعال التوجيه:

لقد كانت الأفعال التوجيهية كثيرة في الخطاب وإرتبطت ضمنيا بالتقرير والإثبات، وعملت كلها على إقناع المتقبل بما يجب أن يقتنع به، الإعتراف أن فلسطين للفلسطينيين ولتوضيح هذا الطرح نأخذ من المقطع الثاني في قصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل لقوله:

لا تسكروا بالنصر

فالجملة تحمل قوة إنجازية عرضت بقوة (النهي) غير المباشر، تتعدد قيمتها في ظروف سياقية معينة، فهذا الفعل الكلامي من ثلاثة أفعال، الفعل اللّفظي بمعناه الحرفي الذي يقرأ هناك نصرا لليهود، وفي المقابل هزيمة العرب، مرجعه وجود النصر والهزيمة فعلا، والفعل العرضي والإنجازي لهذا الملفوظ هو الوعيد والتحذير من الإعتزاز بالنصر، الذي يعتبره نزار نشوة عابرة للصهاينة، اما الفعل التأثيري أو ما يخلقه القول أثر في المتلقي قد يكون الخوف، أو إقناعهم بأن الحرب لم تنته، وفي حال عدم حصول التأثير المرتجى من الإنجاز وجب التعديل في الفعل الإنجازي عن طريق زيادة بعض الوحدات اللّغوية[1].

1- كلاوس برينكر، التحليل اللّغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: يعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة –مصر-، ط1، 2005، ص112

وهو ما أضافه الشاعر نزار في مطلع 2:

لأن موسى قطعت يداه

هنا نلاحظ تعليل من إبراز للصهاينة بعدم الإنتشاء بالنصر، لأن أسباب النصر قد إمحت ودرست ثم ليواصل نزار توجيه مخاطبه بلهجة شديدة تحمل كلّ معاني الوعيد والتهديد، وهو ما يدل عليه المنطوق غير المباشر في المقطع السابع في قوله:

إنتبهوا...

إنتبهوا..

أعمدة النور لها أظافر

وللشبابيك عيون عشر

والموت في إنتظاركم

فالقوة الإنجازية التي يتضمنها القول عرضت بقوة الأمر المكرّر صراحة وإضمارا في باقي أجزاء المقطع ليحقق فعلا إنجازيا هو الطلب، يدعو من خلاله اليهود إلى الإنتباه والتحلّي بالحيطة والحذر ما دام الموت يحيطهم من كل جانب، فالفعل المتضمن في القول هنا، وهو التهديد والوعيد، والملاحظة في هذا الفعل التوجيهي أنه يخلق أسبابا للمخاطب لكي يؤدي ما طلب منه، وتحمله على القيام بفعل معين، هو ترك الأرض لأهلها، والخوف والإضطراب وإعادة الحسابات... وبهذا تنزل هذه المنطوقات منزلة الأفعال (السلوكيات) بعبارة أوستن: "إن قولنا شيئا ما يعني أننا تصرفنا أو فعلنا شيئا ما" [1]

1- جون لا نكشوا أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 123

نستخلص أن الفعل الإنجازي ويتعلق بالمرسل وذلك من خلال النهي والنداء الأعراض معينة، أما الفعل التأثيري فإنه يتعلق بالمرسل إليه، وقد لا تكتمل دائرة التأثير فيه إلّا عند حدوث ردّة فعل المرسل إليه[1]

أما الفعل التأثيري الناتج عن الفعل الغرضي قد يكون فزع اليهود أو إستخدامه لعري قادمة للتوجيهات التي عرضها نزار قباني في المقطع9:

ننصحكم أن تقرؤا

ما جاء في الزبولا

ننصحكم أن تحملوا ثوراتكم

وتتبعوا نبيّكم للطور

إنّ قصد المنشئ ليس النصح الذي يمثل القوة الإنجازية الحرفية المباشرة، المجسدة في الطلب (ننصحكم أ، تقرؤا، أن تحملوا وتتبعوا) وإنما هو الأمر كقوة إنجازية غير حرفية مضمنة في النصح الذي يكون فيه المنطوق تأكيد لمن المتكلم حيال المخاطب بأن فعلا مستقبليا محددا سيكون في صالح المخاطب تماما وكأنّه يقول لهم أقرؤوا ما جاء في الزبور واتبعوا نبيّكم للطور، وفي ذلك تهديدين للصهاينة بدليل في قوله في نفس المقطع:

فما لكم خير هنا... ولا لكم حضور

إن هذه المعني الحرفية (الزبور، والتوراة، والطور) تدخل فيمن المخزون الثقافي الذي يتقاسمه المتشاركون في الحدث الكلامي لهذا لم تكن الأفعال اللّغوية قصديّة، بل هي حرفية أيضا وذلك أنها تنجرّ داخل الجماعة اللّغوية وفق قواعد يعلمها كل شريك لغوي في عملية تكيفية الإجتماعي[2]

1- الشهري عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 75
2- مرجع نفسه، ص 110

3- أفعال الوعد (الإلتزاميات):

يرد هذا الصنف من الأفعال الكلامية بدرجات متفاوتة بالقيام بأفعال ما في المستقبل عن قصد وإخلاص، إلّا أنّ السمة المميزة لهذا النوع عن سابقه لا يبتغي التأثير في السامع، يتضح هنا من خلال تتبعنا لهذه الأفعال أن الوعيد يعدّ المنطوق بالنسبة للمتواصلين قبول المتكلم بالإلتزام حيال المخاطب بتنفيد ما وعد به، ففي حال الوعد يجب أن يدل المحتوى الموضوعي على المستقبل، إذ لا يعد المرء بأفعال تقع في الماضي، ولا يمكن للمرء أيضا أن يعد بأن شخصا آخر سيفعل شيئا، فالمتكلم يعد دائما بإسمه، وهذا الوعيد صاحب التحدي والإصرار في مواطن من الخطاب، وفي مواطن أخرى كان مصحوبا بالتهديد[1]

وممّا هو ملاحظ أيضا أن كثيرا من الأفعال الإنجاز عرضت بقوة (التفي) الذي تحقق بالحزن (لن ولا) للدلالة على التحدّي والصمود وذلك في قوله المقطع1:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر

وفي المقطع 5و6:

لن تفلتوا من يدنا

لن تستريحوا معنا

كل قتيل عندنا

يموت ألافا من المرات

1- الشهري عبد الهادي بن طافر، إستراتيجيات الحطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 80

فنزار بلسان كل عربي يتحدّ الصهاينة بأن يقضوا على شخصيته، مثلما صنعت أمريكا بالهنود الحمر، ثم ليحقق النفي بلن غرض التعهد عندما يتوعد الصهاينة بعدم الإلتفات من قبضة العربي التي ستظل تلاحقهم حتى تقتص لنفسها من جرائهم وتجاوزاتهم، فلا تطمعوا يا بني صهيون في النشر فكلّ قتيل عندنا يموت آلافا من المرات

كما إعتمد الشاعر في وعيده لليهود على بنية المضارع المقترنة بحرف الإستقبال (السين وسوف) لإنشاء غرض الوعيد نلمح ذلك في المقطع الثالث في قوله:

فسوف تهلكون عن آخركم

وكذلك في المقطع 9 لقوله:

سيخرج الحجاج ذات ليلة

ويخرج المنصور

وفي المقطع 12 قال:

للحزن أولاد سيكبرون

وهؤلاء كلهم

من كل أبواب فلسطين سيدخلون

وفي المقطع 18 لقوله:

سوف يموت الأعور والدّجال

إن الوظائف اللّسانية المحصورة خلق هذه الأفعال دالة على التهديد والوعيد، فالزمن يخبئ لهم الهلاك بفعل فاعل، وهو العربي الغاضب الذي سيعود إلى أيام عزته وشرفه (ماضيه التلبد) ليقنع بشخصيات تاريخية تراثية (الحجاج، المنصور) التي سيجسد هنا جيل الثورة الصاعد، لينتقم من جلاده ويسومه سوء العذاب

ومن الإلتزاميات التي إحتواها نص المدونة توظيف نزار تباني للأفعال الدالة على الإنبثاق (نطلع، ونأتي، ومن وموعدنا) أمتلثها ما ورد في المقطع الحادي عشر: رجالنا يأتون دون موعد

وأيضا في المقطع 14:

موعدنا حيث يجيء المغيب

موعدنا القادم في تل أبيب

نصر من الله وفتح قريب

كذلك في المقطع 25:

أطلع كالعشب من الخراب

أضيء كالبرق على وجوههم

وفي المقطع 27:

نأتي...

بكو فياتنا البيضاء والسوداء

إشارة الفداء

نأتي ...لكي نصحح التاريخ والأشياء

ترتبط وجهة الإنجاز في هذه المنطوقات بالإلتزام الشاعر حيال مخاطبه بالتهديد والوعيد، وهو يعبر للمجموع عن شعور يتملك المجموع نفسه وهو النيل من الغاضبين، وممّا تجدر الإشارة إليه حمل هذه الأفعال الإخبارية في ظاهرها على محمل الأفعال الإنجازية، أي إخراجها من تصنيفها الطبيعي إلى مجال التأويل، وذلك بإنتقال الدلالية من الإخبار إلى الوعيد، وهو المعنى المتضمن في القول، خاصة إذا ما تمت مراعاة الظروف والملابسات التي صاحبت الصيغ، وذلك بالوقوف على دور السياق في تحليل الأفعال الكلامية، ليأخذ فان ديك النظر القائلة: "بأنه لا توجد فائدة في التكلم عن ضروب إنجاز قوى أفعال الكلام خارجا عن السياق المحدّد تحديدا إجتماعيا" [1].

1- فان ديك، النص والسياق، إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص 266

4- الضمائر:

تنقسم بدورها إلى فرعين ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هم، هو، هنّ...إلخ وضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابة، كتابهم، كتابنا...إلخ وتعتبر الضمائر من وسائل الإحالة في القصيدة مع أسماء الإشارة التي تنقسم إما حسب الزمان (الآن، غدا، الأمس) أو المكان (هنالك، هنا) أو حسب الحياد والإنتقاء (هذا، هؤلاء..) حسب البعد (ذلك، تلك..) أو القرب (هذه، هذا..)، فهذه الضمائر والأسماء الإشارية تساهم في الربط بين عناصر القصيدة وتساعد على إتساق النص على المستوى السطحي له[1]

تزخر قصيدة نزار قباني المعنونة بعنوان منشورات فيدائية على جدران إسرائيل بكل أنواع الإحالة ضمائر وأسماء وإشارة ولإيضاح ذلك ندرج التالي:

طبيعة العنصر الإحالي	المحيل	نوع الإحاة	العنصر المحال إليه
الضمير	باقون (نحن)	إحالة مقامية	الشاعر وشعبه
الضمير	قلت (أنا)	إحالة مقامية	الشاعر
إسم إشارة	هذه	إحالة نصيّة قبلية	بلادنا
فعل	حولتني	إحالة نصيّة بعدية	الشاعر نزار قباني
الضمير	أنتم الجيل	إحالة مقامية	الشعب
فعل	قتلتم	إحالة نصيّة بعدية	إسرائيل
الضمير	نخجل (نحن)	إحالة مقامية	الشاعر وشعبه
الضمير	شربوا (مع)	إحالة مقتميّة	اليهود
الضمير	كلّفنا (نحن)	إحالة مقامية	الشاعر وشعبه
إسم إشارة	هذه	إحالة نصيّة قبلية	الأرض
الضمير (الهاء)	يملكه	إحالة نصيّة قبلية	الشرقي
الضمير	جيل (نحن)	إحالة مقامية	الشاعر وشعبه

نلاحظ من خلال تحلينا للمستوى التركيبي أن الألفاظ والتراكيب من أفعال وضمائر وجمل ساهمت في إتساق وإنسجام عناصر القصيدة

إذ تهتم بربط الأفكار في بنية النص الظاهر، ويتميز الإنسجام بمجموعة من الوسائل: السياق، وموضوع الخطاب وبنيته، أنما الإتساق يهتم بالوسائل التالية: الإحالة والحذف والتكرار وكثرة الضمائر وأسماء والإشارة، فتطبيق مبادئ الإتساق والإنسجام في القصيدة أدّى إلى تحقيق هذه المبادئ وتماسكها في القصيدة، كما يعدّ السياق عنصرا وعاملا أساسيا في بناء وتوليد النصوص، كونه يعتبر المعنى الذي يفهم من الكلمة وكلمات السابقة واللّاحقة لها في العبارة أو الجملة

5- الأساليب الإنشائية:

الأسلوب الإنشائي هو الكلام لا يصعب تحديد صدقه أو كذبه في ذاته، وينقسم إلى جملتين إحداهما طلبيّة ويطلب فيها المتكلم من المخاطب تنفيد أو عدم تنفيد أمر ما، وأخرى غير طلبية لا يطلب فيها المتكلم شيئا من المخاطب[1]

يمتاز الأسلوب الإنشائي الطلبي: بإستدعائه مطلوب غير حاصل وقت الطلب، وعادة يأتي على خمسة أوجه وهي:

أ- الأمر: وفيه دائما ما يطلب المتكلم من المخاطب القيام بفعل، عليه الإلزام والتكليف به، ومن أمثلة الأمر في هذه القصيدة نلمح ذلك في المقطع السابع لقوله:

إنتبهوا... إنتبهوا

أعمدة النور لها أظافر

وللشبابيك عيون عشر...

استخدم الشاعر فعل الأمر (انتبهوا) الطلب التحذير وتوجيه تنبيه للعدو الصهيوني لغرس الخوف في قلوبهم

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط5، القاهرة –مصر- مكتبة الخانجي، ص 23-24 بتصرف-

وكذلك في المقطع 10 لقوله:

انتظرونا دائما

في كل ما لا ينتظر

فنحن في كل المطرات وفي كل

بطاقات السفر

وجه فعل الأمر (انتظرونا) لتوجيه طلب الأنتظار دائما للكفاح ومواجهتهم بكل قوة لنيل الاستقلال

وأيضا وجود أمر في المقطع 12 لقوله:

تذكروا... تذكروا دائما

بأن أمريكا على شأنها

ليست هي الله العزيز القدير

أمر الشاعر نزار من الصهيون التذكر وكررها من أجل تأكيد كلامه لهم بقوله (تذكروا... تذكروا دائما)

ب- النهي: هو أن يطلب المتكلم من المخاطب التوقف عن فعل أمر ما، ويتكون أسلوب من فعل مضارع يكون مسبوقا(بلا) النّاهية[1].

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 25

ومن أمثلة النهي في القصيدة نزار قبائي في قوله المقطع 2:

لا تسكروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا... فسوف

يأتي عمرو

قام الشاعر هنا عن كسر النصر لغرس الأمل في نفوس الفلسطينيين وطلب كف عن جهة الإستعلاء

وأيضا في المقطع 13 لقوله:

ما بيننا.. وبينكم... لا ينتهي بعام

لا ينتهي بخمسة... أو عشرة

ولا بألف عام طويلة معارك

التحرير كالصيام

وظف الشاعر في هذا المقطع أسلوب النهي (لا ينتهي، ولا بألف عام) لتوجيه خطاب ونفي كلامه للمطالبة بتوقيف الحرب

ج- الإستفهام: يعرف الإستفهام بأنه طلب معرفة شيء مجهول لا يعرفه السائل أو يكون بواسطة إستخدام أدوات الإستفهام التي قد تكون حرفان هما: "الهمزة وهل" ويتفهم بهما عن مضمون الجملة ومنها: كيف، هل، كم، من، ما...إلخ [1]

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 27-28

نلاحظ بأن هذه القصيدة تخلو من أسلوب الاستفهام وذلك راجع الى أن الشاعر يوجه خطابا صريحا لا يكتسيه الغموض أو أي شيء مجهول أي هو يتكلم بشكل مباشر لا يطرح أسئلة.

د- النداء: هو طلب شخص واستدعائه القدوم مستخدما في طلبه حروف النداء التي تأتي محا الفعل بمعنى أنادي، أدعو، وحروف النداء تختلف باختلاف مكان المنادى، فان المنادى قريبا نستخدم حرفي النداء: الهمزة أو أي أما ان كان المنادى بعيد نستخدم أحد الحروف التالية: يا، أيا، هيا[1]

ففي هذه القصيدة وظف الشاعر أسلوب النداء في المقطع 8 في قوله:

يا آل إسرائيل... لا يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن توقفت

لا بد أن تدور

وجه من خلال قوله (يا آل إسرائيل) نداء للعدو الصهيوني فهو منادى بعيد لذلك إستخدم حرف (يا) لتوجيه خطاب مفعم بالرفض والثوارة

كذلك في المقطع 16 لقوله:

تجمعوا كالدمع في العيون

وهؤلاء كلهم..

في أي... أي لحظة من كل

إستعمل حرف (أي) للنداء البعيد لعدوه الصهيوني وطلب الدخول لفلسطين ومواجهتهم بكل قوة وعزيمة.

1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مصر، الهنداوي، ص 79-80 بتصرف

هـ- التمني: هو أسلوب إنشائي يتمنى فيه حصول شيء مثل محبة شخص أو مجيء شخص، وهذا لا يقتصر على كلمة (ليت) بل يشمل(لعل وعسى) وقد يكون في شيء لا يرجى ولا يعتقد إمكانية حصوله بسبب إستحالته أو لأنه بعيد المنال[1]

ففي هذه القصيدة الشاعر لم يستعمل أسلوب التمني بشكل مباشر ولم يستعمل الألفاظ الدالة عليه مثل ليت ولعل وعسى لأن القصيدة كلها تعتبر قصيدة يأمل بها الشاعر التمني على أخذ الإستقلال والتخلص من العدو الصهيوني

*أما الأسلوب الإنشائي الغير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوبا وقت الطلب بمعنى أن حصول الطلب غير مرتبط بالطلب، وله خمسة أنواع وهي: المدح، الذم، القسم، التعجب، الرجاء، صيغ العقود

1- التعجب: هو أسلوب يدل على الإستغراب وإنفعال وله صيغتان هما: تعجب سماعي لا وزن ولا قاعدة وقياسي وله صيغتان: ما أفعله، وأفعله[2]

ومن أمثلة التعجب في قصيدة نزار قباني في المقطع 19 قال:

تسعون مليونا من الأعراب

خلف الأفق غاضبون

يا ويلكم من ثأرهم

يوم من لقمقم يطلعون

إستعمل الشاعر صيغة التعجب السماعية (يا ويلكم) للتعبير عن مدى تعجبه من الثأر نتيجة إستغرابه منهم فوجه ذلك عن طريق تحذير لتخويفهم.

1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 82- 83
2- مرجع نفسه، ص 84

ي- القسم: هو أسلوب يدل على اليمين والحلف في معظم، ويراد به تأكيد شيء لدى السامع بغرض إزالة أي شك عنده بإستعمال لفظ الجلالة (الله)[1]

ومثال ذلك في المقطع 17 لقوله:

وجاء في كتابه تعالى:

... وأنكم بنعمة الله عليكم سوف تكفرون

وفي المناشير التي يحملها رجالنا

إستعمل الشاعر لفظة (بنعمة الله) بصيغة القسم وبنعمة الله عليكم أنهم سوف يكفرون وذلك لتأكيد كلامه لدى القارئ

نستخلص من خلال تحليلنا هذا أن القصيدة مكلفة بالأساليب الإنشائية خاصة الطلبيّة وذلك أن وظيفتها تتجسد في إنفعالية الحالة الوجدانية القلقة للشاعر وكذلك ساهمت في وظيفة نقل المعلومات ومحاولة تقريرها كالحقائق وتأكيدها في ذهن المتلقي وتوصيل معاناة الشعب الفلسطيني للأمة بصفة عامة من أجل الإحساس بشعورهم الحزين ومعاناتهم المستمرة

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 30

المبحث الرابع: المستوى المعجمي

يكون فيه النص الأدبي وحدة واحدة بين الألفاظ ومعنيها بوصفها دلالة معجمية لا غير، ويدرس الحقول الدلالية المعجمية الموجودة في القصيدة وإستخراج ألفاظها لمعرفة خصائص الحسية والتجريدية والحيوية، ومن أبرز الحقول المعجمية التي وردت في هذه القصيدة:

*حقل الدين: ألفاظه الدّلة عليه: صلبانها، نبيها، قرأنها، الوصايا العشر، كالجن، الصلبان، أغطية الصلاة، ولاق المصحف، الايات، ال اسرائيل، الزبور، ثوارتكم، جامع، الله العزيز القدير، كالصيام، كتابه تعالى، ستعبدون العجل، ربكم، تكفرون، الأعور، الدجال، الخالق، من بدر

*حقل الحرب: بالنصر، قتلت، تهلكون، شهيد جديد، النار، الحريق، الأموات، البندقية، مراكز البوليس، السجون، السلاح، النضال، قتيل، الجيوش، تهزموا، بارودة، معارك، التحرير، غرف التحقيق، الجنود، الجراح، ثورة، الطلاب، قيادة الأركان، الألغام، الخراب، جيش، الفداء

*حقل الطبيعة: الأرض، زهر، خلجانها، حشيش، البحر، قمحها، وردة، مياه، صحاري مصر، قصب الغابات، الريح، الماء، النبات، الصخور، الأشجار، الجذور، الحجر، الورود، عطر البرتقال، الجبال، المدّ، الجزر، الشروق، الزوال، الأصداق، الرمال، سنابل القمح، نسائم، الشمال، الهلال، السفوح، الهضاب، حقل، صحاري ليبيا، أوراق، غصن ،كالعشب، كالبرق، كالسحاب، ليل، شجيرة اللّبلاب، بركة الماء، التراب، الهواء

*حقل الدول والعواصم والمدن: أمريكا، روما، كربلاء، زوريخ، السودان، ليبيا، فلسطين، فيتنام، هانوي مثل أبيب، بيسان، القدس، الأردن

*حقل الشخصيات التاريخية: خالد، عمر، الحجاج، المنصور، أمرؤ القيس، أبي تمام، الحسين، فاطمة الزهراء، أبي عبيدة، معوية، هارون الرشيد

*حقل الإنسان: الأهداب، شعر، خصلة، بداء، ضفائر البنات، وجه، خصر، أظافر، عيون، رؤوسها، طفل، يد، صدوركم، ذاكرة، الأولاد، شفاه، كالدمع، الرجال، الاطفال، غلمان

*حقل الحيوان: فالريش، أجنحة النسور، الطيور، أجنحة الحمام، العجل، الخيل، أرنب، الذئاب، حصانه

نلاحظ حضور كبير لحقلي الحرب والطبيعة في هذه القصيدة، وهذا راجع إلى تعلق الشاعر نزار قباني بأرضه ألا وهي فلسطين وطول الحرب الدامية على مرّ السنين، كما نجد أنه إعتمد على حقلا الدين الذي يبرز إنتماء الشاعر للإسلام، وكذا حقل الشخصيات التاريخية دلالة على إبرازه للشخصيات التي عاشت في فلسطين أو التي لها صلة بها على مرّ الأعوام كما ذكر حقل الدول والعواصم والمدن وذلك راجع إلى تعلق الشاعر بالسياسة[1]

كما نلاحظ أن الشاعر وظف بعض المفاهيم الدّالة على السياسة أهمية " هنود حمر، مرشرشون، باقون، المسجد الأقصى، إغتصاب، الحساب العتيق، المصفر، كالحفر، قناديل، المرقوق

ودلالة ذلك أن الشاعر ساخط على قوم الظلم والطغيان في العالم ألا وهي إسرائيل خاصة، وتعلقه بالجانب السياسي الذي دمجه داخل قصيدته للتعبير عن شدة معاناة الشعب الفلسطيني

وظف الشاعر أيضا بعض السياقات الدالة على التضحية في سبيل الوطن والأمة وذلك في قوله:

لا تسكروا بالنصر

إذا قتلتم خالدا... فسوف يأتي عمرو

إن سحقتم وردة... فسوف يبقى العطر

*كذلك وظف نزار قباني دلالة على نبرة التحدي في قوله:

نحن باقون هنا

هذه بلادنا مشرشون نحن في خلجانها

إذا قتلتم خالدا... فسوف يأتي عمرو

1- نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص 167

*وتتجلى دلالة السيادة في قوله:

فهذه بلادنا ... فيها وجدنا منذ فجر العمر

فيها لعبنا وشقينا وكتبنا الشعر

كما تبرز دلالة لكشف حقيقة التاريخية والسياسة في قوله:

لن تجعلوا من شعبنا شعب هنود حمر

مشرشون نحن في خلجانها، مشرشون نحن في تاريخها

إذا قتلتم خالدا... فسوف يأتي عمرو

كما تبرز دلالة الدّين والتاريخ الإسلامي في قوله:

فهذه بلادنا ... فيها وجدنا منذ فجر العمر

*وفي قوله أيضا:

باقون في نبيها الكريم... في قرآنها وفي الوصايا العشر

دلالة على أن فلسطين مهبط الأديان السماوية وذلك في قوله:

باقون كالحفر في صلبانها

باقون في نبيها الكريم... في قرانها وفي الوصايا العشر

دلالة على أن أمريكا إستوطنت أرض الهنود وذلك في قوله:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر

*وظف الشاعر بعض المفردات الغامضة والتي معناها:

مشرشون: شديد الإلتصاق

المرقوق: المدهون

آذار: مارس

نيسان: أفريل

العتيق: القديم من كل شيء

البيت العتيق :الكعبة

قناديل: جمع قنديل وهو المصباح كالكوب في وسطه فتيل

صلبان: جمع صليب وهو كل من كان على شكل خطين متقاطعين من خشب أو معدن

مبثوثون: هي اسم مفعول للفعل يثبت وهو الثبات على الرأي والإستمرار فيه

المنهاج: هي كلمة منهاج وهو الطريق الواضح وجمعه مناهيج

مزاريب: ميزاب وهي أنبوبة من حديد تركب في البيت من أعلاه

السرداب: مرادف لعبارة ممر أود هيلز

أبيب :هي مرحلة نمو محصول الحب عند ما تكون حبوب وصلت الى الحجم الكامل

الأهداب: جمه هدب ويقصد بها أطراف أو القواعد والمبادئ، وأهداب العين: شعر أجفان العين[1].

1- إبن منظور، معجم لسان العرب، ص 79-85

نستنتج من خلال تحليلنا للمستوى المعجمي لهذه القصيدة أنّها مكوّنة من مجموعة حقول دلالية لكلمات متقاربة المعنى التي ساهمت في زيادة وضوح القصيدة في ذهن القارئ، لأن الحقول المعجمية عبارة عن مجموعة من الكلمات والعبارات التي تربط بينها في نص معينة علاقة معنوية وهو عكس الحقل الدلالي الذي يعطيك كلمات وتقوم بإستخراج كلماتها، ذلك نستخلص أن هذه الحقول المعجمية التي وظفها نزار قباني في قصيدته شكلت عدّة وظائف من بينها تحديد وظيفة الحروف ومعانيها وكذلك تساعدنا على معرف الأجناس والتمييز بين المجاز والحقيقة ودراسة الصور البيانية وقيمتها في أداء المعنى، كما يساعد الحقل المعجمي أيضا تعليل عنوان القصيدة وعلى تعيين فكرة القصيدة الأساسية والحالة النفسية لصاحب القصيدة[1].

1- ينظر: موريش أبو ناظر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 18-19، بيروت، لبنان، دط، 1982، ص 35

خاتمة

توصلنا من خلال درستنا لقصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل إلى بعض النتائج أهمها:

*التداولية فرع من فروع علم اللغة، بحيث فيه كيفية إكتشاف السامع مقاصد المتكلم، وتهتم بأحوال المتخاطبين والسياق الذي يجري فيه الخطاب

*التداولية صلة قوية بتحليل الخطاب حيث بهدف هذا الأخير في النظرية التداولية إلى وصف خصائص العبارات اللغوية وتفسيرها وربطها سياقات إنتاجها وبأعراضها التواصلية

*إن البنيوية التي رفع شعارها عدد من الباحثين قد خرّ أساسها الذي بنيت عليه إذا لم تعد ثنائية اللغة والكلام تبقى بالغرض لتغطي الأولوية للكلام بعد ما كان عند دي سوسير، الذي يرى أن اللغة تدرس لذاتها ولأجل ذاتها

*تسعى التداولية إلى معالجة الكثير من المفاهيم منها أفعال الكلام، السياق، الإستلزام الحواري

*رغم طبيعة الشعر الراقية، إلا أن نزار استطاع كسر هذه الطبقية بأن وظف لغة شعبوية أشبه ما تكون بلغة الخطاب اليومي، بغض النطر عما تزدحم به من صنوف المجان المختلفة التي قد تقود إلى فهم أعمق للتجربة

*إستخدم نزار أسلوب الحذف ليترك للقارئ فرصة تمثل المعاني المحذوفة بإستعمال إستراتيجية إفتراض مسبق خاصة المعاني التي إستمدها من القاموس الديني

*بنية في الأخير إلى مكانية إستمرار آليات التحليل التداولي في أنواع أخرى من الخطاب، وحتما ستضفى إلى نتائج طيبة إذا لم إستطعنا الإخضاع القواعد المنهجية من المنظومة المعرفية الغربية إلى قوالبنا وتوابيتنا الإسلامية والعربية، لا سيما التعامل مع الخطاب الديني الذي له قدسيته وحرمته

*تعد قصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل لنزار قباني خطابا تداوليا غير عاديا موجها للأمة العربية بصفة عامة والشعب الفلسطيني بصفة خاصة، يحمل في طياته رسالة مفعمة بالرفض والثوار وعدم الإنصياع للنوايا الإسرائيلية

*لم يبق لنا بعد نهاية البحث ألا أن نحمد الله تعالى أن وفقنا في إمامه، والله نسأل التوفيق والسداد في جميع أعمالنا الدينية والدنيوّية والله الموفق.

الملحق

نبذة عن الشاعر نزار القباني:

مولده ونشأته: نزار القباني بن توفيق القباني (1342-1419هـ)(1923-1998م) دبلوماسي وشاعر سوري معاصر، ولد في 21 مارس 1923 بحي مئذنة الشحم أحد أحياء دمشق، من أسرة دمشقية عربية عريقة

ولد نزار القباني الطفل بين عائلة جلّ أفرادها معروفون وذووا شهرة وسمعة سواء على المستوى الثقافي والفني أو على المستوى الثوري، فكان جده ابو الخليل القباني من رائدي المسرح العربي والمؤسسين له في القرن العشرين، وأبوه توفيق القباني كان أحد رجال الثورة السورية الأمجاد وكان ذا رزق وميسور الحال فامتهن التجارة حول حياته بمحله الواسع المعروف، وكان هذا المحل لصنع أرقى وأبهى الحلويات الدمشقية، فكان هذا الأب يصنع الحلوى والثورة في ان واحد

درس نزار القباني في الحقوق في الجامعة السورية وفور تخرجه منها عام 1945م إنخرط في السلك الديبلوماسي متنقلا بين عواصم مختلفة، حيث أصدر أول دواوينه عام 1944م بعنوان قالت لي السمراء وتابع عملية النشر والتأليف التي بلغت خلال نصف القرن حوالي 35 ديوانا أبرزها طفولة يزيد والرسم بالكلمات، وقد أسس دار للنشر لأعماله في بيروت باسم منشورات نزار القباني[1]

وكان لدمشق وبيروت حيزا كبيرا وخاصا من أشعارها: القصيدة الدمشقية وباست الدنيا يا بيروت أحدثت حرب والتي أسماها العرب النكسة، كانت مفترقا حاسما في تجربته الشعرية والأدبية، إذا أخرجته من نمطه التقليدي بوصفه شاعر الحب والمرأة لتدخله معترك السياسة، وقد اثارت قصيدته هوامش على دفتر النكسة عاصفة في الوطن العربي وصلة حد منع أشعاره في وسائل الإعلام، وعلى الصعيد الشخصي عرف قباني مآسي عديدة في حياته منها: مقتل زوجته بلقيس خلال تفجير انتحاريا إستهدف السفارة العراقية في بيروت حيث كانت تعمل، وصولا إلى وفاة إبنه توفيق الذي رثاه في قصيدته "الأمير الحرفي في توفيق القباني"

1- كشيدة أحلام وكشيدة حنان، مذكرة الانسجام في الشعر السياسي، دراسة لسانية تداولية قصيدتي نزار القباني: منشورات فدائية على جدران إسرائيل وهوامش على دفتر النكسة، ماستر في اللغة والأدب العربي 2018/2017، جامعة بجاية ص 25

عاش السنوات الأخيرة من حياته مقيما في لندن حيث مال أكثر نحو الشعر السياسي ومن أشهر قصائده الأخيرة متى يعلنون وفاة العرب، وقد وافته المنية في 30 أبريل 1998م ودفن في مسقط رأسه دمشق، حيث إعتمدنا المدونة في هذا البحث قصيدتي نزار القباني الأولى تحت عنوان "منشورات فيدائية على جدران إسرائيل" والثانية "هوامش على دفتر النكسة"[1]

التعريف بالقصيدة ومناسبة كتابتها:

يتوجه الشاعر في هذه القصيدة إلى المستعمر الصهيوني في شيئ من التحدي والإصرار على مقاومته، ورفض كل أشكال التهجير والتنكيل/ مسجلا بذلك حقيقة تاريخية هامة في النضال الشعبي الفلسطيني وخاصة بعد النخبة العربية 1967م ألا وهي قضية العودة إلى أرض فلسطين

ففلسطين مهما حدث مهبط الأديان وحق للعرب يؤكد ذلك في قول الشاعر (باقون في نبينا الكريم، في قرانها... وفي الوصايا العرش)

إن قصيدة منشورات فدائية على جدران إسرائيل تكاد تكون وحدها ممثلة لكل ما تضمنه الشعر العربي من معان وأفكار في إهتمامه بالقضية الفلسطينية إذ تحفل بكل المفاهيم والقيم والمنطلقات التي يستند إليها العربي في تأكيد حقه، وتحرير أرضه في صراعه مع العدو الصهيوني، وهي جديرة أن تكون بحق قصيدة فلسطين الأول، كما جمع نزار القباني في هذه القصيدة بين البساطة والبلاغة اللّتان تميزان "الشعر الحديث" وأبدع في كتابة الشعر الوطني، كما أن السبب الرئيسي في كتابه هذه القصيدة هو أن يثبت حقيقة تاريخية لفلسطين وأهلها الذين عصروها ودافعوا عنها ومن أجل ذلك وظف الشاعر الأسلوب الخطابي الذي يثبت الحقائق الأحداث وكذلك من أجل إثبات حق الشعب الفلسطيني في أرض فلسطين ونفي ذلك من الصهاينة

1- كشيدة أحلام وكشيدة حنان، مذكرة الإنسجام في الشعر السياسي، دراسة لسانية تداولية قصيدتي نزار القباني: منشورات فدائية على جدران إسرائيل وهوامش على دفتر النكسة، ماستر في اللغة والأدب العربي 2018/2017، جامعة بجاية ص 25

قصيدة منشورات فيدائية لنزار قباني

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنودٍ حمر..

فنحن باقون هنا..

في هذه الأرض التي تلبس في معصمها

إسوارةً من زهر

فهذه بلادنا..

فيها وجدنا منذ فجر العمر

فيها لعبنا، وعشقنا، وكتبنا الشعر

مشرشون نحن في خلجانها

مثل حشيش البحر..

مشرشون نحن في تاريخها

في خبزها المرقوق، في زيتونها

في قمحها المصفر

مشرشون نحن في وجدانها

باقون في آذارها

باقون في نيسانها

باقون كالحفر على صلبانها

باقون في نبيها الكريم، في قرآنها..

وفي الوصايا العشر..

2

لا تسكروا بالنصر...

إذا قتلتم خالداً.. فسوف يأتي عمرو

وإن سحقتم وردةً..

فسوف يبقى العطر

3

لأن موسى قطعت يداه..

ولم يعد يتقن فن السحر..

لأن موسى كسرت عصاه

ولم يعد بوسعه شق مياه البحر

لأنكم لستم كأمريكا.. ولسنا كالهنود الحمر

فسوف تهلكون عن آخركم

فوق صحاري مصر...

4

المسجد الأقصى شهيدٌ جديد

نضيفه إلى الحساب العتيق

وليست النار، وليس الحريق

سوى قناديلٍ تضيء الطريق

5

من قصب الغابات

نخرج كالجن لكم.. من قصب الغابات

من رزم البريد، من مقاعد الباصات

من علب الدخان، من صفائح البنزين، من شواهد الأموات

من الطباشير، من الألواح، من ضفائر البنات

من خشب الصلبان، ومن أوعية البخور، من أغطية الصلاة

من ورق المصحف نأتيكم

من السطور والآيات...

فنحن مبثوثون في الريح، وفي الماء، وفي النبات

ونحن معجونون بالألوان والأصوات..

لن تفلتوا.. لن تفلتوا..

فكل بيتٍ فيه بندقيه

من ضفة النيل إلى الفرات

6

لن تستريحوا معنا..

كل قتيلٍ عندنا

يموت آلافاً من المرات...

7

إنتبهوا.. إنتبهوا...

أعمدة النور لها أظافر

وللشبابيك عيونٌ عشر

والموت في انتظاركم في كل وجهٍ عابرٍ...

أو لفتةٍ.. أو خصر

الموت مخبوءٌ لكم.. في مشط كل امرأةٍ..

وخصلةٍ من شعر..

8

يا آل إسرائيل.. لا يأخذكم الغرور

عقارب الساعات إن توقفت، لا بد أن تدور..

إن اغتصاب الأرض لا يخيفنا

فالريش قد يسقط عن أجنحة النسور

والعطش الطويل لا يخيفنا

فالماء يبقى دائماً في باطن الصخور

هزمتم الجيوش.. إلا أنكم لم تهزموا الشعور

قطعتم الأشجار من رؤوسها.. وظلت الجذور

9

ننصحكم أن تقرأوا ما جاء في الزبور

ننصحكم أن تحملوا توراتكم

وتتبعوا نبيكم للطور..

فما لكم خبزٌ هنا.. ولا لكم حضور

من باب كل جامعٍ..

من خلف كل منبرٍ مكسور

سيخرج الحجاج ذات ليلةٍ.. ويخرج المنصور

10

إنتظرونا دائماً..

في كل ما لا ينتظر

فنحن في كل المطارات، وفي كل بطاقات السفر

نطلع في روما، وفي زوريخ، من تحت الحجر

نطلع من خلف التماثيل وأحواض الزهر..

رجالنا يأتون دون موعدٍ

في غضب الرعد، وزخات المطر

يأتون في عباءة الرسول، أو سيف عمر..

نساؤنا.. يرسمن أحزان فلسطين على دمع الشجر

يقبرن أطفال فلسطين، بوجدان البشر

يحملن أحجار فلسطين إلى أرض القمر..

11

لقد سرقتم وطناً..

فصفق العالم للمغامره

صادرتم الألوف من بيوتنا

وبعتم الألوف من أطفالنا

فصفق العالم للسماسره..

سرقتم الزيت من الكنائس

سرقتم المسيح من بيته في الناصره

فصفق العالم للمغامره

وتنصبون مأتماً..

إذا خطفنا طائره

12

تذكروا.. تذكروا دائماً

بأن أمريكا – على شأنها–

ليست هي الله العزيز القدير

وأن أمريكا – على بأسها–

لن تمنع الطيور أن تطير

قد تقتل الكبير.. بارودةٌ

صغيرةٌ.. في يد طفلٍ صغير

13

ما بيننا.. وبينكم.. لا ينتهي بعام

لا ينتهي بخمسةٍ.. أو عشرةٍ.. ولا بألف عام

طويلةٌ معارك التحرير كالصيام

ونحن باقون على صدوركم..

كالنقش في الرخام..

باقون في صوت المزاريب.. وفي أجنحة الحمام

باقون في ذاكرة الشمس، وفي دفاتر الأيام

باقون في شيطنة الأولاد.. في خربشة الأقلام

باقون في الخرائط الملونه

باقون في شعر امرئ القيس..

وفي شعر أبي تمام..

باقون في شفاه من نحبهم

باقون في مخارج الكلام..

14

موعدنا حين يجيء المغيب

موعدنا القادم في تل أبيب

"نصرٌ من الله وفتحٌ قريب"

15

ليس حزيران سوى يومٍ من الزمان

وأجمل الورود ما ينبت في حديقة الأحزان..

16

للحزن أولادٌ سيكبرون..

للوجع الطويل أولادٌ سيكبرون

للأرض، للحارات، للأبواب، أولادٌ سيكبرون

وهؤلاء كلهم..

تجمعوا منذ ثلاثين سنه

في غرف التحقيق، في مراكز البوليس، في السجون

تجمعوا كالدمع في العيون

وهؤلاء كلهم..

في أي.. أي لحظةٍ

من كل أبواب فلسطين سيدخلون..

17

..وجاء في كتابه تعالى:

بأنكم من مصر تخرجون

وأنكم في تيهها، سوف تجوعون، وتعطشون

وأنكم ستعبدون العجل دون ربكم

وأنكم بنعمة الله عليكم سوف تكفرون

وفي المناشير التي يحملها رجالنا

زدنا على ما قاله تعالى:

سطرين آخرين:

ومن ذرى الجولان تخرجون

وضفة الأردن تخرجون

بقوة السلاح تخرجون..

18

سوف يموت الأعور الدجال

سوف يموت الأعور الدجال

ونحن باقون هنا، حدائقاً، وعطر برتقال

باقون فيما رسم الله على دفاتر الجبال

باقون في معاصر الزيت.. وفي الأنوال

في المد.. في الجزر.. وفي الشروق والزوال

باقون في مراكب الصيد، وفي الأصداف، والرمال

باقون في قصائد الحب، وفي قصائد النضال

باقون في الشعر، وفي الأزجال

باقون في عطر المناديل..

في (الدبكة) و (الموال..(

في القصص الشعبي، والأمثال

باقون في الكوفية البيضاء، والعقال

باقون في مروءة الخيل، وفي مروءة الخيال

باقون في (المهباج) والبن، وفي تحية الرجال للرجال

باقون في معاطف الجنود، في الجراح، في السعال

باقون في سنابل القمح، وفي نسائم الشمال

باقون في الصليب..

باقون في الهلال..

في ثورة الطلاب، باقون، وفي معاول العمال

باقون في خواتم الخطبة، في أسرة الأطفال

باقون في الدموع..

باقون في الآمال

19

تسعون مليوناً من الأعراب خلف الأفق غاضبون

با ويلكم من ثأرهم..

يوم من القمقم يطلعون..

20

لأن هارون الرشيد مات من زمان

ولم يعد في القصر غلمانٌ، ولا خصيان

لأننا من قتلناه، وأطعمناه للحيتان

لأن هارون الرشيد لم يعد إنسان

لأنه في تحته الوثير لا يعرف ما القدس.. وما بيسان

فقد قطعنا رأسه، أمس، وعلقناه في بيسان

لأن هارون الرشيد أرنبٌ جبان

فقد جعلنا قصره قيادة الأركان..

21

ظل الفلسطيني أعواماً على الأبواب..

يشحذ خبز العدل من موائد الذئاب

ويشتكي عذابه للخالق التواب

وعندما.. أخرج من إسطبله حصاناً

وزيت البارودة الملقاة في السرداب

أصبح في مقدوره أن يبدأ الحساب..

22

نحن الذين نرسم الخريطه

ونرسم السفوح والهضاب..

نحن الذين نبدأ المحاكمه

ونفرض الثواب والعقاب..

23

العرب الذين كانوا عندكم مصدري أحلام

تحولوا بعد حزيران إلى حقلٍ من الألغام

وانتقلت (هانوي) من مكانها..

وانتقلت فيتنام..

24

حدائق التاريخ دوماً تزهر..

ففي ذرى الأوراس قد ماج الشقيق الأحمر..

وفي صحاري ليبيا.. أورق غصنٌ أخضر..

والعرب الذين قلتم عنهم: تحجروا

تغيروا..

تغيروا

25

أنا الفلسطيني بعد رحلة الضياع والسراب

أطلع كالعشب من الخراب

أضيء كالبرق على وجوهكم

أهطل كالسحاب

أطلع كل ليلةٍ..

من فسحة الدار، ومن مقابض الأبواب

من ورق التوت، ومن شجيرة اللبلاب

من بركة الدار، ومن ثرثرة المزراب

أطلع من صوت أبي..

من وجه أمي الطيب الجذاب

أطلع من كل العيون السود والأهداب

ومن شبابيك الحبيبات، ومن رسائل الأحباب

أفتح باب منزلي.

أدخله. من غير أن أنتظر الجواب

لأنني أنا.. السؤال والجواب

26

محاصرون أنتم بالحقد والكراهيه

فمن هنا جيش أبي عبيدةٍ

ومن هنا معاويه

سلامكم ممزقٌ..

وبيتكم مطوقٌ

كبيت أي زانيه..

27

نأتي بكوفياتنا البيضاء والسوداء

نرسم فوق جلدكم إشارة الفداء

من رحم الأيام نأتي كانبثاق الماء

من خيمة الذل التي يعلكها الهواء

من وجع الحسين نأتي.. من أسى فاطمة الزهراء

من أحدٍ نأتي.. ومن بدرٍ.. ومن أحزان كربلاء

نأتي لكي نصحح التاريخ والأشياء

ونطمس الحروف..

في الشوارع العبرية الأسماء.[1]

1- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات قباني، بيروت، لبنان

مكتبة البحث

* القرآن الكريم (برواية ورش)

*المصادر:

1/ ابراهيم مصطفى وأخرون، مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ج1
2/ أحمد العابد واخرون، المعجم العربي الاسلامي، للناطقين بالعربية ومتعلميها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دط، 1989
3/ أحمد متوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت ط1
4/ أحمد متوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة الى النص، دار الأمانة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2001
5/ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2003م
6/ أحمد مختار عمر، مبحث اللغوي عند العرب، علم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط6، 1988م
7/ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مصر، الهنداوي
8/ الامدي، الأحكام في أصول الإحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1
9/ البحراوي السيد، عروض وإيقاع الشعر العربي،
10/ جون أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، ط1، 2001
11/ حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم إستعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، ط1، 2010
12/ حسن الباهي، الحوار والمنهجية التفكير النقدي، ط2، 2004
13/ حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة، بيروت، لبنان،ط1، 1998

14/ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009

15/ رامي عزمي، تحليل الخبر السياسي في الخطاب الإعلامي المكتوب، دار المعتز، ط1، 2004

16/ رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث الغوي، ط3، 1997

17/ الزمخشري، أساس البلاغة، تقديم وتعليق: محمد أحمد قاسم، مادة (خطب) المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2005

18/ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دار البيضاء، المغرب، ط3، 1992

19/ السكاكي ، مفتاح العلوم، دط، دت

20/عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط5، القاهرة، مصر

21/ الشهري عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية

22/ صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطبعة للطباعة، بيروت، لبنان، 2005

23/ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1992

24/ الطاهر حسين مزير، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية –رومان جاكبسون-

25/ عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات إختلاف، الجزائر، ط1، 2003

26/ فان ديك، النص والسياق وإستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، إفريقيا الشرق، الرباط، المغرب، 1982

27/ فايز عارف، تقنيات التوازي البلاغية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012

28/ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صنعاء، عمان، ط1، 2005

29/ كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م

30/ لطيف زيتوتي، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، ط1، 2002

31/ محمد عكاشة، تحليل الخطاب، دار النشر للجامعات القاهرة

32/ محمود أحمد، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الجامعة 2002

33/ محمود فهمي حجازي، مدخل الى علم اللغة العام، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2005

34/ منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، ط1، 2002

34/ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ط1، 1990

35/ نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012

*المراجع:

36/ بيار أشار، سوسيولوجيا، تعريب، عبد وهاب، منشورات عويدات، بيروت

37/ جيلالي دولاش، مدخل الى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات جامعة، الجزائر، 1922

38/ دومينيك مانقلو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد بحياتن، الدار العربية للعلوم الناشرون الجزائر، دط، 2008

39/ سارة ميلنر، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوي، المركز الثقافي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2016

40/ فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986

41/ فرانسوازا أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان

42/ ابن كثير، البداية والنهاية، تح: جودة محمد حسني شعراوي، دار بن هيتم، القاهرة، مصر، ط1، 2006

43/ كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل الى علم المفاهيم والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005

*المذكرات:

44/حورية رزقي، أحاديث حديث القدسي من منظور اللسانيات التداولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في العلوم اللسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016

45/ حنان غمدي، المستويات اللسانية والتعليم النصوص للطور الابتدائي، شهادة ماستر، لسانيات تطبيقية، قسن اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،2019

46/ دوكري ماسيري، مذكرة مستويات التحليل اللغوي عند ابن جني، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2019

47/ شيتر رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، رسالة دكتورة مخوطة جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر- 2008-2009

48/ كشيدة أحلام وكشيدة حنان، مذكرة الانسجام في الشعر السياسي، دراسة لسانية تداولية قصيدتي نزار قباني منشورات فيدائية على جدران إسرائيل وهوامش على دفتر النكسة، مقدمة ماستر في الأدب العربي، جامعة بجاية 2018

49/ وردة معلم، مذكرة محاضرات في مقياس تحليل الخطابة، ماستر لسانيات الخطاب، جامعة 08 ماي 1945 قالمة

*المجلات:

50/ فالح العجمي، الربط الذرعي في النص العربي، مجلة أبحاث اليرموك، العدد 1، 1994

موريش أبو ناظر، مدخل الى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 18-19، بيروت، لبنان

*الموقع الالكتروني:

51/ أنس محمود فعال، التكرار التركيبي أو التوازي (على خط)، 2012/9/2 متوفرة على العنوان

www.iwan.com

فهرس

الرقم	العنوان	رقم الصفحة
1	الشكر وعرفان	II
2	إهداء	III
3	مقدمة	أ
4	مدخل	01
5	مفهوم البنية	02
6	مفهوم الخطاب وتياراته	08
8	مفهوم التداولية	10
	الفصل الأول: التداولية (نشأتها وأصولها)	
10	نشأة التداولية	12
11	الجذور المعرفية للتداولية	16
12	علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى	20
13	القضايا الأساسية للتداولية	24
	الفصل الثاني: مفاهيم نظرية لمستويات التحليل التداولي	
15	المستوى الصوتي	33
16	المستوى البلاغي	34

17	المستوى التركيبي	35
18	المستوى المعجمي	39
	الفصل الثالث: تحليل التداولي لقصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل	
24	المستوى الصوتي	44
25	المستوى البلاغي	59
26	المستوى التركيبي	67
27	المستوى المعجمي	94
35	خاتمة	101
36	ملحق	103
37	قائمة مصادر ومراجع	116
38	فهرس	120
39	ملخص	

ملخص:

يعالج هذا البحث بنية الخطاب التداولي: إذ تعد البنية كمبدأ عام ظهر في الفلسفة وعلم إجتماع ومختلف العلوم الأخرى، مع إرتباط بموضوع التداولية الذي شغل حيزا كبيرا، فجاء في مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة والمصادر والمراجع والفهرس والملاحق

ولقد جاء في المدخل جملة من المصطلحات المفتاحية كالبنية والخطاب وتياراته والتداولية، ثم الفصل الأول تناول نشأة التداولية وجذورها وعلاقتها بالعلوم الأخرى، أما الفصل الثاني جاء فيه مفاهيم المستويات: صوتي، بلاغي، تركيبي، معجمي، والفصل الثالث عالج قصيدة منشورات فيدائية على جدران إسرائيل تحليلا تداوليا

وفي الختام ثم تسجيل أهم الملاحظات والنتائج التي توصلنا إليها هذا البحث من بينها: إحتواء القصيدة على حقول دلالية وتغيرات على مستوى الوزن

الكلمات المفتاحية: الخطاب – البنية– التداولية– مستويات التحليل التداولي– القصد– السياق

résumé:

Cette recherche porte sur la structure du discours pragmatique : la structure étant considérée comme un principe général apparu dans la philosophie, la sociologie et diverses autres sciences, en lien avec le sujet de la pragmatique, qui occupait une grande place, elle s'inscrivait dans une introduction, une introduction, trois chapitres, une conclusion, des .sources, des références, un index et des annexes

En introduction figuraient quelques termes clés comme la structure, le discours, ses courants et la pragmatique, puis le premier chapitre traitait de l'émergence de la pragmatique et de ses racines et de ses rapports avec les autres sciences. Le deuxième chapitre contenait les notions de niveaux : phonétique , rhétorique, synthétique, lexicale, et le troisième chapitre traitait d'une analyse d'un poème de publications védiques sur les murs d'Israël délibérément

En conclusion, puis enregistrer les observations et les résultats les plus importants auxquels nous sommes parvenus dans cette recherche, notamment: Le poème contient des .champs sémantiques et des changements dans le niveau de poids

Mots clés : discours - structure - pragmatique - niveaux d'analyse délibérative - intention - contexte